

د. إبراهيم صالح الفلاي

ازدواجية اللغة

النظرية والتطبيق

د. إبراهيم صالح الفلاي

قسم اللغة الإنجليزية ـ كلية الآداب

جامعة الملك سعود

الرياض

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

ⓒ إبراهيم صالح الفلاي، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفلاي، إبراهيم الفلاي

ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق. ـ الرياض.

... ص؛ ... سم

ردمك ٥ ـ ٢٩٢ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠.

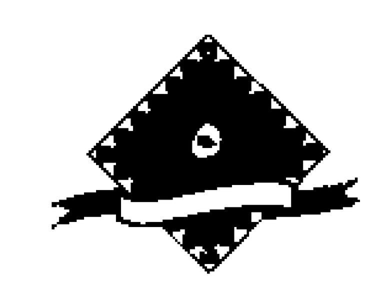
١ ـ علم اللغة أ ـ العنوان

ديوي ٤٠٠ ١٧/١٣٢١

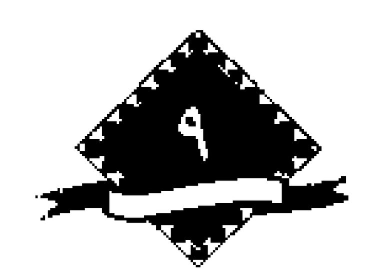
ردمك ٥ ـ ٢٩٢ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠. رقم الإيداع: ١٧/١٣٢١

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ/١٩٩٦م



المحتويات



مقدمة

تعد اللغة بأشكالها المختلفة الوسيلة الرئيسة ، إن لم تكن الوحيدة ، للاتصال بين أبناء الشعب الواحد فيما بينهم كما أنها وسيلة للاتصال بين الشعوب . ولضرورة ذلك الاتصال طورت الشعوب التي تتحدث لغات مختلفة طرقا وأساليب للاحتكاك . فنرى مثلا وجود اللغة المشتركة التي تستخدم من قبل أفراد لا يتحدثون اللغة نفسها ، كما نلاحظ أن بعض الشعوب نتيجة لذلك الاحتكاك ولحتمية الاتصال تتعلم لغات شعوب أخرى . وهذا الاتصال والاحتكاك الذي يقود إلى التفاهم بين البشر ليس مقتصرا عليهم ، ولكنه يشمل الحيونات إذ إن لها أيضا لغات خاصة بها ، تختلف فيما بينها من حيث الشكل ، ولكنها تؤدي جميعا وظيفة التفاهم والاتصال بين حيوانات الجنس الواحد . وهذه الرؤية أثبتها القرآن الكريم ، فسليمان عليه السلام قد أوتي المقدرة على فهم لغات الحيوانات مثل الطيور والنمل .

ولا تقل أهمية الاتصال بين أفراد الشعب الواحد عن أهميته بين الشعوب ، فأفراد الشعب الواحد بحاجة إلى الاتفاق على قواعد وأسس تحكم وسيلة اتصالهم . ولا تقتصر هذه القواعد والأسس على جوانب اللغة النحوية أو التركيبية أو طريقة نطق الحروف ونبر الكلمات ، ولكنها تتعدى إلى الاتفاق على نوعية الوظائف التي تؤديها لغاتهم ولهجاتهم . وكنتيجة لشعور هؤلاء الأفراد بدور الوظيفة ، على سبيل المثال ، فإن الأشكال اللغوية المختلفة المستخدمة في المنازل حال التحدث إلى الأهل والأصدقاء تختلف عن تلك التي توظف لأداء مهمة الاتصال الرسمي كإلقاء المحاضرات في الجامعات وما شابه ذلك . وقد أدّى هذا التقسيم الوظيفي للغة واللهجة والأسلوب إلى وجود ما يعرف بازدواجية اللغة .

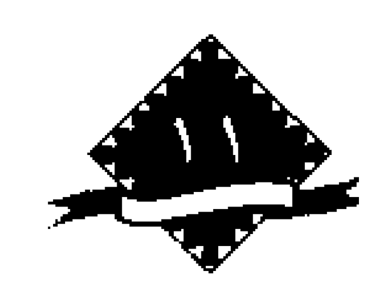
وازدواجية اللغة ظاهرة لغوية مرتبطة بالمجتمع ، وقد تكون سمة من سمات لغات

الأرض كلها . ولقد لاحظ علماء اللغة المسلمون ذلك قديما ، فقاموا بوصف الهجات العربية القديمة المختلفة كلهجات قريش وطئ وتميم وغيرها . كما نعلم أنه كان من السهل على أبناء المجتمع الواحد التعرف على الغرباء من خلال لهجاتهم المختلفة . فمثلا كان أفراد مجتمع مكة المتحدثون بلهجة قريش قادرين على التعرف على الغرباء سواء كانوا قادمين من شمال جزيرة العرب أو جنوبها أو من أية جهة أخرى يتحدث أفرادها العربية .

وعلى الرغم من إدراك العرب قديما لاختلاف اللهجات فإن دراسة اللغة والمجتمع بشكل علمي ومنظم لم تتم إلا حديثا . فلو أخذنا ازدواجية اللغة كمثال لذلك فسنجد أن هذه الظاهرة لم تدرس وتحلل بشكل مكثف إلا في عام ١٩٥٩م ، عندما وصف فرجسون حال بعض المجتمعات بأنه ازدواجي اللغة . وما كان يقصده فرجسون بذلك هو وجود شكلين مختلفين للغة الواحدة يستخدم أحدهما في الوظائف الرسمية للاتصال كإلقاء الخطب والمحاضرات ، بينما يستخدم الشكل الآخر في الحديث مع الأهل والأصدقاء وفي كتابة الشعر الشعبي . وحتى تتضح لنا هذه الظاهرة ، فمن الممكن وصفها على أساس أنها وصف لوجود شكلين لغويين ، هما : العامية والفصحى في المجتمع الواحد مع بيان الخصائص اللغوية والوظيفة التي يؤديها كل شكل .

ويهدف هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ إلى مناقشة ازدواجية اللغة بشكل علمي ومنهجي بعيداً عن التعصب للعامية أو الفصحى ، وهو لا يهدف إلى مناقشة أصل اللهجات العربية وسبب ظهورها ، كما أنه لا يهدف إلى الإجابة عن تساؤلات مثل: هل العربية المستخدمة اليوم هي الفصحى المستخدمة قبل ظهور الإسلام ؟ وهل هناك اختلاف كبير بين لهجة قريش واللهجة المتحدثة في وقتنا هذا في منطقة مكه المكرمة ؟ وإذا كان هناك اختلاف فما أسباب ذلك الاختلاف ؟ وبمعنى آخر فإن هذا الكتاب يقتصر على مناقشة ازدواجية اللغة كظاهرة لغوية تتعلق بالمجتمع .

ويمكن تقسيم ما تحتويه المكتبة العربية من مؤلفات تعرضت لازدواجية اللغة إلى



قسمين : القسم الأول هو الدراسات التي ناقشت اللهجات العربية وأصولها وأوجه الشبه والاختلاف فيما بينها ، وأعطت دراسة العامية والفصحى القليل من الاهتمام . واتصفت هذه الدراسات بأنها دراسات وصفية بحتة لم تتعرض للجانب النظري ولم تعطِ الجانب التطبيقي حقه . أما القسم الثاني فهو الدراسات التي أخذت شكل مؤلفات في علم اللغة بشكل عام وتطرقت لازدواجية اللغة أحيانا ، إما بالإشارة لهذه الظاهرة وإما بكتابة أسطر قليلة عنها ، مما جعل المكتبة العربية خالية تقريبا من كتب وأبحاث تعنى بدراسة ازدواجية اللغة كظاهرة لغوية . ومن هنا أتى هذا المؤلَّف ليجيب عن الأسئلة التي تهم الباحث في علم اللغة الاجتماعي والقارئ غير المتخصص في آن واحد. ولأهمية الجانب النظري فقد أفرد جل هذا الكتاب له ، مع مناقشة وتحليل سريع لجانب واحد من جوانب ازدواجية اللغة أخذ في طابعه المنحى التطبيقي .

ويقع هذا الكتاب في خمسة فصول : خصصت أربعة منها لنظرية ازدواجية اللغة والمفاهيم المتعلقة بها ، ولم يكن هذا بالأمر اليسير نظرا لافتقار المكتبة العربية كما أسلفت لدراسات نظرية . وهنا كان لزاما على الباحث أن يتجه إلى المكتبة الأجنبية في محاولة للتغلب على هذا النقص . أما الباب الأخير فقد احتوى على دراسة تحليلية وصفية لمناقشة مفردات العامية والفصحى . وفيما يلي نبذه مختصرة عن كل فصل .

ناقش الفصل الأول نظرية ازدواجية اللغة التي أوردها فرجسون . وتعتبر هذه النظرية العمل التقليدي الذي لا بد لأي باحث في هذا المجال من الرجوع إليه . واحتوى هذا الفصل على الملاحظات التي ساقها فرجسون وعلى تعريفه لها وعلى الخصائص التي تميز هذه الظاهرة عن غيرها من الظواهر اللغوية الاجتماعية المشابهة . كما احتوى على أربع حالات دراسية ذكرها فرجسون لبيان ازدواجية اللغة في مفهومه . كما ناقش هذا الفصل مستقبل المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية وما قد يواجه هذه المجتمعات من مشاكل يكون سببها وجود ازدواجية اللغة في مجتمعاتهم .

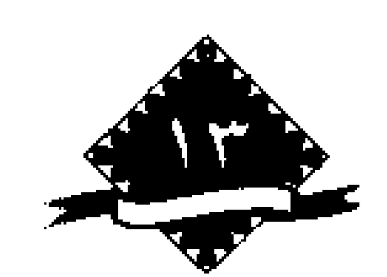
أما الفصل الثاني فقد تناول منظور فيشمن لازدواجية اللغة ، الذي يأتي من حيث

الأهمية بعد عمل فرجسون . فقد توسع فيشمن في مفهوم ازدواجية اللغة حتى جعلها تشمل علاقة التخصص الوظيفي للغات واللهجات ، بعدما كان هذا المفهوم مقتصرا على لهجات اللغة الواحدة . واستعرض هذا الفصل الفرق بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة ، وبين أوجه الشبه والاختلاف بين هاتين الظاهرتين .

وعرض الفصل الثالث لازدواجية اللغة من منظور فاسولد ، وهذا هو العمل الثالث -بعد عملي فرجسون وفيشمن- الذي قدم شيئا جديدا لمفهوم ازدواجية اللغة . وقد احتوى هذ الفصل على أمثلة مستلة من مجتمعات مختلفة ، كان الهدف من إيرادها إثراء القارئ وإطلاعه على بعض الأوضاع اللغوية في أماكن مختلفة من العالم . كما احتوى هذا الفصل على خصائص أربع يرى فاسولد أنه لا بد من الاعتراف بها حتى يقبل مفهومه لازدواجية اللغة . ويختتم هذا الفصل بتعريف فاسولد لازدواجية اللغة ، كما يتعرض أيضا إلى نهاية ازدواجية اللغة وخروجها من المجتمع .

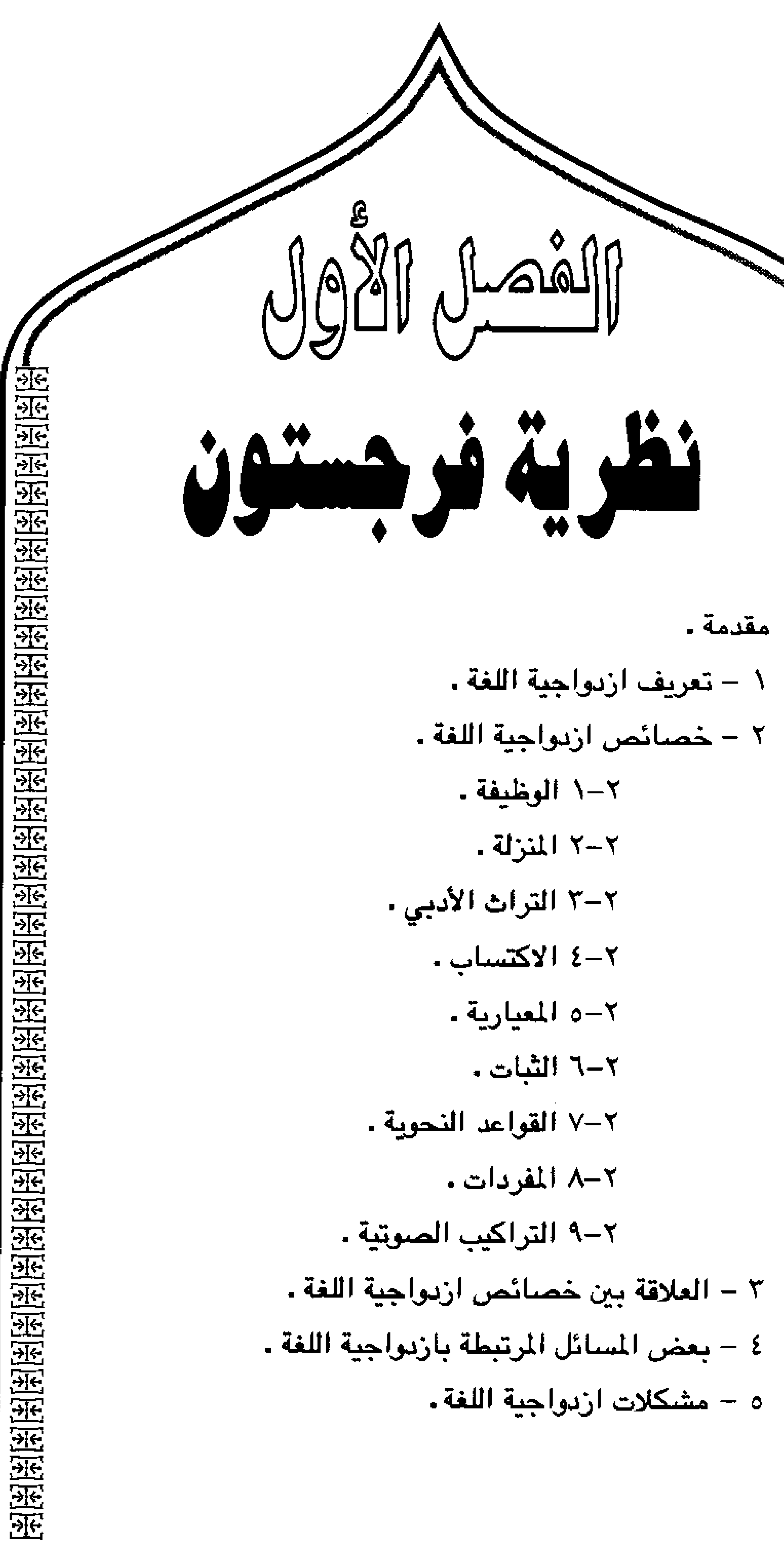
أما الفصل الرابع فقد عرض لبعض آراء علماء اللغة الاجتماعيين في ماهية ازدواجية اللغة ، وناقش بطريقة تحليلية تلك الآراء ، عارضا ما يراه هاديسون وتم وبريتو ، وناقش آراءهم التي انقسمت بين مؤيد ومعارض للنظريات الثلاث السابقة الذكر. ويختتم هذا الفصل بذكر تعريف اقترحه الباحث لازدواجية اللغة .

وأفرد الفصل الخامس لدراسة زوج المفردات العامية والفصحى والذي كان جزءًا من إحدى خصائص ازدواجية اللغة التي أوردها فرجسون . ولم يحاول الباحث في هذا الفصل نسب كل مفردة عامية للفصحى كما ذهب بعض الباحثين ، ولكن توخّى من خلال هذا الفصل الوقوف على الأسباب المؤدية لوجود ذلك الزوج من المفردات ، وإرجاع كل مفردة إلى أصلها سواء كانت تلك المفردة عربية فصحى أو مقترضة من لغة أجنبية أو كانت نتاج عملية لغوية . وقد يلاحظ القارئ أن مناقشة الأسباب قد أخذ حيزا أكبر من إيراد المفردات ، والسبب يعود في هذا إلى أن هذا المؤلَّف يهدف إلى إيجاد مؤلَّف أفرد لمناقشة ازدواجية اللغة ، بالإضافة إلى إطلاع طلاب علم اللغة على



الأساليب التحليلية التي تؤدي إلى نتائج علمية قابلة للاختبار .

وأخيرا فإني أسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يكون في هذا الكتاب ما يفيد قارئه .



الفصل الأول

نظرية فرجستون

مقدمة .

١ - تعريف ازدواجية اللغة .

٢ - خصائص ازدواجية اللغة .

٢-١ الوظيفة .

٢-٢ المنزلة .

٢-٣ التراث الأدبي .

٢-٤ الاكتساب .

٢-٥ المعيارية .

٢-٦ الثبات .

٢-٧ القواعد النحوية .

٢-٨ المفردات .

٢-٩ التراكيب الصوتية .

٣ - العلاقة بين خصائص ازدواجية اللغة .

٤ - بعض المسائل المرتبطة بازدواجية اللغة .

٥ - مشكلات ازدواجية اللغة.

مقدمة

يرى بعض علماء اللغة ، وبخاصة ممن تخصصوا في اللغة والمجتمع أو علم اللغة الاجتماعي ، أن المصطلح ازدواجية اللغة (Diglossia) قد درس أول مرة بشكل علمي بواسطة كرومباشر[١] ، ولكن يؤكد أغلبية علماء اللغة أن المصطلح لم يشر إليه بشكل صريح إلا عندما استخدم لأول مرة عن طريق عالم اللغة الفرنسي ماركيز[٢]. ويبدو هذا الاعتقاد صحيحا و مقبولا ، حيث إن المصطلح باللغة الفرنسية يسمى (Diglossie) وقد أدخل إلى اللغة الإنجليزية حرفيا مع محاولة إخضاعه لنظم تراكيب الصوت و الصرف باللغة الإنجليزية. و بالرغم من هذا فإن أغلب الدراسات التي تناولت هذا الموضوع لم تشر إلى ماركيز أو دراساته ، ولكنها على العكس من هذا دائما ما تذكر العمل التقليدي لفرجسون[٣]. وعندما نشر فرجسون بحثه في المجلة الدورية المتخصصة (Word) ، كان يطمح من خلال هذا العمل أن يكون منطلقا لأعمال أخرى يقوم بها الباحثون في مجال علم اللغة ، ويبدو أن هذا الطموح قد تحقق فقد اتبع عمل فرجسون مئات البحوث وعدد كبير من الكتب كما ذكر ذلك فرجسون[٤].

---

[١] كرومباشر، ١٩٠٢م.

[٢] ماركيز، ١٩٣٠م و١٩٣١م.

[٣] فرجسون، ١٩٥٩م.

[٤] فرجسون، ١٩٩١م.



٢- **تعريف ازدواجية اللغة**

قبل الشروع في تعريف هذا المصطلح ينبغي أن نسوق بعض ملاحظات فرجسون التي بدأ بها مقاله (١٩٥٩م) الآنف الذكر، فقد لاحظ فرجسون أن في بعض المجتمعات (Speech Communities) - ويقصد هنا بالمجتمعات ما تستطيع تحديده عن طريق الحدود التي تفصل بين الدول - استخداماً لأكثر من شكل من أشكال اللغة، هذه الأشكال لا بد أن تعود إلى لغة واحدة (يعتبر لفظ "لغة واحدة" من أهم سمات ازدواجية اللغة التي كان يقصده فرجسون كما سنرى في الفصل الثاني). وهذه الأشكال يستخدمها أفراد ذلك المجتمع تحت ظروف مختلفة ولأسباب متباينة. وهي - أي الأشكال - محددة الوظيفة حيث إن استخدام أحدها في وظيفة الشكل الآخر يعتبر خطأ، وفي معظم الأحوال مدعاة للسخرية. وحتى يوضح فرجسون ما كان يقصده استخدم أربعة مجتمعات، بالإضافة إلى اللغات التي تتكلمها تلك المجتمعات كأمثلة، ثم حاول بعد ذلك أن يجد السمات الشائعة المشتركة بين الأشكال اللغوية لهذه اللغات الأربع، من حيث التراكيب اللغوية والوظيفة والمنزلة لدى متحدثيها. واللغات الأربع التي اختارها فرجسون هي : اللغة العربية ، واللغة اليونانية ، واللغة الألمانية المستخدمة في سويسرا ، واللغة الهجين (Creole) المتحدثة في هايتي.

واللغة الهجين لغة ذات طابع خاص و تاريخ غير طبيعي، حيث إنها تنشأ من اتصال متحدثي لغتين مختلفتين ببعضهم، علما بأن كل طرف لا يتحدث لغة الآخر. وفي هذه الحالة تنشأ لغة مبسطة (Pidgin) تأخذ تراكيبها اللغوية من إحدى اللغتين وكلماتها من اللغة الأخرى. وليس لهذه اللغة المبسطة متحدثون يتكلمونها كلغة أصلية، ولكن مع مرور الوقت ينشأ أطفال ذلك المجتمع يتكلمونها كلغة أصلية، وفي هذه الحالة تسمى اللغة لغة هجين (Creole). وقد نشأت اللغة الهجين المتحدثة في

هايتي من اتصال اللغة الفرنسية باللغة المحلية المتكلمة في تلك الجزيرة.

وليست نشأة ازدواجية اللغة بالضرورة خطوة أو درجة حتمية عندما يحدث تطور لغوي، ولكنها تنشأ لأسباب مختلفة و بأشكال متعددة ولفترات متباينة. فعلى حين تعود ازدواجية اللغة في حالة اللغة العربية إلى زمن ماض بعيد، نجد أن ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية لم تأخذ شكلها الحالي إلا في مطلع القرن التاسع عشر. وبالإضافة إلى هذا فإن أسباب نشأتها تختلف من مجتمع إلى آخر. فيعزى مثلا سبب ظهور ازدواجية اللغة في اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا إلى العزلة السياسية والدينية عن ألمانيا، البلد الأم. أما في حالة هجين هايتي، فإن الوضع مختلف بعض الشيء. فكما ذكر سابقا فإن اللغة الهجين نشأت من اللغة المبسطة بسبب وجود متحدثين اصليين لها، وهذا الوجود يؤدي إلى أن تصبح اللغة الهجين أكثر تقنينا و معيارية، وذلك بظهور المعاجم و كتب النحو والصرف والنطق لهذه اللغة. وإضافة إلى ذلك، قد يحدث كما هي العادة اتصال بين متحدثي اللغة الهجين ومتحدثي اللغة التي اشتقت منها اللغة (Lexifier Language). و في النهاية تصبح اللغة أكثر مشابهة للغة التي اشتقت منها، وهذا يعرف بمرحلة نبذ اللغة المبسطة (Decreolization).

وتكون الأشكال اللغوية في المجتمعات الأربع التي لاحظها فرجسون على نوعين: النوع الأول يكون عادة على شكل لهجة فصحى تسمى بالشكل اللغوي الأعلى (High Variety)، أما النوع الثاني فيأخذ شكل اللهجة العامية، ويسمى بالشكل اللغوي الأدنى (Low Variety). و نود أن نشير هنا إلى أن التسمية بالأشكال اللغوية العليا أو الدنيا التي استخدمها فرجسون لا تحمل أي تحامل أو انتقاص للهجات العامية، ولكنها اتخذت بناء على معايير و صفات سيتم ذكرها عندما نتحدث عن خصائص ازدواجية اللغة.

ويكون أفراد مجتمع ازدواجية اللغة على علم بمثل هذه الظاهرة، وإن كان هذا

العلم في معظم الأحيان يأخذ شكلا لا واعيا، حيث إن المتكلمين يعلمون بوجود مثل هذه الأشكال بل إن جميع الأشكال التي درسها فرجسون تحمل أسماء للشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، وهذه الأسماء كما يلي:

اللغة	الشكل الأعلى	الشكل الأدنى
اللغة العربية	الفصحى	العاميه،الدارجة
اللغة الألمانية في سويسرا	شرفتزبراخ	هوخت دويتش
اللغة اليونانية	كاثاريفوسا	ديموتكيه
لغة هايتي الهجين	فرانسيس	كريول هيشيان

و لم يكن الاستشهاد ببعض الأمثلة فيما يخص المفردات على وجه الخصوص بالأمر الهين، و ذلك لأن اللهجة العامية المتكلمة في أثينا – على سبيل المثال – تختلف عن باقي اللهجات العامية المتكلمة في اليونان. مثال آخر على مبعث هذه المشكلة هو وجود العديد من اللهجات العامية في الوطن العربي، و عند ذكر أمثلة من اللهجات العامية العربية فمن أي لهجة يجب أن تؤخذ هذه الأمثلة؟ هذه المشكلة التي واجهت فرجسون في دراسته عندما أراد ذكر أمثلة من العامية رأى حلها كما يلي: أن يستخدم اللهجة العامية المستخدمة كلهجة المدينة التي تمثل المركز الحضاري والثقافي والتجاري للدولة صاحبة اللغة، وعلى هذا الأساس تم اختيار لهجة أثينا في ازدواجية اللغة في اليونانية كي تكون هي النوع الأدنى. أما إذا كان هناك أكثر من بلد واحد يتكلم اللغة المقصودة وفي كل بلد يوجد العديد من اللهجات العامية المختلفة عن البلاد الأخرى – كما هو الحال في اللغة العربية – فقد اختار اللهجة المصرية

العامية المتكلمة في القاهرة. مثل هذا التخصيص له ميزة الاستدلال بالأمثلة بدلا من إيراد العديد من الأمثلة من لهجات مختلفة حتى ولو كانت تلك اللهجات تتبع لغة واحدة.

هذه المشكلة لم تكن بنفس الدرجة من الحدة عندما أراد فرجسون أن يستشهد بأمثلة من اللهجات الفصحى، حيث إن جميع الأشكال اللغوية التي ذكرها كأمثلة للهجات العليا لها نظام كتابة متفق عليه من قبل أصحاب اللغة، كما أن هذه الأشكال قد ألف لها العديد من كتب النحو والمعاجم وهذا بلا شك يسهل عملية الرجوع إليها. في اللغة العربية – على سبيل المثال – هناك التشكيل الذي يوضع إما أعلى الحرف وإما أسفله، و هذا يساعد على نطق الكلمة نطقا صحيحا.

لقد عرف فرجسون ازدواجية اللغة على أنها: "وضع لغوي ثابت نسبيا يكون فيه – بالإضافة إلى لهجات اللغة (والتي قد تشمل لهجة معيارية أو لهجات معيارية إقليمية) – نوع من اللهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع ومنظم أو مصنف للغاية. وعادة ما يكون هذا النوع أكثر تعقيدا من الناحية اللغوية: النحوية والصرفية والتراكيب الصوتية، و عادة ما يكون أعلى من غيره. هذا النوع يكون عادة لغة لأدب مكتوب يحظى باحترام أفراد المجتمع. و يكون مصدر هذا الأدب إما من عصور سابقة وإما من مجتمع آخر غير المجتمع الذي توجد فيه ازدواجية اللغة. هذا النوع من اللغة يتم تعلمه عن طريق التعليم الرسمي (المدارس والمعاهد) ويستخدم للعديد من أغراض الكتابة والتحدث الرسمية. و لكن هذا النوع من اللهجة لا يستخدمه أي قطاع من قطاعات المجتمع لغرض المحادثة الرسمية".[١]

و كما هي العادة في حالة الرغبة في تعريف أية ظاهرة أو فكرة لغوية، فقد حاول فرجسون أن يجمع كل الخصائص المميزة لازدواجية اللغة في سطور محدودة. وهذا بالطبع أضفى على تعريفه بعض التعقيد وعدم الوضوح، ولكن هذا التعريف سوف

---

[١] فرجسون، ١٩٥٩م، ص ٣٢٥.

يتضح لنا أكثر عندما نستعرض إن شاء الله خصائص أو صفات ازدواجية اللغة.

٣-خصائص ازدواجية اللغة.

نلاحظ من التعريف السابق أن هناك بعض الخصائص أو المميزات الواجب توافرها في لغة مجتمع ما كي يتم اعتبار هذا الوضع اللغوي صالحا لوصفه بازدواجية اللغة، وقد أورد فرجسون في بحثه الخصائص أو الصفات التسع التالية:

٢-١ الوظيفة (Function).

يعتبر فرجسون، ومعظم الذين اتبعوه في دراسة ظاهرة ازدواجية اللغة، أن الوظيفة التي يؤديها الشكل اللغوي من أهم خصائص هذه الظاهرة. فهناك بعض المناسبات أو الأوضاع الاجتماعية التي تحتم استخدام اللهجة العليا،كاللهجة العربية الفصحى في مثاله عن اللغة العربية، بينما هناك بعض الأوضاع التي يكون استخدام اللهجة الدنيا، كاللهجة المصرية المتحدثة في القاهرة، ضرورة حتمية. هذا التخصيص في الوظيفة يكون ثابتا على وجه الإطلاق فيما عدا بعض الحالات التي تكون من الندرة بمكان حتى إنها لا تستدعي الذكر. هذا التخصيص في الوظيفة أو الاستخدام معروف لجميع طبقات المجتمع مهما كانت درجة تعلم أفراد ذلك المجتمع. وهذا الإدراك من جانب الأفراد والمجتمع ككل نستطيع تتبعه في رد الفعل لدى هؤلاء الأشخاص، عندما نستخدم الشكل اللغوي الخاطئ أو اللهجة الخاطئة في وضع يستدعي استخدام الشكل الآخر أو اللهجة الأخرى. ومن أمثلة المواضع التي تتبع هذا التخصيص ما ذكره فرجسون[١] مايحتويه الجدول التالي:

[١] فرجسون، ١٩٥٩م، ص ٣٢٩.

	الشكل اللغوي الأعلى	الشكل اللغوي الأدنى
١- المناسبات الدينية أو الخطب في المساجد	×	
٢- الرسائل الشخصية	×	
٣- الخطب في البرلمان	×	
٤- التحدث إلى الأهل والأصدقاء والزملاء		×
٥- الشعر	×	
٦- الشعر الشعبي		×
٧- محاضرات الجامعات	×	

فـاسـتـخـدام أي شكل لغـوي مكان الآخـر في مـثل هذه الأوضـاع يعـتـبـر خطأ اجتماعيا، وقد يدعو للسخرية من المتحدث كما في حال اللغة العربية واللغة اليونانية، أو قد يكون باعثا لاتهام المتكلم بعدم الولاء اللغوي للهجته كما في حال اللغة الألمانية المتـحـدثة في سـويسـرا والهـجـينة في هـايتـي. و بإمـعـان النظر في الجـدول السـابق

المقتبس من عمل فرجسون، يتضح لنا أننا بوصفنا متكلمين للغة العربية كلغة أم على وعي وإدراك بضرورة التقيد بمثل هذه الأوضاع، وهذا يحتم استخدام شكل لغوي بدل الآخر. فهناك يبدو أن للفرد حرية الاختيار ولكن هذا الاختيار محكوم بضوابط اجتماعية ثابتة. فلو سمعنا أن فلانا من الناس يلقي محاضراته في جامعة ما مستخدما العامية والتي قد تكون مفهومة لبعض طلابه، فإننا لا محالة سوف ننظر لهذا الاختيار باستخدام العامية كخطأ اجتماعي حيث إن الوضع في هذه الحالة يحتم استخدام اللغة العربية الفصحى أو شكلا من اللغة قريبا جدا من اللغة العربية الفصحى و بعيدا كل البعد عن العامية.

و دليل آخر على وعينا بوجود مثل هذا التخصيص في الوظيفة باستخدام أحد الأشكال اللغوية – هو ما نسمعه ونقرأه في حياتنا اليومية عن الصراع الدائر بين من يرون أن الشعر لا بد أن يكتب ويلقى باللغة العربية الفصحى وبين من يؤيدون ضرورة و جود نوع من الشعر الشعبي، بل و في بعض الأحيان يرون تطويره والعناية به لأنه امتداد للموروث الشعبي الذي لا بد لنا من المحافظة عليه. مهما كانت أوجه الجدل حول هذا الموضوع فإنه يلقي الضوء على شعورنا بأن الشعر لا بد أن يكتب ويلقى باللغة العربية الفصحى، لأن هذا الوضع تحتمه وظيفة استخدام اللغة العربية الفصحى. مما تقدم يبدو واضحا لنا أننا على وعي بموجبات استخدام الشكل اللغوي المناسب في أي وضع أو مناسبة كجزء من اكتسابنا لغتنا الأم والأعراف التي تكتسب باكتساب اللغة.

و بالنظر إلى الجدول السابق أيضا يتضح لنا أن ما كان يقصده فرجسون هو تقسيم الوظائف التي تقوم بها اللغة إلى وضعين فقط: فالوضع الأول هو وضع رسمي يحتم استخدام الشكل اللغوي الأعلى، بينما الوضع الآخر وضع غير رسمي لا بد معه من استخدام الشكل اللغوي الأدنى. إذن فليس هناك نظرة لهذه الأوضاع من جهات متعددة مثل : الوضع الرسمي، الوضع شبه الرسمي، والوضع غير

الرسمي، والوضع شبه غير الرسمي.

٢-٢ المنزلة (Prestige).

الخاصية الثانية من خصائص ازدواجية اللغة هي: المنزلة. فاللهجة العليا يعتبرها جميع أفراد المجتمع لهجة عالية المستوى، ولا يقارن مستواها بمستوى اللهجة الدنيا. هذا الاحترام العميق أو المقام العالي الذي تتمتع به اللهجة العليا قد يقود بعض أفراد المجتمع إلى إنكار وجود اللهجة الدنيا. أما الأفراد الذين لا ينكرون وجودها فإنهم ينظرون لها على أنها انحراف عن معايير اللغة العليا. هذا الانحراف اللغوي، بالنسبة لهؤلاء الأفراد، ينظر له على أساس أنه سوء استخدام للهجة العليا. هذا الاحترام و التقدير اللذان يكنهما للهجة العليا متحدثون في ذلك المجتمع قد يكونان بشكل غير واعٍ أو غير محسوس. فلو طلب منا فرد لا يتكلم اللغة العربية أن نعلمه لغتنا، فإن فرجسون متأكد من أننا سوف نعلمه اللغة العربية الفصحى بدون تردد أو حتى تفكير في تعليمه لهجتنا العامية.

وتنبع هذه المنزلة التي تحظى بها الفصحى من إيمان بعض الباحثين والمهتمين في شئون اللغة من أفراد المجتمع العربي ممن وصف منهجهم بالمنهج التأثيري، واعتقادهم بأن العامية إنما هي انحراف لغوي يجب ألا ينساق وراءه أفراد المجتمع[1]. وقد يتطور مثل هذا الوصف للعامية إلى وصف وجودها بأنه حالة طبيعية تمر بها جميع لغات الأرض، ولكن مثل هذا التطور وإن بدأ طبيعيا في حالة اللغة العربية إلا أنه يبقى "...انحرافا مهما يكن من منطقيته أو وضعيته أو طبيعته"[2]. وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل قد يتعداه إلى وصف وجود العامية في المجتمع بأنها حالة مرضية. فقد ذكر أنطوان صياح أن الانفعال العاطفي وخلطه بالموقف العلمي قد

[1] سمير الفيصل، ١٩٩٢م، ص٩.

[2] د. شكري الفيصل، ١٩٩٠م، ص٣٩.

يقود إلى مقولة البعض "بأن العامية عندنا حالة مَرَضية... وليقل علماء اللغة ما شاؤوا فربما يقولون مدفوعين بدافعهم..."[1].

ومن أمثلة احترامنا للغتنا العربية الفصحى، أن العديد من الأفراد الذين حظوا بتعليم عالٍ وأحيانا ممن تخصصوا في اللغة العربية ينفون استخدامهم للهجة المحلية. هذا النفي قد يكون له ما يبرره عندما نتحدث عن أسلوبهم في الحديث أو اللهجة التي يختارونها في إلقاء محاضراتهم أو في المقابلات الرسمية، ولكنا لا نعتقد أن هناك من يستخدم اللغة العربية الفصحى في الحديث مع أهله وأولاده أو حتى مع أصدقائه ومعارفه بغض النظر عن المستوى التعليمي أو الثقافي، ولكنهم بدلا من ذلك يستخدمون لهجاتهم العامية. وهذا ما أيده أنطوان صياح بقوله "فأي متلاغ باللغة العربية لن يلجأ في تعاطيه اليومي مع أفراد عائلته إلى استعمال العبارات الفصيحة؛ إنما ينساق بكل عفوية إلى استعمال عاميته التي اعتاد عليها وارتاح إلى استعمالها في سائر حياته التي تبتعد عن الإطار العمومي"[2].

و عندما لا يستخدم الفرد العامية في حديثه، فإننا كأفراد في ذلك المجتمع سوف ننظر لحديثه على أنه مصطنع في محاولة لاكتساب الاحترام عن طريق فرضه اللغة العربية الفصحى في مواضع لم نألف استخدام هذا النوع من اللغة فيها. وسواء كان هذا الفرد محقا في استخدامه الدائم للغة العربية الفصحى أو أن أفراد المجتمع كانت نظرتهم الانتقادية صحيحة، فإن هذا الوضع يبين لنا مدى ما نكنه من احترام للغة العربية الفصحى وانتقاص للعامية.

٢-٣ التراث الأدبي (Literary Heritage).

في جميع الحالات الدراسية التي ذكرها فرجسون، دائما ما يتمتع الشكل

[1] أنطوان صياح، ١٩٩٥م، ص٩٧.

[2] أنطوان صياح، ١٩٩٥م، ص٧.

الأعلى من اللغة بتراث أدبي أكبر من التراث الأدبي الذي تحظى به اللهجة الدنيا. ويكون هذا التراث الأدبي الذي يتبع الشكل اللغوي الأعلى محل التقدير والاحترام، وإن كان هناك بعض أفراد المجتمع ممن يرون أن التراث الأدبي للهجة الدنيا يمثل أدبا حقيقيا جديرا بالدراسة والتحليل. وهذا التراث الأدبي في الحالات الدراسية التي ذكرها فرجسون يكون على نوعين :

(أ) أن يكون هذا التراث الأدبي امتدادا لتراث سابق مكتوب بالشكل الأعلى من اللغة والذي يمثل لمتحدثي هذه اللغة اتصالا بماضٍ زاهر مجيد. هذا النوع من التراث الأدبي ينطبق على حالة اللغة العربية واللغة اليونانية، فنحن في لغتنا العربية نقدر عظيم القدر ما نسمعه من شعر قديم قد نظم باللغة العربية الفصحى، وما احتفاظنا حتى الآن بالمعلقات السبع وشعر امرئ القيس وطرفة بن العبد وغيرهم من شعراء العصر الجاهلي أو بشعر من تلاهم من شعراء العصر الإسلامي، إلا مثال على مثل هذا التقدير والاحترام للأدب الذي استُخدمت اللغة العربية الفصحى في إنشائه. ومثال آخر على هذا النوع من التقدير هو أننا ما زلنا حتى الآن نستطيع الرجوع إلى ما كتبه الجاحظ والأصفهاني وغيرهم، كما أننا ما زلنا نحتفظ بالمقامات كمقامات الحريري وغيرها. أما في حالة اللغة اليونانية، فإننا نستطيع حتى الآن الحصول على مسرحيات سوفيكليس و إلياذة هوميروس. إن وجود مثل هذه الأعمال القديمة المكتوبة بالشكل الأعلى من اللغة، لا يدع مجالا للشك في مدى الاحترام والتقدير الذي يتمتع به التراث الأدبي للشكل اللغوي الأعلى. وهناك نقطة أخرى جديرة بالذكر، هي أنه حتى في وقتنا الراهن هناك بعض الكتاب يستخدمون بعض الألفاظ الفصيحة والتي لا يستطيع الفرد العادى ذو مستوى التعليم المحدود فهمها دون الرجوع إلى معاجم اللغة. في حالة مرورنا بمثل هذه الأعمال الأدبية التي تستخدم هذا النوع من كلمات اللغة الفصحى، نشير إلى قدرة وسعة اطلاع الكاتب



بدلا من أن نطلب من هذا الكاتب ان يستخدم لغة مبسطة مفهومة.

(ب) قد يكون التراث الأدبي آتيا من مجتمع آخر غير المجتمع الذي توجد به ازدواجية اللغة. فمثلا في حالة اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا، نجد أن لغة التراث الأدبي الذي يحظى بالاحترام هي اللغة الألمانية الفصيحة والأعمال الأدبية من تأليف أفراد في مجتمع الشكل اللغوي الأعلى- أي الأدباء الموجودون في ألمانيا. في الحالة الدراسية الثانية، هجينة هايتي، لم يأت هذا التراث الأدبي الحاظي بقدر أعلى من الاحترام من هايتي ولكن أتى من فرنسا، حيث إن اللغة الفرنسية كما سبق الذكر هي الشكل الأعلى للغة في هايتي.

من هذه الحالات الدراسية السابقة نستطيع القول بأن التراث الأدبي المكتوب بالشكل الأعلى من اللغة (اللغة العربية الفصحى أو اللغة اليونانية العليا - كاثاريفوسا) هو الذي يحظى باحترام أفراد المجتمع. ولكن يبدو أن هذه الخاصية لا تنطبق على جميع الحالات الدراسية التي أوردها فرجسون، فقد ذكر مولتون أن هذه الخاصية وإن كانت تنطبق على بعض الحالات التي ذكرها فرجسون، فإنها لا تنطبق على حالات أخرى، وقد ذكر على وجه الخصوص اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا[١]. ففي هذه الحالة الدراسية يبدو أن الوضع مختلف بعض الشيء، حيث إن التراث الأدبي المكتوب باللهجة المحلية في سويسرا يحظى باحترام أكبر لدى السويسريين من الأدب المكتوب باللغة الألمانية، علما أن اللهجة المحلية هي إحدى لهجات اللغة الألمانية.

٢-٤ الاكتساب (Acquisition).

يقصد بالاكتساب هنا الوسيلة التي يتم عن طريقها اكتساب اللغة كلغة أم، وفي

[١] مولتون ١٩٦٢م.



جميع الحالات الدراسية الأربع التي ذكرها فرجسون يستخدم البالغون اللهجة العامية أو المحلية (الشكل اللغوي الأدنى) عندما يتحدثون مع أطفالهم، كما أن الأطفال يستخدمون هذا الشكل اللغوي عندما يتحدثون فيما بينهم. وهنا يتضح أن الشكل اللغوي الأدنى يكتسب بطريقة طبيعية. ونستطيع أن نرى مدى صحة هذه الخاصية عندما ننظر إلى الأطفال ممن بلغوا الخامسة من العمر مثلا، فهؤلاء الأطفال يتحدثون دائما اللهجة العامية، كما في حالة اللغة العربية، إذ إن هذه اللهجة ينقلها الآباء للأطفال ولكنهم في الوقت نفسه لا ينقلون أو يعلمون اللغة العربية الفصحى لأطفالهم. وعلى النقيض من طريقة اكتساب اللهجة العامية، يتم اكتساب الشكل اللغوي الأعلى عن طريق التعليم الرسمي، وما يشمله هذا التعليم من ذهاب إلى المدارس ووجود المعلمين القادرين على تعليم اللغة الفصحى. هذا التعليم يكون رسميا لما يشتمل عليه من كتب مدرسية وأهداف موضوعة من قبل الأشخاص الموكل لهم عملية التخطيط. من هنا يتضح لنا أن اللهجة العامية هي اللغة الأم الحقيقية لأفراد المجتمع. وهؤلاء الأطفال ينشأون قادرين على فهم هذا الشكل اللغوي الأدنى واستخدامه في التعامل مع الآخرين، أما اللغة الفصحى أو الشكل اللغوي الأعلى فإن اكتسابه يتم بشكل يشبه إلى حد كبير الطريقة التي يتم بها تعلم اللغة كلغة ثانية.

وقد يبدو في حالة اللغة العربية أن رسم هذه الفوارق بين اكتساب اللغتين أشبه ما يكون بالتطرف، فنحن نستطيع أن نفهم جزءا كبيرا من اللغة العربية الفصحى عند سماعها، حتى ولو لم نستطع أن نحصل على قدر كبير من التعليم الرسمي. وهذا ما لا يؤيده صياح بقوله "...إن من لم يدخل المدرسة ويتعلم فيها العربية يبقى مغلقا على عالمها في مستواه المكتوب وتبقى كنوزها دفينة عليه..." [1].

والسؤال المطروح الآن هو : هل نستطيع استخدام اللغة العربية الفصحى

---

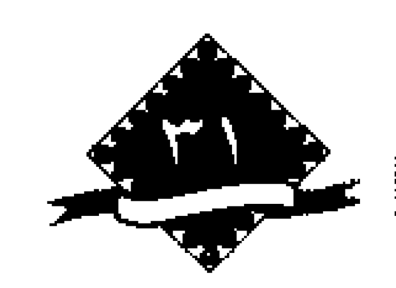
[1] أنطوان صياح، ١٩٩٥م، ص٧.

استخداما صحيحا دون الإلمام بقواعد اللغة العربية الفصحى؟ الإجابة عن هذا السؤال تبدو لي بالنفي؛ وتعلم اللغة العربية الفصحى يتم عادة بشكل يشبه إلى حد كبير تعلم اللغة الثانية لما تشتمل عليه عملية تعلم اللغة العربية الفصحى من ضرورة الإلمام بقواعد النحو، والذي عادة ما يأخذ شكل الحفظ. فقواعد اللغة الثانية عندما يتم تعلمها تتبع غالبا هذا المنهج من الحفظ، وفي النهاية نجد أن هناك وجه شبه بين تعلم اللغة العربية الفصحى وتعلم اللغة الثانية.

مثال آخر يدعم رأى فرجسون في طريقة اكتساب الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى هو ما يعانيه معلمو اللغة العربية الفصحى في البلاد العربية، وأخص بالذكر هنا البلاد التي تكون لهجاتها العامية بعيدة بعض الشيء عن اللغة العربية الفصحى في قواعدها وكلماتها، عندما يقومون أعمال طلابهم في مادة الإنشاء. فالمعلمون في هذه الحاله يواجهون مشكلة وجود تراكيب لغوية خاطئة في تكوين الجملة، كما أنهم بالإضافة إلى هذا يجدون أن طلابهم يكتبون العديد من الكلمات العامية وهو ما قد يبدو للمعلم على أنه اختيار خاطئ للكلمات. مثل هذه الأخطاء في الإنشاء أو حتى في الكتابة ليست مقتصرة على المراحل الدنيا من التعليم، بل قد تصل إلى المراحل العليا كما في حالة بعض طلاب الجامعات. فقد ذكر مطر أن أحد طلابه قد كتب صدر البيت التالى "هل غادر الشعراء من متردم" ولكنه استخدم حرف القاف في كلمة "غادر" بدل حرف الغين [١]. وهذا يعود إلى أن اللهجة العامية المتحدثة في قطر تبدل القاف غينا في بعض الكلمات. فمثل هذه الأمثلة و ما شابهها يؤيد إلى حد كبير ما يراه فرجسون في طريقة اكتساب الأشكال اللغوية. ومن الواضح أن هذين الشكلين المختلفين للاكتساب يبدوان طبيعيين؛ لأن اللهجة العامية هي التي نستخدمها دائما في حديثنا في منازلنا ومع أطفالنا، وما دمنا نستخدم هذا الشكل اللغوي فمن المؤكد أن الأطفال سوف يكتسبون الشكل الذي يستخدمه آباؤهم، وأن اللغة الفصحى

---

[١] مطر، ١٩٨٥م.



سوف يتم تعلمها فيما بعد وعن طريق التعليم الرسمي وبشكل واع.

٢-٥ المعيارية أو التقنين (Standarization).

نستطيع أن ننظر للمعيارية هنا على أنها تتكون من جزءين : ففي الجزء الأول يتم قبول شكل لغوي على أنه عرف لغوي أرفع من الأشكال اللغوية الأخرى، ويتبع هذا القبول في الجزء الثاني من عمليات التقنين والتحديث حيث يتم التوسع في كلمات ذلك الشكل اللغوي، وما يصحب هذا التحديث من وضع للمعاجم وكتب النحو التي تحدد لمتحدثي اللغة الاستخدام اللغوي الصحيح. وفي ازدواجية اللغة يكون الشكل اللغوي الأعلى دائما هو الشكل الذي كتب وما زال يكتب له العديد من كتب النحو والصرف والتراكيب الصوتية، بالإضافة إلى المعاجم اللغوية التي تحمل في طياتها معاني مفردات ذلك الشكل. بالإضافة إلى هذا فإن هناك إجماعا بين أفراد ذلك المجتمع على طرق النطق الصحيحة والقواعد النحوية وحتى على قواعد الإملاء والخط الخاصة بالشكل اللغوي. وهناك كم هائل من الدراسات الوصفية وأحيانا التحليلية يقابله تقصير في دراسة الشكل اللغوي الأدنى بنفس الكم أو الأسلوب. فالدراسات اللغوية المرتبطة بالشكل اللغوي الأدنى من اللغة تتم غالبا من قبل باحثين لغويين أجانب لا ينتمون إلى ذلك المجتمع، وعادة ما تكون هذه الدراسات مكتوبة بلغة غير لغة ذلك المجتمع. فعلى سبيل المثال من الممكن أن نجد معاجم اللغة العربية الفصحى مع العديد من الكتب التي تصف بناء وتكوين الجمل، بالإضافة إلى كم هائل من كتب النحو القديمة والجديدة والتي تدرس إما تفصيلا وإما إجمالا القواعد النحوية. هذا يقابله في اللهجة العامية بعض الكتب النحوية القليلة، وتأخذ هذه الكتب شكلا وصفيا وتحمل عناوين مثل اللهجة العامية المصرية أو لهجة المغرب العامية. ثم إن الهدف من كتابة هذه الكتب هو عرض هذه اللهجات للأفراد الذين لا يتحدثونها كلغة أم، وذلك



بقصد تعلمها.

يرى فرجسون أن هناك شكلين للمعيارية بالنسبة للهجات العامية أو ما يسميه بالشكل اللغوي الأدنى، ففي المجتمعات الصغيرة والتي عادة ما يكون لها مركز حضري موحد، مثل مدينة أثينا باليونان بالنسبة لحالة اللغة اليونانية، تكون اللهجة العامية المتحدثة في تلك المدينة هي المعيار للشكل الأدنى مع محاولة باقي أفراد القرى والمدن الأخرى تقليد هذه اللهجة إلى حد كبير. أما في المجتمعات التي لا يكون لها مركز حضري موحد كما هو الحال بالنسبة للغة العربية، فإن هناك العديد من اللهجات الإقليمية والتي تكون معيارية في إقليمها. ففي مصر، على سبيل المثال، نستطيع القول بأن اللهجة العامية المتحدثة في القاهرة من قبل الطبقة المتعلمة تخدم ذلك النوع من المعيارية. أما باقي الأفراد في تلك الدولة فإنهم يحاولون تقليد هذه اللهجة عندما يتحدثون إلى الأفراد الموجودين في المركز الحضري للإقليم، وفي هذا المثال فإنه المركز هنا هو القاهرة.

من هذا الوصف يبدو أن هناك سؤالين مطروحين للبحث : الأول هو: هل هناك نسبة محددة أو عدد معين لا بد من الحصول عليه من هؤلاء الأفراد الذين يعيشون في المركز الحضري، والذين يحاولون تقليد اللهجة العامية الإقليمية عندما يريدون الاتصال أو التحدث إلى أفراد تلك اللهجة؟ بمعنى آخر : هل نقول إن هذا الجزء من السمة صحيح في حالة وجود ما لا يقل عن (٥٠٪) أو أكثر من أفراد اللهجات الأخرى الذين يحاولون تقليد اللهجة العامية الإقليمية؟ هذا التساؤل لم يطرحه فرجسون للبحث ولم يشر إليه في دراسته. وكما هو معروف لدى اللغويين فإنه ليس من المعقول تعميم مثل هذه النتيجة، لمعرفتنا المطلقة بأن هناك أفرادا من هذه المجتمعات ممن يدينون بالولاء للهجاتهم المحلية و ممن يرون أيضا أن لهجاتهم تلعب دورا مهما في علم اللغة الاجتماعي، وهو ما يسمى بدور التعريف والتحديد (Identifying and Defining). فاللهجة في هذا المقام تلعب دور التعريف، والذي يتم

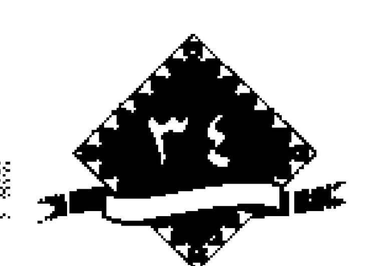
عن طريقه تعريف أفراد معينين من قبل الآخرين على أنهم متحدثون للهجة ما، كما أنها أيضا تلعب دور التحديد والذي من خلاله يحدد هؤلاء الأشخاص لهجتهم وذلك بعدم محاولة تقليد اللهجة العامية الإقليمية. وهذا لا يعني بطبيعة الحال عدم وجود مثل هذا التقليد؛ فهو مما يمكن مشاهدته في حياتنا اليومية. وهنا يبدو أن فرجسون رأى التعميم إجمالا دون محاولة الخوض في تفاصيل هذا الوضع.

السؤال الثاني والذي لم يجب عنه فرجسون أو يأخذه بعين الاعتبار هو : ما درجة المعيارية المطلوبة للفصل بين الشكلين اللغويين حتى نستطيع أن نسمي هذا الوضع بازدواجية اللغة؟ هل من الممكن اعتبار وجود معاجم لغوية وكتب نحوية أخرى تناقش التراكيب اللغوية والنطق والإملاء والخط للشكل الأعلى من اللغة مع عدم وجود مقابل لهذه المعيارية في الشكل اللغوي الأدنى كافيا بحد ذاته لأن نعتبر المعيارية أو التقنين خاصية من خواص ازدواجية اللغة؟ هذا السؤال يبدو من الصعب الإجابة عنه، نظرا لوجود أكثر من مستوى من مستويات المعيارية اللغوية [1]. فقد أوضح كلوس أنه من الممكن أن نضع اللغة في واحد من مستويات خمسة بناءً على مدى مطابقتها لبعض المواصفات التي وضعها، هذه المستويات الخمسة من المعيارية اللغوية هي كما يلي :

(١) اللغة المعيارية الناضجة: يتميز هذا المستوى بأن جميع حقول المعرفة الحديثة من الممكن تدريسها باستخدام هذه اللغة في مستويات التعليم العليا كالجامعات والكليات. واللغة العربية الفصحى، على سبيل المثال، ترتقي إلى هذا المستوى من المعيارية.

---

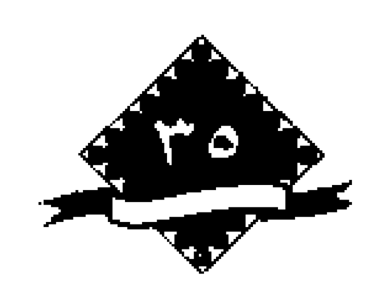
[1] كلوس، ١٩٦٨، ص ٧٨.



(٢) اللغة المعيارية للمجموعات الصغيرة: هذه اللغة لها أعراف لغوية (من نحو وتراكيب لغوية وطرق كتابة) متفق عليها من قبل جميع أفراد المجتمع منذ زمن طويل، ولكن هذا المجتمع من الصغر بحيث يجعل استخدام هذه اللغة للتعامل مع معطيات الحضارة أمرا غير ممكن. أما على مستوى التعامل في ذلك المجتمع فإن هذه اللغة تفي بالأغراض المحلية للاتصال بين أفراد ذلك المجتمع. ومن اللغات الممكن اتخاذها مثالا على هذا المستوى من المعيارية، بعض لغات الأقليات فيما كان يعرف سابقا باسم الاتحاد السوفيتي، والتي تخدم غرض الاتصال بين أفراد تلك الأقليات، ولكن هذه اللغة لا تستطيع الوفاء بمستلزمات الحضارة من حيث مواكبة لغة العصر الحديث والمخترعات، أو القدرة على استخدامها كلغة تعليم في المستويات العليا من المراحل التعليمية كالجامعات مع إمكان استخدامها في المراحل الدنيا من السلم التعليمي، كما في التعليم الابتدائي.

(٣) اللغة المعيارية الحديثة: هذا المستوى الثالث من المعيارية يضم اللغات التي تم لها حديثا كتابة المعاجم وكتب النحو وخلافه، وتشبه هذه اللغة إلى حد كبير اللغة المعيارية للمجموعات الصغيرة، فمن الممكن استخدامها كلغة تعليم في المراحل الدنيا كالتعليم الابتدائي، ولكنها لا تفي بالأغراض التعليمية في المراحل العليا من التعليم. ووجه الاختلاف بين هذين المستويين هو عدم وجود مؤشر على أن لغات المستوى الثاني من المعيارية (اللغة المعيارية للمجموعات الصغيرة) من الممكن استخدامها في التعليم العالي في المستقبل، ولكن لغات هذا المستوى الثالث قد تصبح بعد فترة من الزمن لغات مستخدمة في التعليم الجامعي. هنا يأتي دور مخططي السياسة التعليمية لذلك البلد في دفع هذه اللغة قدما، بحيث يصبح بالإمكان استخدامها في التعليم العالي.

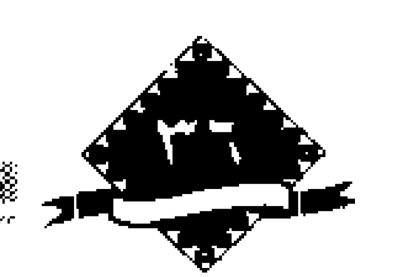
ومن اللغات التي يمكن اتخاذها مثالا على هذا المستوى من المعيارية اللغة



السواحلية في تنزانيا، فهذه اللغة وحتى عهد قريب (عام ١٩٣٩م) كانت من اللغات التي ليس لها معاجم أو كتب نحوية أو حتى قواعد إملاء وخط متفق عليها من قبل جميع أفراد ذلك المجتمع. ولكن السياسة التعليمية في تنزانيا كانت تطمح إلى دفع اللغة السواحلية كي تصبح لغة معيارية. ومن أمثلة هذا الدفع تأليف العديد من الكتب التي تشرح القواعد النحوية لهذه اللغة، بالإضافة إلى النواحي اللغوية الأخرى واعتمادها كلغة للتعليم الابتدائي [١] في عام (١٩٦١م). ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن ما زال معهد أبحاث اللغة السواحلية في جامعة (دار السلام) يبذل محاولات لدفع هذه اللغة لاستخدامها بدلا من اللغة الإنجليزية كلغة تعليم في المستويات الجامعية. وقد كتب لهذا الدفع قدر محدود من النجاح، بحيث أصبحت اللغة السواحلية لغة التعليم الجامعي في بعض التخصصات، بالإضافة إلى استخدام هذه اللغة كلغة تعليم في كلية تدريب المعلمين.

(٤) اللغة المكتوبة غير المعيارية: هذا المستوى يضم اللغات التي ليس لها معاجم لغوية ولا كتب نحو، ولكن قد تم الاتفاق بين أفراد المجتمع على قبول شكل كتابي لها. فمن الممكن هنا كتابة اللغة باستخدام الحروف الهجائية، ولكن هذا النوع من الكتابة ينقصه الجانب النحوي. ومن أمثلة هذا المستوى اللغة اللورقيشية في لوكسمبورج، وإن كانت هذه اللغة تسير بشكل بطيء باتجاه المستوى الثالث. فهناك أعراف متفق عليها لكتابة هذه اللغة التي ينقصها التقنين اللغوي، وحديثا تم إصدار كتب للأطفال على شكل قصص مسلية بهذه اللغة. وهنا يأتي أيضا دور مخططي السياسة التعليمية في دفع اللغة قدما، وإن كان هذا الدفع في لوكسمبورج لا يشابه وضع اللغة السواحلية في تنزانيا، نظرا لقناعة مخططي السياسة التعليمية بأن اللغتين الألمانية والفرنسية المستخدمتين الآن كلغتي تعليم في لوكسمبورج، قادرتان على

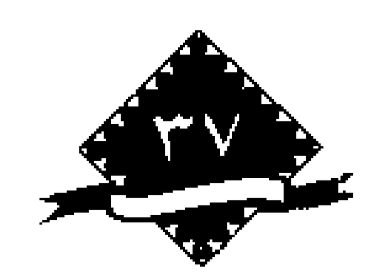
[١] ويتلي، ١٩٦٩، ص ٦٥.



الوفاء باحتياجات التعليم أفضل من اللغة الأصلية لذلك البلد.

(٥) لغة ما قبل التعليم (الأمية): ليس للغات هذا المستوى أية كتب نحوية مؤلفة كما أنه ليس هناك اتفاق بين أفراد المجتمع على طريقة كتابة موحدة لهذه اللغات، إذ إن هذه اللغات من النادر كتابتها وإن كانت وظيفتها مقتصرة على النواحي الكلامية. أي أن هذه اللغات تستخدم للتحدث بين أفراد المجتمع، ولكن عند الحاجة إلى الكتابة فلا بد من البحث عن بديل لهذه اللغة. ومن أمثلة هذا المستوى اللغة المتحدثة في أويروارت على الحدود الهنغارية - النمساوية. وذلك بالإضافة إلى أنه من الممكن اتخاذ اللهجات العربية في الماضي مثالاً على هذا المستوى، فاللهجات العربية العامية كانت وما زالت تستخدم للتحدث بين أفراد المجتمع، ولكن عند الحاجة إلى الكتابة فإننا نلجأ إلى اللغة العربية الفصحى. وفي الوقت الحاضر من الممكن كتابة اللهجات العربية مع عدم وجود اتفاق تام بين أفراد المجتمع على طريقة موحدة لكتابة هذه اللهجات، ومن أمثلة عدم الاتفاق صعوبة قراءة الشعر الشعبي مقارنة بالسهولة واليسر الذي نجده عند قراءة الشعر العربي المكتوب باللغة العربية الفصحى.

وكما أسلفنا فإن ما كان يبدو واضحا بالنسبة لخاصية المعيارية قد أصبح يحتمل العديد من التفسيرات، ولكن بالإمكان على ما يبدو تقسيم المستويات الخمسة الآنفة الذكر إلى قسمين : القسم الأول يضم المستويات: الأول والثاني والثالث، ونطلق عليه اسم اللغات المعيارية، أما القسم الثاني فيشمل المستويين الرابع والخامس، اللذين يبدوان أقرب للعامية من الفصحى أو الشكل الأدنى للغة من الشكل الأعلى. هنا نستطيع القول بأن خاصية المعيارية سوف تعبر عن وضع معين نريد تسميته بازدواجية اللغة متى وجد في المجتمع شكلان لغويان، أحدهما تنطبق عليه صفات القسم الأول والآخر من الممكن اعتباره مدمجا تحت مسمى القسم الثاني. وبالنظر



مرة أخرى إلى الحالات الدراسية التي أوردها فرجسون فإننا نلاحظ أن جميع الأشكال اللغوية العليا المستخدمة كانت من اللغات أو اللهجات الممكن وصفها بأنها ممثلة للمستوى الأول. أما الأشكال اللغوية الدنيا فإنها تتراوح بين لغات أو لهجات تقع في المستوى الرابع، كما في الشكل الأدنى من اللغة اليونانية المسماة (ديموتكية)، ولغات ولهجات تقع في المستوى الخامس كما في اللهجات العامية العربية وهجينة هايتي. أما اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا فإنه من الممكن اعتبارها من لغات المستوى الثاني، حيث إن هذه اللغة لها أشكال في سويسرا، وإن كانت هذه الأشكال لا تشابه التعدد الملاحظ في الدول العربية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشكل الأدنى في اللغة اليونانية قد اقترب كثيرا من المستوى الأول، وبعض أساتذة الجامعات يستخدمون هذا الشكل اللغوي في إلقاء محاضراتهم، وهناك الآن حركة قوية لدى متحدثي اللغة اليونانية لدعم هذا الشكل الأدنى لاستخدامها في جميع الوظائف الاجتماعية، هذه الحركة - وإن كانت قد بدأت في بداية هذا القرن - أصبحت بشكل أكثر كثافة وتركيزا منذ عام (١٩٦٧)م[١].

٢-٦ الثبات (Stability).

تعتبر ظاهرة ازدواجية اللغة وضعا لغويا ثابتا نسبيا من الممكن استمراره لمئات الأعوام، وفي بعض الحالات قد يصل عمر هذا الثبات إلى ألف عام. وبما أن فرجسون يرى هذا الثبات في الوضع اللغوي لمدة طويلة فإنه من المهم أن ننظر إلى اللغة العربية واللغة اليونانية اللتين استخدمهما فرجسون في بحثه - فيما استخدمه من لغات كما رأينا آنفا - لمناقشة ازدواجية اللغة. فالوضع في ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية يبدو لنا ذا عمر ثبات قصير، حيث إن هذه الظاهرة في اللغة اليونانية لم تكتمل إلا في مطلع القرن التاسع عشر. وكما لاحظنا سابقا ففي مطلع هذا القرن

[١] سوتيرولولوس، ١٩٧٧م، و براوننق، ١٩٨٢م.



بدأ باستخدام الشكل اللغوي الأدنى في وظائف كانت في السابق مقتصرة على الشكل اللغوي الأعلى، وإن كان بعض اللغويين يعتقدون أن بداية هذا الاستخدام كان في عام (١٨٨٨م)، عندما بدأ (يانس سيكارس) بطباعة وإصدار مجلة أسماها (تاكسيدى مو)، واتخذ الشكل اللغوي الأدنى لغة لها، ومن هنا نرى أن وضع ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية لم يستمر لأكثر من قرن.

وعلى الجانب الآخر نرى أن وضع اللغة العربية على العكس من الوضع السابق (وضع اللغة اليونانية)، فازدواجية اللغة في اللغة العربية على سبيل المثال يرجع إلى عهد ما قبل الإسلام وربما إلى عهد بعيد قبل ذلك العهد. أضف إلى ذلك ظهور اللحن في العربية والذي نتج عن اختلاط العرب بالأعاجم، والذي يرجع إلى عهد ما قبل الدولة العباسية. ومن هذا المنطلق نجد أن أعمال اللغويين العرب - و إن اختلفت المدة الزمنية بين ظهورهم - لم يكن لها ما يبررها لولا وجود شكل لغوي آخر غير اللغة العربية الفصحى قد بدأ في الظهور. هذه المؤلفات - بالإضافة إلى استشهاد الرواة و اللغويين بما كان يقوله أهل البادية في ذلك الوقت - تعطي خاصية الثبات بعدا آخر. وهنا نستطيع القول بأن خاصية الثبات تصف وضع اللغة العربية وصفا جيدا.

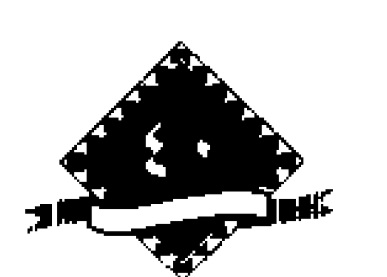
ومن المنطقي أن بداية ظهور ازدواجية اللغة في مجتمع ما قد صاحبه استخدام كلا الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى كوسيلة للتخاطب والاتصال، ولكن هذه الازدواجية لا تلبث أن يُستبدل بها بظهور شكل جديد أقل ثباتا ومعايرة، ويكون وسطا بين الشكلين اللغويين كظهور الشكل اللغوي المسمى (مكتى) في اللغة اليونانية، أو ما يسمى باللغة العربية الوسطى في حالة اللغة العربية، أو ما يسمى بـ(كريول دي صالون) في حالة هجينة هايتي. والعربية الوسطى هي ذلك الشكل اللغوي الذي يستخدم في مواضع شبه رسمية أو في حالة الاتصال بين أفراد ممن يتكلمون لهجات عربية مختلفة. هذه العربية الوسطى تحتوى على بعض المفردات من

اللغة العربية الفصيحة مع استخدام قليل لحركات الإعراب، وإن كان هذا الاستخدام قد يصل في بعض الأحيان أو الحالات إلى درجة العدم. وهذه العربية استمدت من اللغة العربية الفصحى القليل من التراكيب النحوية، ولكنها اعتمدت وبشكل كبير على التراكيب الصرفية والنحوية للهجات العربية. أما مفردات هذه العربية فإنها قد أخذت وبشكل رئيس من اللهجات العربية. وقد أصبح الخليط اللغوي في اللغة اليونانية ذا مكانة لدى أفراد ذلك المجتمع، واللغة المستخدمة في الطباعة تقارب إلى حد كبير شكل هذا الخليط. وعند الحاجة لإضافة مفردات جديدة لهذا الخليط فمن الممكن اقتراض هذه المفردات من الفصحى أو العامية، وإن كان الاقتراض من اللهجة العامية يتطلب شيوعا وكثرة استخدام تلك المفردات، أما الاقتراض من الفصحى فإنه يشبه إلى حد كبير اقتراض اللغات الرومانسية لبعض المفردات من اللغة اللاتينية، واقتراض اللغات الاندوارية الوسطى والحديثة من اللغة السنسكريتية. [١]

٢-٧ القواعد النحوية (Grammar).

إن سبب الاختلاف في الترجمة بين الكلمة العربية (القواعد) واللفظة الإنجليزية (Grammar) هو أن الكلمة الإنجليزية قد تستخدم لتشمل جميع أو معظم النواحي اللغوية في اللغة، بما في ذلك النحو والصرف والتراكيب الصوتية وخلافه. وعندما نذكر كلمة (القواعد) فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا قواعد اللغة العربية أو النحو، والذي لا يشمل الصرف والتراكيب الصوتية وما إليه. هنا يقصد فرجسون القواعد النحوية وهذا واضح من تخصيصه السمتين الأخريين لازدواجية اللغة لنواحٍ لغوية أخرى غير القواعد النحوية، ففي مجتمع ازدواجية اللغة يكون هناك اختلاف كبير بين

[١] فرجسون، ١٩٥٩م، ص ٣٣٢-٣٣٣.



التراكيب النحوية في الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى. ويتبلور هذا الاختلاف في وجود فئات وأشكال نحوية في الشكل الأعلى وعدم وجودها في الشكل اللغوي الأدنى. وبالإضافة إلى هذا فإن الشكل اللغوي الأدنى يفتقر إلى نظام الموافقة بين الأسماء والأفعال التي تتبعها، وهذه الموافقة قد تكون معدومة تماما في الشكل اللغوي الأدنى أو قد يكون وجودها على درجة أقل بمراحل من وجودها في الشكل اللغوي الأعلى.

فاللغة العربية الفصحى، على سبيل المثال، تمتلك حركات إعراب ثلاثا للأسماء، وتظهر إما مكتوبة فوق نهاية الاسم وإما مسموعة عند نطق هذه الأسماء، هذه الحركات تميز الاسم المرفوع من المنصوب من المجرور. ولكن في اللهجات العامية لا يوجد أثر لتلك الحركات الثلاث، وإن كانت الأسماء بالعامية تنطق دائما مسكّنة، فنحن نقول باللغة العربية الفصحى (ذهب الولدُ) بضم الدال وتختفي هذه الحركة (الضمة) من فوق الاسم نطقا عندما نقول (راح الولدْ) بتسكين الدال كما في اللهجة النجدية بالمملكة العربية السعودية. هذا الاختلاف بين الشكلين اللغويين ليس مقتصرا على حالة اللغة العربية، فاللغة الألمانية (ونقصد هنا المتحدثة في ألمانيا) تفرق بين أربع حالات للاسم، بينما لا تفرق اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا إلا بين ثلاث حالات من هذه الحالات الأربع. هذا يشبه وجود أربع حالات للاسم في الشكل اللغوي الأعلى باللغة اليونانية المسماة (كاثاريفوسا)، والذي يقابله وجود ثلاث حالات فقط للاسم في الشكل اللغوي الأدنى. وتميز اللغة الفرنسية بين العدد والجنس في الاسم (العدد يشمل المثنى والجمع والجنس يشمل المؤنث والمذكر)، بينما لا تفرق هجينة هايتي بين الأسماء فيما يخص العدد أو الجنس.

وفي جميع الحالات الأربع التي درسها فرجسون هناك اختلاف في ترتيب الكلمات في الجملة، فنذكر هنا على سبيل المثال أننا في حالة اللغة العربية الفصحى نجد في الجملة المكونة من فعل وفاعل ومفعول أن ترتيب الكلمات غير مقيد فنجد:

ضربَ محمدٌ زيدا .

وإذا قدمنا الفاعل على الفعل، وأصبحت الجملة اسما (مبتدأ) وفعلا ومفعولا (خبرا)، فالجملة في هذه الحالة تكون:

محمدٌ ضربَ زيدا .

وأيضا من الممكن تقديم المفعول به على الفعل وبدء الجملة بالاسم (المبتدأ) الذي كان فاعلا في الأصل كما في:

محمدٌ زيدا ضربَ .

هذه الحرية في مكان وقوع الفعل أو الفاعل أو المفعول به للتعبير عن أهم مفردة في الجملة. فالابتداء بالفاعل ينم عن رغبة المتحدث في تأكيد أن (محمد) مثلا هو من قام بالحدث. ويقابل هذه الحرية تقيد في ترتيب الكلمات في جملة اللهجات، فنستطيع في اللهجات العربية العامية أن نبتدئ الجملة بالفعل فالفاعل فالمفعول به، كما نستطيع أيضا تقديم الفاعل على الفعل والذي يتبع بالمفعول به، فنقول :

ضرب محمد زيد .

محمد ضرب زيد .

ولكن من غير الممكن أن نضع المفعول به بين الفاعل والفعل عندما نبتدئ الجملة بالفاعل، فالجملة التالية، على سبيل المثال، من غير الممكن قبولها كجملة صحيحة في اللهجات العامية العربية :

محمد زيد ضرب .

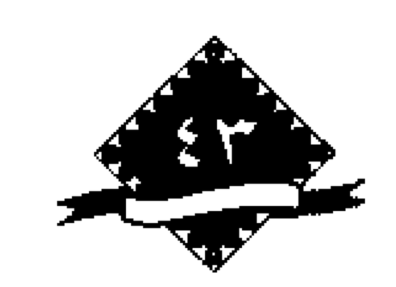
وهذه الأمثلة الدالة على وجود الاختلاف بين الشكلين اللغويين قد مكنت فرجسون من تأكيد هذا الاختلاف بقوله : "وهنا فإنه من الممكن أن نقول إن في ازدواجية اللغة دائما اختلافا كبيرا بين التراكيب النحوية للشكلين الأعلى والأدنى" [1].

وحتى يستطيع فرجسون وضع قاعدة عامة للعلاقة بين التركيب النحوى للشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، أراد أولا أن يوضح معنى القول: إن التركيب النحوي للغة ما أسهل من اللغة الأخرى أو الشكل اللغوي الآخر. ومن هنا افترض أن اللغة (أ)، على سبيل المثال، تكون أبسط من ناحية التركيب النحوي من اللغة (ب) في الحالات التالية :

(١) إذا كان التركيب الصرفي الصوتي للغة (أ) أبسط، وهذا يتضح من وجود بدائل قليلة ومنتظمة وتلقائية لأصغر وحدات اللغة التي تحمل المعنى. فعلى سبيل المثال، نستطيع اشتقاق صيغة الجمع من المفرد في اللغة التركية بإضافة إحدى لاحقتين، إما (لار) وإما (لير). هذه البدائل البسيطة والتلقائية يقابلها نظام معقد في اللغة الإنجليزية للجمع.

(٢) إذا كانت هناك فئات أقل في اللغة (أ) تتطلب عادة الاتفاق على الوحدات

[1] فرجسون، ١٩٥٩م، ص ٣٣٣.



الصغيرة ذات المعنى. فاللغة الفارسية لا تفرق بين الضمائر من حيث الجنس. هذه السهولة في التركيب يقابلها تعقيد كما في اللهجات العربية على وجه العموم، والتي تفرق بين المذكر والمؤنث في الضمائر المفردة للمخاطب والغائب.

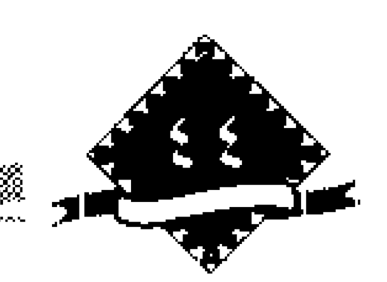
(٣) إذا كانت مجموعة الصيغ لجذر معين في اللغة (أ) أكثر انتظاما. فعلى سبيل المثال، نستطيع في حالة اللغة العربية الفصحى أن نشتق من الاسم (مسلم) الجمع بحالاته كـ (مسلمون ومسلمين). هذا الانتظام في الاشتقاق من الجذر قد يقابله في لغة أخرى عدم انتظام في الاشتقاق. وفي هذه الحالة يصبح من العسير وجود أوزان وقياسات نستطيع من خلالها الاشتقاق دون الحاجة إلى حفظ الجذر وما يشتق عنه من أسماء.

(٤) إذا كان الاتفاق بين الفئات اللغوية أكثر التزاما. فعلى سبيل المثال، حروف الجر في اللغة العربية تتطلب وجود اسم مجرور يتبعها، وإن كان هناك نزر يسير يشذ عن هذه القاعدة. وجود هذا الالتزام بين الفئات اللغوية وما يتبعها قد يقابله عدم التزام في هذه الناحية في لغة أخرى.

إذا كنا قد سلمنا بصحة هذه المقارنة، كما يراها فرجسون، فإنه من الممكن وضع قاعدة عامة للتركيب النحوي للشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، حيث نستطيع القول بأن التركيب النحوي للشكل اللغوي الأدنى أسهل وأقل تعقيدا من التركيب النحوي للشكل اللغوي الأعلى.

٢-٨ المفردات (Lexicon).

معظم كلمات الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى مشتركة، وغالبية كلمات الشكل



الأدنى من اللغة موجود أيضا في الشكل اللغوي الأعلى، ولكن باختلاف في التركيب والاستخدام وقد يكون هناك اختلاف في المعنى في بعض الحالات. فكلمة (رجل) وجمعها (رجال) في اللغة العربية الفصحى، يقابلها كلمة (رجل) وجمعها (رجال، رجاجيل) في لهجة نجد العامية، وخاصة في ذلك الشكل من اللهجة المتحدثة في منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية. هنا نرى بوضوح أن اللفظين (رجل، رجال) مشتركان بين هذين الشكلين اللغويين (الشكل اللغوي الأعلى في هذه الحالة هي اللغة العربية الفصحى، والشكل اللغوي الأدنى هي اللهجة النجدية). هناك أيضا اختلاف في التركيب يتمثل في وجود كلمة (رجاجيل) وعدم وجود مقابل لها في اللغة العربية الفصحى الذي يحمل المعنى نفسه. ويرجع هذا الاختلاف إلى التركيب الصرفي لكلمة (رجاجيل) والتي جمعت على وزن "فعاعيل" (هذا الوزن هو أحد أوزان جمع التكسير الموجودة في اللغة العربية الفصحى فنقول فنجان وفناجين، ولكن هذا الوزن لا ينطبق على كلمة مثل جمع رجل وهو رجال).

وغالبا ما تكون المصطلحات العلمية المصاحبة للاختراعات الحديثة أو العلوم الجديدة بالشكل اللغوي الأعلى من اللغة. فلو نظرنا إلى قائمة من المفردات تحتوي بعض المفردات والمصطلحات العلمية لوجدنا أن المفردات والمصطلحات المستخدمة في الشكل اللغوي الأعلى دائما ما تكون معرّبة وأحيانا تأخذ شكل الاقتراض من اللغة الأجنبية. هذا التعريب له ما يبرره، فنحن عندما نعرّب الألفاظ والمصطلحات فإننا نبحث أولا عن أصالة ذلك الشكل اللغوي، وتلك الأصالة دائما ما تتطلب البحث عن كلمة مرادفة لذلك المصطلح بين طيات الشكل اللغوي الأعلى، واللجوء إلى الاقتراض بشكل ضيق ومحدود. وإذا تم اقتراض كلمة أجنبية إلى الشكل اللغوي الأعلى فإننا نحاول دائما تطبيق قواعد الصرف العربي على تلك الكلمة حتى نضفي عليها طابع الأصالة.

الشكل الأعلى (العربية الحديثة)	الشكل الأدنى (لهجات عامية)
حاسب آلي	كمبيوتر
مصباح	لمبة
الرائي	تلفزيون
المركبة	موتر

فالكلمات أو الألفاظ الحديثة التي أوردناها سابقا إنما هي على سبيل المثال لا الحصر، فهناك العديد من هذه الكلمات التي نجد أنها قد عُرّبت وأجيزت من قبل المجامع اللغوية، ولكن أفراد المجتمع ، كما في المجتمع النجدي أو المصري على سبيل المثال، يستخدمون اللفظ الأجنبي حال التحدث مع استخدام المصطلح المعرب عند الكتابة. والسبب وراء هذه الظاهرة (وإن كنا لا نتفق مع فرجسون في شرحه هذا) هو كون الشكل الأعلى من اللغة هو الذي يستخدم دائما عند الحديث عن هذه المخترعات وما يتبعها عادة من مصطلحات. فنحن نستخدم الشكل اللغوي الأعلى عندما نناقش أحد الموضوعات المتعلقة بالعلوم والفنون الحديثة، ولكننا نستخدم الشكل اللغوي الأدنى عندما نتحدث عن الأشياء المرتبطة بالحياة اليومية. وهنا نرى أن هذا التفسير لا ينطبق على وضع اللغة العربية، فنحن نستخدم المصطلحات الأجنبية، وإن كان البعض دائما يستخدم الشكل اللغوي الأعلى والذي دخل اللغة عن طريق التعريب، لشعورنا بالفرق بين أشكال اللغة المكتوبة والمتحدثة. ولو ربط



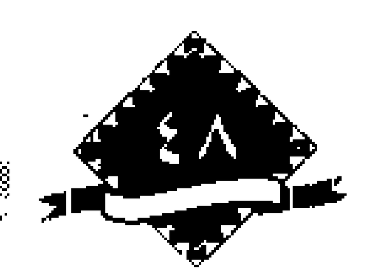
فرجسون وجود هذه الظاهرة بخاصية الوظيفة التي تحدثنا عنها سابقا لكان الربط واضحاً ومقنعا. فنحن عندما نتحدث في المواقف الرسمية كما هو الحال في إلقاء محاضرات الجامعات أو حتى المحاضرات العامة نجد أن الوضع الاجتماعي في هذه الحالة يتطلب وظيفة الشكل اللغوي الأعلى نظرا لإحساسنا برسمية الموقف. ويقابل هذا الموقف الرسمي في حياتنا مواقف غير رسمية كحديثنا مع الأصدقاء أو حتى مع الأفراد الذين نتعامل معهم عن طريق البيع والشراء، وهذا الوضع يحتم استخدام الشكل الأدنى من اللغة.

ومن هذه الخاصية المرتبطة بمفردات الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى نجد اشتراك الشكلين في الكلمات، ولكن هناك ارتباط أيضا بين كلمات هذين الشكلين أكثر أهمية من الارتباط السابق. ففي الشكل اللغوي الأعلى والشكل اللغوي الأدنى هناك زوج من الكلمات أحدهما يخص الشكل اللغوي الأعلى والآخر يخص الشكل اللغوي الأدنى، هذا الزوج من الكلمات شائع الاستخدام في الشكلين وعادة ما يعود المعنى على الشيء نفسه تقريبا (هذا الزوج عادة ما يحمل المعنى نفسه في الشكلين اللغويين). واستخدام أحد جزئي هذا الزوج يرمز بشكل مطلق إلى الشكل اللغوي المستخدم. والمثال الذي ذكره فرجسون هو زوج الكلمات (رأى - شاف) والذي يعني الشيء نفسه تقريبا. والفرق بين هاتين الكلمتين هو أن كلمة (رأى) كلمة تخص الشكل اللغوي الأعلى وهي نادرة الاستخدام في الحديث اليومي، وإن كانت هي الكلمة التي نتوقع استخدامها في الكتابة كما في الصحافة والشعر العربي الفصيح. أما كلمة (شاف) فإنها الشكل الأدنى والذي نستخدمه كل يوم تقريبا، وإن كنا لا نكتب هذا الشكل عندما نود كتابة موضوع لنشره في الصحف أو ما شابه هذا. هذا الزوج ليس مقتصرا على اللغة العربية فقط ولكنه شائع أيضا في جميع الحالات الثلاث الباقية التي درسها فرجسون ، كما أنه شائع أيضا في بعض اللغات التي ليس بها ازدواجية لغة ثنائية كاللغة الإنجليزية (في بداية هذا الفصل أوردت فرقا

مهما كما يراه فرجسون بين هذه الحالات الدراسية وبين بعض اللغات التي وإن كنا نرى أنها من الممكن أن تتبع بعض خصائص ازدواجية اللغة إلا أنها لا تعتبر لغات ذات ازدواجية لغوية). وإذا كان فرجسون قد كتب قائمة لكل حالة دراسية من الحالات الأربع فإننا نرى الاقتصار على حالة اللغة العربية. فالقائمة التالية بها زوج من الكلمات، إحدى كلمتي كل زوج تخص اللغة العربية الفصحى والأخرى تخص اللهجة العامية المصرية.

الشكل اللغوي الأعلى	الشكل اللغوي الأدنى
حذاء	جزمة
أنف	مناخير
ما	إيه
الآن	دي الوقت

ولو أمعنا النظر في هذه الكلمات التي وردت في القائمة لوجدنا أن هذه الازدواجية في المفردات تصف فعلا وضع اللغة العربية في مصر. فاللوحات المعلقة على محلات بيع الأحذية تشير إلى اسم المحل وتشير أيضا إلى أن المحل يبيع الأحذية، ولكن عند دخول فرد من أفراد المجتمع إلى المحل فإنه يقول إنه يرغب في شراء جزمة، وإن كان مثلا يبحث عن لون معين كالأبيض مثلا فإنه سوف يسأل البائع عن مكان وجود ذلك اللون قائلا (فين الجزم البيض). بالأسلوب نفسه نجد أن الطبيب يضع فوق مدخل عيادته لوحة تشير إلى أنه طبيب للأنف والأذن والحنجرة، ولكن المريض يقول له إنه



يشتكى من (مناخيره). كذلك من الممكن أن يرى الفرد على شاشة الرائي أن موعد صلاة العصر مثلا قد حان الآن ولكنه يقول (انا حروح أصلي دي الوقت). هذه الازدواجية اللفظية شائعة في المجتمعات التي توجد بها ازدواجية اللغة وإن كان اللفظ المرتبط بالشكل الأعلى من اللغة دائما ما يكون مفهوما للفرد العادي الذي يستخدم عوضا عنه اللفظ المرتبط بالشكل اللغوي الأدنى.

٢-٩ التراكيب الصوتية (Phonology).

مناقشة التراكيب الصوتية للشكلين اللغويين المرتبطين بمجتمع ما تبدو أصعب من دراسة ومناقشة التراكيب النحوية أو المفردات. هنا يكون الاستماع إلى اللفظ أهم بمراحل من الكتابة. فالمتغير الذي نبحث عنه يكون دائما عن طريق النطق. وبالإضافة إلى هذا فإن المتغير المطلوب الحصول عليه قد لا يبدو واضحا. وهنا يكون الجَزم في شكل التركيب الصوتي لأحد الشكلين أقرب للتخمين. ولكن الملاحظات العامة على طريقة النطق قد تساعد في فهم هذا المتغير. فالاختلاف في التراكيب الصوتية بين الشكلين اللغويين في اللغة اليونانية لا يبدو كبيرا، وإن كان الاختلاف يصل إلى درجة وجود تركيبين صوتيين مختلفين في اللغة الألمانية واللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا. وبين طرفي النقيض تأتي اللغة العربية والتي يوجد بها اختلاف يصل إلى درجة التوسط بين الشكلين اللغويين.

وبالرغم من هذه الصعوبة في إيجاد وصف دقيق للعلاقة بين هذين الشكلين، فإن فرجسون يرى أن هناك نقطتين تشترك فيهما جميع الحالات الدراسية الأربع التي أشار إليها:

أولا - يشكل النظام الصوتي للشكل اللغوي الأدنى والأعلى وحدة واحدة من

وحدات التركيب الصوتي، في هذا التركيب الصوتي الموحد، يكون التركيب الصوتي للشكل اللغوي الأدنى هو الأساس، أما الاختلافات الموجودة في الشكل اللغوي الأعلى فإنها تكون إما جزءا من النظام وإما شكلا موازيا لذلك النظام. فتحديد النطق بتبعيته لأحد الأشكال دون الآخر يبدو غير ممكن، ولكن من الممكن افتراض أن المتحدث في مجتمع ازدواجية اللغة يملك نظاما صوتيا واحدا مع وجود خصائص لكل شكل من الأشكال اللغوية والتي عادة ما تتسبب في وجود تداخل أو تضارب بين استخدام الشكلين.

ثانيا - إذا احتوت كلمة ما من الشكل اللغوي الأعلى على مجموعة من الأصوات، وكانت بعض هذه الأصوات غير موجودة في النظام الصوتي للشكل اللغوي الأدنى فإن المتحدث عادة ما يستعيض عن هذه الأصوات بأصوات من الشكل اللغوي الأدنى. فلو نظرنا إلى بعض مفردات العربية الفصحى المحتوية على حرف (القاف) مثلا، فإن متحدث اللهجة المصرية وفي بعض المواضع يبدل هذه القاف بهمزة. هذا الإبدال سيكون سائدا في جميع تلك الكلمات التي تحول فيها القاف إلى همزة. مثال آخر نراه في اللهجتين المصرية والسورية حيث يبدل بعض متحدثيها حرف (الذال) في العربية الفصحى بحرف (الزاي) في هاتين اللهجتين. هذا الإبدال يحدث عندما يتحدث أفراد المجتمعين اللغة العربية الفصحى.

ومعروف لدى علماء اللغة أن أية دراسة تبحث ظاهرة لغوية عادة ما تأخذ شكل النظرية اللغوية السائدة في تلك الفترة، فدراسة فرجسون للتراكيب الصوتية للشكلين اللغويين إنما اتخذت شكل الوصف الذي كان سائدا في الخمسينيات. ولم يوضح فرجسون الهدف من إيراد هاتين النقطتين، وإن كان قد أعطى بعض الأمثلة المحدودة والتي لا ترتقي بأي شكل من الأشكال إلى صعوبة وتعقيد التركيب الصوتي لأي لهجة أو لغة. ومن الواضح هنا أن فرجسون كان يقصد وجود تركيب عميق (Deep Structure) واحد للشكلين اللغويين، والاختلاف بين هذين الشكلين إنما يكون نتيجة

تطبيق بعض قواعد التركيب الصوتي للوصول للتركيب السطحي (Surface Structure) أو الشكل الذي نسمعه من المتحدثين.

وقد درس كازايوس ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية وطبق مبادئ نظرية علم التراكيب الصوتية التوليدية، والتي تتبع النظرية التي بدأها تشومسكي في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من هذا القرن[1]. وكانت نتائج دراسة كازايوس أنه يوجد في ازدواجية اللغة اليونانية تركيب عميق واحد للشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، أما الفرق فإنه يكمن في عدد قواعد التراكيب الصوتية المطبقة على الشكل اللغوي. فالشكل اللغوي الأعلى، على سبيل المثال، يحتاج إلى عدد قليل من قواعد التركيب الصوتي للوصول من ذلك التركيب العميق إلى التركيب السطحي. أما الشكل اللغوي الأدنى فإنه يتطلب عددا أكبر من هذه القواعد للوصول إلى التركيب السطحي. من هنا نرى أن الاختلاف بين الشكلين اللغويين هو اختلاف في الكم (العدد المطبق من القواعد) بدلا من الاختلاف في الكيف (وجود نظامين أحدهما أساس والآخر تابع له). فنتائج كازايوس لا تتفق مع النقطة الأولى التي طرحها فرجسون والتي رأى من خلالها أن التركيب الصوتى للشكل اللغوي الأدنى هو التركيب الأساسي، بينما خصائص التركيب الصوتي للشكل اللغوي الأعلى هي جزء أو موازية لذلك النظام. ونتائج كازايوس تبدو صالحة وفي الوقت نفسه كافية لشرح الاختلاف بين التركيب الصوتى للشكلين اللغويين، مع إمكانية الاستعاضة بهذه النتائج عما يراه فرجسون.

ونظرة إلى التركيب الصوتى للغة العربية قد توضح لنا هذه النقطة. ففي اللغة العربية ننطق حرف (القاف) و (الكاف) في كلمات مثل (بِرْكَه) و (قِدْرْ). ولكن الكلمتين نفسيهما تنطقان باللهجة النجدية وبخاصة المتحدثة في منطقة القصيم باستخدام حرفي (قه) و (كه).

---

[1] كازايوس، ١٩٦٨م.

من هنا نستطيع القول إن حروف العربية الفصحى المستخدمة قد طبق عليها عدد أقل من التراكيب الصوتية، أما كلمتا اللهجة النجدية فقد احتاجتا بالإضافة إلى قواعد التركيب الصوتي المطبقة على العربية الفصحى إلى عدد آخر من القواعد مثل قواعد تحويل مكان النطق (Place of Articulation) وكذلك قواعد طريقة النطق (Manner of Articulation). وكما اتضح لنا الآن فإن نظرة كازايوس تبدو أكثر صحة وواقعية من نظرة فرجسون للتركيب الصوتي للشكلين اللغويين الأعلى والأدنى.

وفي نهاية مناقشتنا لهذه الخصائص نعود مرة أخرى إلى تعريف فرجسون السابق ونحاول دمج التعريف بالخصائص. فازدواجية اللغة وضع ثابت نسبيا (خاصية الثبات)، يكون فيه بالإضافة إلى عدد من اللهجات الرئيسة أو لهجات معيارية إقليمية شكلاً لغويًا أكثر اختلافا، وعلى نسبة عالية من المعيارية (خاصية المعيارية)، وعادة ما يكون أكثر تعقيدا من الناحية اللغوية (خصائص التراكيب النحوية، والمفردات، والتركيب الصوتي)، ولهذا الشكل اللغوي أدب مكتوب بكميات كبيرة (خاصية التراث الأدبي)، هذا الأدب قد يكون من عصور سابقة أو من مجتمعات أخرى تتحدث الشكل اللغوي الأعلى كلغة أم، هذا التراث يحظى باحترام أفراد ذلك المجتمع (خاصية المنزلة)، هذا الشكل اللغوي عادة ما يكتسب عن طريق التعليم الرسمي (خاصية الاكتساب)، ويستخدم هذا الشكل اللغوي لأغراض الكتابة والتحدث في المواضع الرسمية (خاصية الوظيفة)، ولكنه ليس الشكل اللغوي المستخدم في الحديث في شئون الحياة اليومية من قبل أي قطاع من قطاعات ذلك المجتمع.

٣ – العلاقة بين خصائص ازدواجية اللغة:

رأينا في الجزء السابق أن فرجسون قد أورد خصائص تسعا لظاهرة ازدواجية اللغة، فهناك مثلا : الوظيفة، والاكتساب، والتراكيب النحوية، والتراكيب الصوتية، والمفردات، إلى آخر هذه الخصائص. ولكن فرجسون لم يحاول أن يربط هذه الخصائص بعضها مع بعض، ولهذا فقد قدمها على أنها صفات وخصائص منفصلة. ولكن هذا التقديم ليس مقبولاً من قبل بعض علماء اللغة، فالبعض منهم قد رأى أن هذه الخصائص متصلة فيما بينها، بل إنه من الممكن دمج بعض هذه الخصائص مع بعضها، ونستطيع بالرغم من هذا الدمج الحصول على صورة واضحة لازدواجية اللغة بالرغم من عدم اعتبار بعض هذه الخصائص [١].

فالخصائص : السابعة والثامنة والتاسعة، والتي ناقشت التراكيب النحوية والمفردات والتراكيب الصوتية على التوالي، تشير إلى موضوع واحد هو العلاقة أو الترابط اللغوي بين الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى المنتجين لظاهرة ازدواجية اللغة. فخاصية التراكيب النحوية ـ على سبيل المثال ـ درست مدى التشابه أو الاختلاف بين الشكلين اللغويين. وتشبه هذه الدراسة أو المناقشة إلى حد كبير ـ وإن اختلف موضوع الدراسة ـ ما قامت بدراسته الخاصيتان الثامنة والتاسعة. بالمثل يمكن ربط خاصية الاكتساب بخاصية الوظيفة، فاكتساب الشكل الأدنى من اللغة يتم بطريقة طبيعية، وهذا الاكتساب عادة ما يكون من تأثير الآباء وقرناء الطفل المكتسب للغة. فالطفل كما نعلم يكتسب اللغة التي سمعها في المنزل من الآباء أو التي سمعها من

[١] بريتو، ١٩٨٦م.

أصدقائه عندما يكون هناك احتكاك بينه وبين أصدقائه، وبما أن المجتمع قد رأى أن الشكل الأدنى من اللغة هو الشكل المناسب للاستخدام في مثل هذه المواقف (هذا هو دور الوظيفة)، فإن الطفل ينشأ مكتسبا هذا الشكل اللغوي الأدنى من اللغة. وعندما يتم تعليم الطفل بشكل رسمي في المدارس يتم اكتساب الشكل الأعلى من اللغة عن طريق المعلمين المتخصصين في هذا المجال، بجانب ما يجده الطفل من معرفة في الكتب المدرسية، والذي يأخذ شكل حفظ لقواعد الشكل اللغوي الأعلى. إذن نستطيع أن نقول إن خاصية الوظيفة هي المسبِّبة للخاصية الأخرى (الاكتساب) بدلا من القول بأن هاتين الخاصيتين منفصلتان إحداهما عن الأخرى.

أما بالنسبة للخصائص الأخرى فإن وضعها غير واضح على الإطلاق، فخاصيتا الاحترام والمعيارية - على سبيل المثال - تنطبقان بشكل جيد على بعض الحالات الأربع التي درسها فرجسون، ولكنهما لا تنطبقان إطلاقا على بعض الحالات الأخرى من هذه اللغات الأربع. فنحن نعلم من خاصية الاحترام أن الشكل اللغوي الأعلى يحظى باحترام وتقدير أفراد المجتمع بدرجة أكبر مما يحظى به الشكل الأدنى من اللغة، ولكن هذه الخاصية لا تنطبق على وضع اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا، فاللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا تحظى باحترام أفراد المجتمع السويسري أكثر مما تحظى به اللغة الألمانية المتكلمة في ألمانيا من احترام أفراد المجتمع السويسري. وكذلك خاصية المعيارية والتي تتطلب وجود معاجم وكتب نحو للشكل الأعلى من اللغة بينما هذه المعاجم والكتب اللغوية تكاد تكون معدومة الوجود للشكل اللغوي الأدنى. هذه الخاصية لا تنطبق أيضا على اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا، وهناك معاجم وكتب نحو وصرف وتراكيب صوتية ونطق قد كتبت وما زالت تكتب باللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا [١]. بالإضافة إلى هذا فإن خاصية التراث الأدبي تتطلب وجود أدب مكتوب بالشكل الأعلى من اللغة، وهذا الإنتاج الأدبي يكون إصداره بالشكل

---

[١] مويلتون، ١٩٦٢م.



اللغوي الأعلى أكثر مما ينتج بالشكل اللغوي الأدنى. مثل هذه الخاصية لا تنطبق على حالة اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا ولا على حالة اللغة اليونانية، والأدب المكتوب بالشكل الأدنى من اللغة في هذين المجتمعين أكثر مما كتب بالشكل اللغوي الأعلى.

وخاصية الثبات والتي تذكر أن وضع ازدواجية اللغة وضع ثابت نسبيا قد يمتد لمئات السنين أو أكثر، قد لا تصف الوضع اللغوي في اللغة اليونانية. فقد ذكر ألكسيوس أن وضع ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية في طريقه للزوال وذلك بالاستغناء عن الشكل اللغوي الأعلى (كاثاريفوسا) والاستعاضة عنه باللهجة المحلية المتكلمة في أثينا[1]. وهذا صاحبه تطوير للهجة المحلية وجعلها لغة التعليم الابتدائي ولغة الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، كما صاحبه أيضا كتابة المعاجم وكتب نحوية لهذه اللهجة. وكما ذكر فرجسون سابقا فإن الوضع اللغوي الاجتماعي المسمى بازدواجية اللغة لم يصل حد النضوج إلا في نهاية القرن التاسع عشر. وكما رأينا سابقا فأول مطبوعة باللهجة المحلية قد ظهرت في عام ١٨٨٨م، وهذا يعني أن خاصية الثبات لا تصف إطلاقا وضع اللغة اليونانية بالرغم من استخدام فرجسون لها على أنها إحدى الحالات التي درسها، فازدواجية اللغة في اللغة اليونانية لم تمد لأكثر من جيلين، وقد بدأت تتضح علامة نهايتها.

من هنا يتضح أن هناك حاجة لدمج بعض الخصائص والاستغناء عن بعض الخصائص الأخرى، حتى نستطيع التحدث عن ازدواجية اللغة بشكل واضح ودقيق وعام. فلو دمجت الخصائص التي تتناول التركيب اللغوي بعضها مع بعض لأصبح لدينا خاصية واحدة تشير إلى مدى التقارب بين شكلي ازدواجية اللغة. فهذا الترابط يقع في منتصف الطريق بين لغتين منفصلتين كالإنجليزية والإسبانية، وكذلك يقع بين الأسلوبين المختلفين في اللهجة الواحدة. من هذا المنطلق نستطيع القول إن ما كان

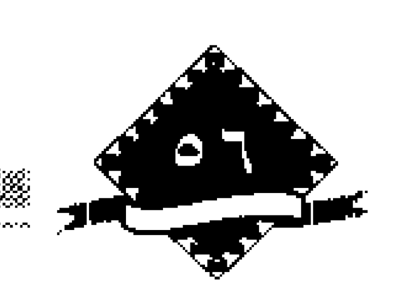
[1] ألكسيوس، ١٩٨٢م.

فرجسون يطمح لبيانه هي تلك العلاقة التي تربط لهجتي اللغة الواحدة. لو اعتبرنا اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، على سبيل المثال، لهجتين من لهجات اللغة العربية. فالفصحى والعامية نستطيع تقريبهما من النقطة التي تفصل بين اللغتين المختلفتين، وكذلك إبعادهما عن النقطة التي تفصل بين أسلوبي اللهجة الواحدة.

و نستطيع أيضا دمج خاصيتي الوظيفة والاكتساب بعضهما مع بعض، فخاصية الاكتساب ما هي إلا نتيجة طبيعية للتفريق بين وظائف واستخدام الأشكال اللغوية. أما البقية الباقية من هذه الخصائص، وهي : المنزلة، والتراث الأدبي، والمعيارية، والثبات، فإننا نستطيع الاستغناء عنها دون المساس بشكل الظاهرة التي كان فرجسون يرغب في توضيحها. فهذه الخصائص الأربع ما عدا الثبات قد لا تشكل مشكلة في تعريفنا وقبولنا لهذه الظاهرة، ما دام النظر إلى شكلي اللغة الأعلى والأدنى استمر على أنهما لهجتان للغة واحدة. ولكن هذا الاستمرار قد لا يبدو متوقعا عندما نتحدث عن حالات أخرى لازدواجية اللغة والتي قد يشكل الشكل اللغوي الأدنى فيها لهجة لقومية صغيرة (Ethnic group) والتي عادة ما تكنّ الاحترام العميق للهجتها القومية بالرغم من كون هذه اللهجة هي الشكل اللغوي الأدنى.

٥ – بعض المسائل المرتبطة بازدواجية اللغة :

طرح فرجسون في نهاية بحثه ثلاثة أسئلة في محاولة لاحتواء معنى ازدواجية اللغة وبيان شكل انتشارها وبدايتها. فالسؤال الأول تناول كيفية اختلاف ازدواجية اللغة المرتبطة بالمجتمع عن ظواهر مشابهة قد تبدو للوهلة الأولى كأنها حالات من صميم ازدواجية اللغة. إحدى هذه الحالات هي وجود شكل من اللغة يكون سائد الاستخدام بين الأفراد في المركز الحضري لمجتمع ما ـ كعاصمة دولة معينة ـ وبين الأشكال



اللغوية الأخرى في ذلك المجتمع والتي تستخدم عادة في المدن الأخرى والقرى الصغيرة. فعلى سبيل المثال : هل من الممكن اعتبار وضع اللغة الفارسية في إيران مثالا من أمثلة ازدواجية اللغة؟ في هذا المثال نجد أن اللهجة المستخدمة في طهران تحتل الشكل اللغوي الأعلى، بينما تحتل باقي اللهجات الفارسية المتكلمة في القرى والمدن - عدا طهران - الشكل اللغوي الأدنى. والأفراد في هذا المجتمع يعتبرون اللهجة المتكلمة في طهران كشكل أعلى جدير بالاحترام إذا ما قورن بلهجاتهم المختلفة، بل إنه من غير المستبعد أن يحاول هؤلاء الأفراد ذوو اللهجات المختلفة تقليد لهجة طهران متى حضروا إلى العاصمة واحتكوا مع الأفراد الذين يتكلمون لهجة طهران كلغة أم. وهناك أمثلة أخرى تشابه هذا الوضع من الممكن ملاحظتها في أي بلد من بلدان العالم، فهل نعتبر مثلا اللهجة المتكلمة في باريس كشكل لغوي أعلى للغة الفرنسية، أو لغة الهندي أو الأردو المتكلمة في نيودلهي كشكل أعلى من لغة الهندي أو الأردو؟

مثل هذه الأمثلة التي تحتوى على شكل معياري متكلم في المركز وأشكال أخرى قد تكون غير معيارية متكلمة في باقي مدن وقرى ذلك المجتمع، لا تمثل ظاهرة ازدواجية اللغة لسببين : أولهما – كما بين فرجسون في تعريفه لازدواجية اللغة – أن الشكل الأعلى "لا يستخدم إطلاقا بواسطة أي قطاع من قطاعات المجتمع لغرض المحادثة اليومية أو العادية" [١]. واللهجة المعيارية المتكلمة في المركز تكون هي اللهجة المستخدمة لجميع أغراض المحادثة اليومية من قبل أفراد ذلك المركز. أما نظرة باقي أفراد المجتمع من غير متحدثي لهجة المركز المعيارية، فإنها لا تمت بصلة لازدواجية اللغة، على الرغم مما قد يبديه هؤلاء الأفراد من نظرة احترام للهجة المركز واعتبارها اللهجة المعيارية ذات الشكل اللغوي الأعلى. فقبول هذا الوضع واعتباره شكلا من أشكال ازدواجية اللغة يخل بنص صريح قد ذكره فرجسون في تعريفه وهو عدم

[١] فرجسون، ١٩٥٩م، ص ٣٣٦.

استخدام أي قطاع للهجة المركز المعيارية لأغراض التحدث اليومي. وبالإضافة إلى هذا فإن قبول هذا الشكل على أنه جزء من ازدواجية اللغة يخل أيضا بخاصية الوظيفة والتي تشترط استخدام الشكل اللغوي الأعلى للأغراض الرسمية، فإذا كانت لهجة المركز المعيارية تستخدم من قبل سكان المركز للتحدث اليومي - وهذا الوضع كما نعرف هو من الأوضاع غير الرسمية والذي يتطلب استخدام الشكل اللغوي الأدنى - فإن هذا الاستخدام يقودنا إلى عدم القدرة على تمييز الأوضاع الرسمية وغير الرسمية في المجتمع، وهنا يتضح أنه من غير الممكن قبول هذه الأمثلة كشكل أو جزء من ازدواجية اللغة.

السبب الثاني لعدم قبول هذه الأشكال هو أن خاصية الاكتساب تعتبر خاصية مهمة، سواء عاملناها كخاصية مستقلة - كما فعل فرجسون - أو اعتبرناها جزءا من خاصية الوظيفة. فاستخدام اللهجة المعيارية للمركز لجميع الأغراض من قبل متحدثيها يؤكد أن هذا الشكل اللغوي سوف يستخدم أيضا في المنزل وبين الآباء وأطفالهم، وهنا ينشأ الأطفال كمتحدثين للهجة المركز المعيارية كلغة أم، وهذا يخل بمفهوم وظيفة الاكتساب التي تتطلب أن يتم اكتساب الشكل اللغوي الأدنى في المنزل بينما يتم اكتساب الشكل اللغوي الأعلى بطريقة رسمية عن طريق التعليم الرسمي. هذا التمييز بين طرق الاكتساب وإن بدأ صحيحا بالنسبة للأطفال الذين يتحدثون لهجة المركز كلغة أم، لا يصف في أي حال من الأحوال وضع الأطفال الذين يعيشون في ذلك المركز. إذن هل من الممكن اعتبار أن وضع اللغة في المركز ليس شكلا من أشكال ازدواجية اللغة، بينما نعتبر الأشكال اللغوية أو اللهجات المستخدمة خارج هذا المركز ازدواجية لغة، آخذين بعين الاعتبار أن هذه اللهجات تمثل الشكل اللغوي الأدنى بينما لهجة المركز المعيارية هي الشكل اللغوي الأعلى؟ هذا السؤال لم يطرحه فرجسون أو حتى يشير إلى الإجابة عنه، مما يضفي مزيدا من الغموض على مفهوم ازدواجية اللغة الذي قصده فرجسون.



السؤال الثاني هو : كيف تنتشر هذه الظاهرة اللغوية من حيث الزمان والمكان وهل هي مقتصرة على بعض اللغات دون الأخرى؟ هنا يرى فرجسون أن ظاهرة ازدواجية اللغة غير محددة من الناحية الجغرافية أو المكانية أو الزمانية كما يمكن حدوثها في أي لغة من لغات العالم، وهنا ساق فرجسون ثلاثة أمثلة حتى يؤكد هذه الملحوظة. فاللغة التاميلية المتحدثة في الهند الآن تتبع تعريف ازدواجية اللغة وخصائصها، فهناك شكل لغوي أعلى يستخدم للوظائف الرسمية في المجتمع يقابله لهجة عامية يستخدمها أفراد المجتمع للأغراض غير الرسمية. هذا الشكل اللغوي الأعلى يحظى باحترام أفراد المجتمع، كما أنه يتميز بوجود تراث أدبي مكتوب بهذا الشكل اللغوي الأعلى. وفي المقابل فالأفراد لا يكنون قدرا كبيرا من الاحترام للشكل اللغوي الأدنى، كما أنه يفتقر إلى ذلك النوع من الأدب المكتوب. واكتساب الشكل اللغوي الأعلى يتم عن طريق التعليم الرسمي، ولكن الشكل الأدنى يكتسب بصورة طبيعية في المنزل. ولا يستخدم الشكل اللغوي الأعلى من قبل أي فرد من أفراد المجتمع للتحدث اليومي، وإن كان هذا الشكل يستخدم في إلقاء المحاضرات وفيما سواه من وظائف اللغة المتحدثة الرسمية. وهناك أيضا اختلافات لغوية بين الشكلين الأعلى والأدنى، وهذه الاختلافات تتراوح بين اختلاف كبير جداً في نواحي التراكيب النحوية إلى اختلاف طفيف في التراكيب الصوتية. وبالإضافة إلى هذا فإن هذين الشكلين اللغويين يمثلان مرحلة متوسطة في سلم الارتباط اللغوي. فالشكلان اللغويان ليسا لغتين مختلفتين ولا أسلوبين مختلفين من نفس اللغة أو اللهجة، ولكنهما لهجتان من نفس اللغة الواحدة.

المثال الثاني نلاحظه في اللغة اللاتينية ومختلف اللغات الرومانسية التي نشأت منها في الماضي. فهذه اللغات الرومانسية كانت تستخدم لأغراض التحدث اليومي في مجتمعاتها بينما كانت اللغة اللاتينية هي لغة المناسبات الرسمية والكتابة. كما كانت اللغة اللاتينية أيضا لغة الدين والأدب، كما أنها كانت تحظى باحترام وتقدير

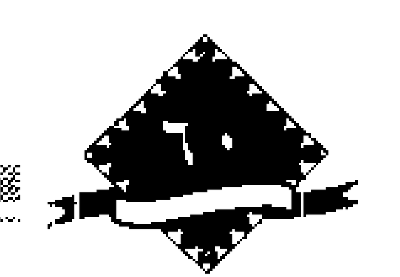
تلك المجتمعات المختلفة. أما من ناحية التراكيب اللغوية فهناك اختلاف كبير بين اللغة اللاتينية ومختلف تلك اللغات الرومانسية.

هذا الوضع أيضا ينطبق على اللغة الصينية، فهناك لغة الويولي التي تمثل الشكل اللغوي الأعلى في ازدواجية اللغة يقابلها لغة الماندرين كشكل لغوي أدنى. وبالإضافة إلى هذا يوجد العديد من اللغات الإقليمية والتي نستطيع أن نسميها لغات نظرا للفارق الكبير فيما بينها. أما في الوقت الحاضر، فإن ازدواجية اللغة تبدو في طريقها للزوال من اللغة الصينية كما هو الحال في اللغة اليونانية. فالوضع في اللغة الصينية يبدو أنه في طريقه لتكوين لهجة أو لغة معيارية مع وجود العديد من اللهجات أو اللغات غير المعيارية. ومثل هذه العلاقة لا تمثل سابقا ظاهرة ازدواجية اللغة بالرغم من مشابهة هذا الوضع لازدواجية اللغة. يتضح لنا الآن ومن خلال هذه الأمثلة أن ازدواجية اللغة ليست محدودة بزمان أو مكان، ولكنها تحدث في أي لغة أو لغات وفي أي مجتمع من المجتمعات.

أما سؤالنا الأخير فهو : كيف تنشأ ظاهرة ازدواجية اللغة، وهل هناك ظروف تساعد على هذه النشأة؟ يرى فرجسون أن هذه الظاهرة تنشأ عادة بتوفر شروط ثلاثة، هي :

أولا – لا بد من توفر قدر كبير من الأدب المكتوب بلغة قريبة من لغة المجتمع (على سبيل المثال الأدب يكون مكتوبا باللغة العربية الفصحى ولغة المجتمع القريبة من لغة هذا الأدب هي اللهجات العامية)، هذا الأدب يتضمن بعض القيم الاجتماعية المهمة لهذا المجتمع.

ثانيًا – التعليم في ذلك المجتمع يكون مقتصرا على طبقة معينة من أفراد المجتمع، ونرى هنا أن ما يقصده فرجسون هو القول بأن التعليم غير شائع في ذلك المجتمع

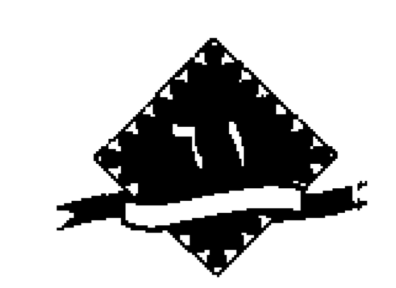


حيث إن قوله باقتصار التعليم على فئة أو طبقة معينة يماثل وضع المجتمعات الغربية في السابق، وهذا الوضع قد لا ينطبق على وضع بعض المجتمعات.

ثالثًا – أن تمر فترة زمنية مناسبة على وجود السببين الأول والثاني.

وقد أكد فرجسون أن مزيج هذه الأسباب وراء ظهور ازدواجية اللغة في عدد كبير من المجتمعات، وهنا يبدو أنه قد أغفل نقطة مهمة وهي أهمية النظر في نتائج الاتصال أو الاحتكاك بين اللغات واللهجات. هذا الاحتكاك عادة ما ينتج عنه تغيير في نظام إحدى أو كلتا اللغتين، وهذا التغيير قد يشمل جميع النواحي اللغوية من نحو وصرف وتراكيب صوتية وخلافه، ويقود عادة إلى وجود شكلين لغويين : الأول هو الشكل الأعلى الذي عادة ما يكون شكلا للغة قبل الاتصال أو الاحتكاك مع لغة أخرى، أما الشكل الثاني فإنه الشكل اللغوي الأدنى الناتج من عملية الاحتكاك أو الاتصال. ولو نظرنا إلى حالة هايتي والتي ذكرها فرجسون في بحثه كحالة دراسية، يتضح لنا أن أفراد ذلك المجتمع ـ جزيرة هايتي ـ لم يعرفوا الأدب الفرنسي، كما أن قَصْر التعليم على فئة معينة في ذلك المجتمع ليس من البديهيات أو حتى من الحقائق. أما فرق المسافة بين فرنسا كحاضنة للغة الفرنسية وهايتي التي يتحدث أفرادها إحدى لغات الكاريبي، فإنه فرق كبير يمنع الاحتكاك اللغوي بين أفراد المجتمعين.

وهناك حقيقة معروفة لعلماء اللغة وخاصة علماء فرع علم اللغة الاجتماعي، هي أن اللغة المبسطة والتي ناقشناها سابقا إنما تنشأ من الاتصال بين لغتين، فاللغة الفرنسية عندما اتصلت بإحدى لغات الكاريبي عن طريق التجارة وخاصة تجارة الرقيق نشأت عنها لغة مبسطة اكتسبها أفراد المجتمع الهايتي فيما بعد كلغة أم، وبعد ذلك أصبحت معروفة بكريول هايتي. ولا نستطيع عزو وجود ازدواجية اللغة في المجتمع الهايتي إلى أدب مكتوب بالفرنسية أو اقتصار التعليم على فئة معينة، ولكن



السبب وراء ظهور ازدواجية اللغة في ذلك المجتمع، يعود إلى الاتصال بين اللغات (في هذا المقام الاتصال المقصود هو بين اللغة الفرنسية وإحدى لغات الكاريبي).

مثال آخر يدعم ما نراه وهو أن اللغة العربية عندما كانت محصورة في الجزيرة العربية، كان هناك العديد من اللهجات كلهجة قريش وتميم وطيء وغيرها. وهذه اللهجات لم يكن ينظر إليها على أنها تمثل ازدواجية اللغة، حيث إن جميع هذه اللهجات كانت لهجات أو لغات أماً لمتحدثيها ينقلها الأبناء عن طريق الآباء. وعندما بدأت الفتوحات الإسلامية وبدأ الاتصال مع مجتمعات أخرى لا تتحدث العربية، بدأ اللحن يظهر في اللغة المستخدمة من قبل الجيل الثاني بعد هذا الاتصال. فالعربية كانت هي الشكل الأعلى لازدواجية اللغة، بينما اتخذت هذه الأشكال الناتجة عن الاتصال شكل لهجات لتلك المجتمعات وكونت الطرف الآخر وهو الشكل اللغوي الأدنى. من هنا يتضح أن الظروف الثلاثه التي ذكرها فرجسون لا تبدو كافية لتفسير جميع حالات ازدواجية اللغة. أما إضافة السبب أو الظرف الرابع وهو الاحتكاك أو الاتصال بين اللغات، فإنه يفسر لنا البقية الباقية من هذه الحالات التي لم نستطع تفسيرها عن طريق الشروط سابقة الذكر، كما سوف نرى في الفصل الخامس عندما نتناول حالة اللغة العربية وتطبيق الشرط الرابع عليها كحالة دراسية.

٥ – مشكلات ازدواجية اللغة.

لا تشكل ظاهرة ازدواجية اللغة مشكلة بالنسبة للمجتمعات الموجودة فيها، فالظاهرة كما ذكر سابقا معروفة لأفراد المجتمع، بل إن الأشكال اللغوية عادة ما تحمل أسماء تميزها في المجتمع، كما يستخدم أفراد المجتمع هذه المسميات للرجوع إلى أحد الأشكال اللغوية أو كليهما. ولكن هذا ما لا يؤيده المتحمسون للغة العربية الفصحى. فقد ذكر سمير الفيصل أن هؤلاء المتحمسين قد "... شرعوا يعددون

المشكلات التي نبعت من هذه الازدواجية اللغوية وخصوصا:

أ- مشكلات تعليم اللغة العربية للعرب والأجانب.

ب- مشكلات الترجمة والتعريب في العصر التقني الحديث.

ج- مشكلات اللغة في وسائل الإعلام (الإذاعة - التلفاز - الصحافة).

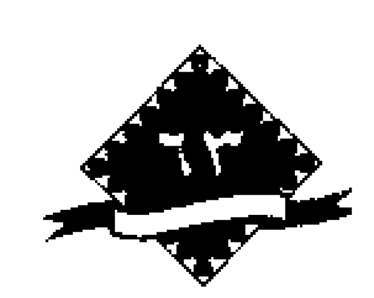
د- مشكلات الحوار في الأدب المسرحي والروائي والقصصي"[1].

كما قد تصبح ازدواجية اللغة مشكلة في المجتمع إذا انتشر التعليم وعم الرخاء الاقتصادي في ذلك المجتمع، في هذه الحالة يبدو أن ذلك المجتمع يسير نحو توحيد الشكلين اللغويين ومحاولة تقريب الفجوة الموجودة بينهما. وقد تصبح ازدواجية اللغة مشكلة أيضا متى ما تطلب الوضع زيادة الاتصال بين أفراد المجتمع الواحد ذي اللهجات المتعددة. وحتى تبدو لنا هذه المشكلة جلية لا بد لنا من إغفال دور وسائل الإعلام والتي عادة ما تقوم بتقريب هذه الفجوة، وذلك باستخدام الشكل اللغوي الأعلى. والوضع الأخير الذي تصبح فيه ازدواجية اللغة مشكلة للمجتمع هو متى ما أراد أفراد المجتمع اتباع لهجة معيارية موحدة كدليل على الاستقلال والوحدة فيما بينهم.

ومتى ما حدث مثل هذا التصادم بين الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، نجد أن هناك أفرادا في المجتمع يساندون الشكل اللغوي الأعلى ويطالبون بالاستغناء عن الشكل اللغوي الأدنى، ومجموعة أخرى من الأفراد تنادي بعكس هذا الاتجاه وتطالب باستخدام الشكل الأدنى، أما البقية الباقية فإنها تطالب بظهور مزيج من الشكلين. فالفئة الأولى المطالبة باستخدام الشكل اللغوي الأعلى عادة ما تستند في نقاشها إلى كونها الشكل الذي يربطهم بماضيهم المجيد، كما أنه الشكل الذي يوحد أفراد المجتمع ذي اللهجات المختلفة. بالإضافة إلى هذا فإنهم يرون الشكل اللغوي الأعلى كلغة أو لهجة جميلة وأكثر قدرة على التعبير من الشكل اللغوي الأدنى. وهذا الرأي

---

[1] سمير الفيصل، ١٩٩٢م، ص١٠.

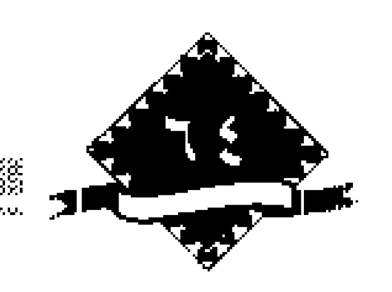


الأخير مرتبط بالشعور ناحية الشكل اللغوي، وليس له أي أساس لغوي لمعرفتنا أن أي لغة أو لهجة قادرة على التعبير عن شعور ذلك المجتمع، كما أنها قادرة على القيام بجميع الوظائف التي يتطلبها المجتمع.

أما من يطالبون باتخاذ الشكل اللغوي الأدنى كلغة موحدة للمجتمع، فإنهم يرون أن هذا الشكل أقرب إلى تفكير أفراد المجتمع ومشاعرهم. كما يرون أن استخدام الشكل اللغوي الأدنى في التعليم له فوائد عديدة، منها على سبيل المثال عدم الحاجة إلى تعليم الأطفال شكلاً لغويا جديدا قد يصعب إتقانه، أما استخدام الشكل اللغوي الأدنى فإنه أقرب ما يكون للامتداد الطبيعي لاكتساب اللغة من قبل الأطفال الذين بدؤوا فعلا في اكتساب الشكل الأدنى من اللغة في المنزل. وهذه الفئة تطالب بدفع الشكل اللغوي الأدنى إلى الأمام وذلك بطرق التقنين والمعيارية المعروفة.

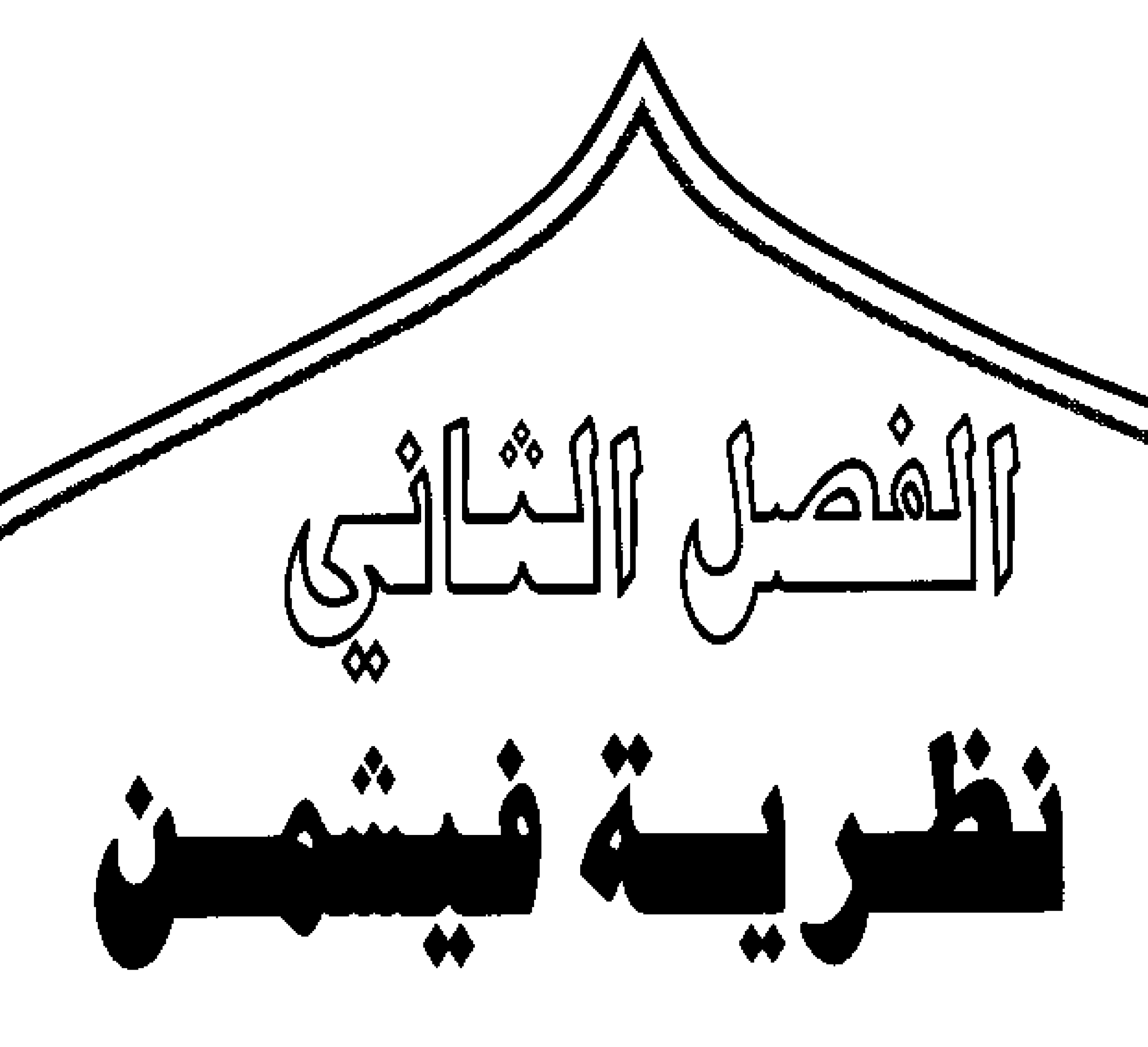
ولكن الناتج النهائي لازدواجية اللغة والسير قدما باتجاه شكل لغوي موحد قد لا يأخذ بالاعتبار أيًا من هذين الاتجاهين، فقد يستمر وضع ازدواجية اللغة ثابتا ولمدة طويلة دون تغلب أحد الشكلين على الآخر. وهذا الوضع على ما يبدو هو الوصف الحقيقي لازدواجية اللغة في اللغة العربية، وإن كان الاتجاه يسير الآن نحو استخدام الشكل اللغوي الأعلى نظرا لزيادة نسبة المتعلمين بين أفراد المجتمع، والذي ينتج عنه زيادة عدد الأفراد القادرين على القراءة، وما دام الشكل اللغوي الأعلى هو الشكل المستخدم دائما في الكتابة فإن الكتب العلمية والثقافية بجانب وسائل الإعلام المقروءة كالصحف والمجلات لها تأثير بالغ في دفع الشكل الأعلى من اللغة قدما. وهنا لا نغفل دور وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والتي عادة ما تتخذ الشكل اللغوي الأعلى كلغة لها، حيث إن هذين الفرعين يعتبران من الوظائف الرسمية للغة.

ومن المرجح أن يتغلب الشكل اللغوي الأعلى أيضا إذا كان هذا الشكل هو المستخدم من قبل أفراد مجتمع آخر وقام أفراد ذلك المجتمع ذي ازدواجية اللغة بالاندماج مع المجتمع الآخر. هنا نستطيع القول بأن كريول هايتي سوف يتم



الاستغناء عنها وإحلال اللغة الفرنسية مكانها، متى ما اندمج أفراد مجتمع هايتي مع المجتمع الفرنسي، وهذا هو واقع الأمر. وأفراد مجتمع هايتي المقيمون في فرنسا قد تخلوا عن الكريول واتخذوا من الشكل الأعلى (اللغة الفرنسية) لغة موحدة لهم تستخدم في جميع الأغراض الرسمية وغيرها. أما إذا كان المجتمع يقوم على مركز حضري موحد، كأثينا عاصمة اليونان بالنسبة للمجتمع اليوناني، فإن الشكل اللغوي الأدنى لهذا المركز عادة ما يتم دفعه إلى الأمام في محاولة لجعله الشكل اللغوي الأعلى. ويتم في هذه الحالة التخلي عن الشكل اللغوي الأعلى السابق، وتصبح باقي لهجات المدن والقرى التابعة لذلك المركز أشكالا لغوية دنيا. هنا يتم الاستعاضة عن ازدواجية اللغة بالوضع الذي ذكرناه سابقا، وهو وجود لهجة معيارية في المركز والتي يتبعها لهجات أخرى موزعة بين بقية أفراد المجتمع (Standard-with-dialects).

ويرى فرجسون مستقبل الحالات الدراسية التي بحثها كالآتي : فالوضع اللغوي في سويسرا سوف يستمر ثابتا نسبيا بوجود اللغة الألمانية المتحدثة في ألمانيا كشكل أعلى واللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا كشكل لغوي أدنى. أما في وضع اللغة العربية فهناك بعض التقدم البطيء باتجاه لهجة معيارية لكل قطر عربي. فهناك مثلا اللهجة المعيارية المصرية والتي سوف تنشأ بشكل كبير من اللهجة المصرية المتحدثة في القاهرة، يماثل هذا الوضع نشأة لهجات معيارية عربية في باقي الدول مستمدة من لهجات عواصم تلك الدول. أما وضع اللغة في هايتي فإنه سوف يقوم على ما أسميناه سابقا باللهجة المعيارية ولهجات أخرى محلية (Standard-with-dialects)، وتكون هذه اللهجة المعيارية مستمدة من لهجة بورت أو برنس، عاصمة هايتي. بينما وضع اللغة اليونانية يبدو متقدما باتجاه استخدام لهجة أثينا كلهجة معيارية موحدة.



الفصل الثاني

نظرية فيشمن

١ - القصور في دراسة فرجسون .

٢ - ازدواجية اللغة وثنائية اللغة .

٣ - ازدواجية اللغة: نظرية فيشمن .

دراسة فيشمن

أ - ازدواجية اللغة مع ثنائية اللغة .

ب - ازدواجية اللغة بدون ثنائية اللغة .

ج - ثنائية اللغة بدون ازدواجية اللغة .

د - انعدام كل من ازدواجية اللغة وثنائية اللغة .

٤ . خاتمة .

حاول فرجسون تعريف مصطلح ازدواجية اللغة باستخدام تسع صفات أو خصائص تميز هذه الظاهرة عما سواها ، وكما عرفنا أيضا فإن فرجسون كان يطمح من وراء بحثه أن يتبع ذلك البحث دراسات تناقش هذه الظاهرة في محاولة للوصول إلى تعريف لازدواجية اللغة يتفق عليه علماء اللغة. فهدف فرجسون – كما أشرت سابقا وكما أوضح هو في نهاية بحثه – أن ينظر لازدواجية اللغة من نفس المنظور الذي أشار إليه، مع التفريق بين ازدواجية اللغة والأوضاع اللغوية الأخرى التي تماثلها والتي لا تعتبر أمثلة على هذه الظاهرة. وأخيرا اختتم فرجسون بحثه بتوجيه رجاء إلى علماء اللغة بأن يقوموا بالعديد من الدراسات التي تناقش هذه الظاهرة والظواهر الأخرى المرتبطة بها[1] . وعلى الرغم من محاولة فرجسون توضيح هذه الظاهرة إلا أن بحثه لم يخلُ من الغموض وعدم الوضوح، وهو ما قاد بعض علماء اللغة الذين ناقشوا هذه الظاهرة بعد ظهور بحثه إلى مناقشة أمثلة مختلفة والتوسع في معنى ازدواجية اللغة، مما أدى إلى خروج هذه الظاهرة عن الإطار الذي وضعه فرجسون. ونستطيع هنا أن نلخص قصور دراسة فرجسون أو عدم وضوحها بنقاط خمس هي :

أولا: ذكر فرجسون في الهامش الثاني ص ٣٢٥ أنه سوف يستخدم مصطلحات لغة، ولهجة، وشكل لغوي، دون أي تفريق بين المصطلحات الثلاثة. ولكن فرجسون - وفي بحثه كله - لم يستخدم إلا مصطلح (Variety) والتي ترجمتها على أنها شكل لغوي. وكما هو معرف لجميع علماء اللغة، بالإضافة إلى المتعلمين من أفراد المجتمع، فأن مصطلحي لغة ولهجة يدلان على شكلين مختلفين من أشكال اللغة، وإن كان الفرق بين هذين المصطلحين ليس واضحا من الناحية اللغوية. فلو قلنا

[1] فرجسون ١٩٥٩م ص ٣٤٠.

مثلا إن اللهجة هي التي يستطيع أفراد المجتمع فهمها، فنقول إن الشكلين اللغويين (أ) و(ب) لهجتان متى ما استطاع متحدثو الشكل (أ) فهم متحدثي الشكل (ب) وبالعكس. ولكن يبدو هذا التعريف غير صحيح في بعض الحالات. فعلى سبيل المثال يوجد على الحدود الألمانية – الهولندية مجتمعات على شكل قرى صغيرة في كلا الجانبين ، فهناك يستطيع الأفراد الذين يعيشون في الجزء الألماني فهم الأفراد الذين يعيشون في الجزء الهولندي أكثر من فهمهم لمتحدثي الألمانية في مدينة مثل فرانكفورت. وهل نستطيع القول بأن أفراد المجتمعين يتحدثون لهجتين مع علمنا بأن لهجة أفراد الجزء الألماني تعتبر لهجة من لهجات اللغة الألمانية ؟ والقول نفسه أيضا ينطبق على الأفراد الهولنديين. ويرينا المثال السابق بوضوح نتيجة عدم التزام فرجسون بالحديث عن الحالات الدراسية باستخدام كلمة لغة أو لهجة ، وأن هذا قد أدى ببعض اللغويين إلى الفهم الخاطئ لظاهرة ازدواجية اللغة.

وقد يرى البعض أن من الممكن فهم ما كان يقصده فرجسون بالنظر إلى الحالات الدراسية التي استخدمها. فحالة اللغة العربية - على سبيل المثال - تعطينا دلالة واضحة على أن المقصود بازدواجية اللغة هو الارتباط بين أشكال اللغة الواحدة. فالعربية الفصحى أو حتى العربية الحديثة تمثل – كما نعلم – شكلا لغويا مرتبطا ارتباطا يصل إلى درجة اللهجة بالنسبة للهجات العربية المختلفة. ونخلص هنا إلى القول إن العلاقة المطلوبة بازدواجية اللغة هي تلك العلاقة بين اللهجات فقط مع استبعاد العلاقة بين اللغات أو أساليب اللهجة الواحدة. وهذه العلاقة وإن كانت واضحة بالنسبة لحالة اللغة العربية ، فإنها غامضة جدا بالنسبة لحالتي اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا وهجينة هايتي. فبالنسبة لوضع اللغة الألمانية المتحدثة بسويسرا، يرى بعض علماء اللغة فيما يتصل بالعلاقة أو الارتباط بين الشكلين الأعلى والأدنى في سويسرا أنه من الأفضل التعامل معهما على أنهما لغتان وليستا لهجتين للغة واحدة، نظرا للاختلاف الكبير بين الشكلين اللغويين من

ناحية التراكيب اللغوية[١].

أما وضع لغة هجينة هايتي فإنه لا يختلف كثيرا عن وضع اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا. فقد ذكر ستيوارت أن مسألة اعتبار أن هجينة هايتي (الشكل الأدنى من اللغة) واللغة الفرنسية (الشكل الأعلى من اللغة) لهجتين أو لغتين مستقلين أمر غير متفق عليه[٢]. فهناك من يرى أن الشكلين اللغوين هما لهجتان للغة واحدة، وقد تعدى الأمر ذلك إلى تصنيف هجينة هايتي على أنها أحد أفراد العائلة الرومانسية التي تضم اللغة الفرنسية[٣]. ولكن ستيوارت عارض هذا الرأي مبينا بعد دراسة مستفيضة أن التركيب النحوي لهجينة هايتي لا يماثل أي لغة من اللغات الرومانسية. كما تختلف أيضا هجينة هايتي من الناحية اللغوية اختلافا كبيرا عن اللغة الفرنسية، ومن الواجب اعتبار هذين الشكلين كلغتين منفصلتين.

وما دمنا نتحدث عن الأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة، أحب هنا أن أطرح هذا التساؤل الذي لم يناقشه فرجسون في دراسته التقليدية. والسؤال هو : كم عدد الأشكال اللغوية المطلوب وجودها حتى نستطيع القول إن هذه الأشكال من أمثلة ازدواجية اللغة ؟ قد يرى البعض أن العدد المطلوب هو شكلان لغويان حيث إن جميع الحالات الدراسية التي قدمها فرجسون كانت تحتوي على شكلين من أشكال اللغة. فحالة كل من اللغة العربية واللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا لا تتفق مع هذا الرأي، وإن كان هذا الرأي ينطبق إلى حد ما على اللغة اليونانية وهجينة هايتي. فاللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا ليست شكلا واحدا وإنما تتكون من العديد من اللهجات والتي تكّون مجتمعة الشكل اللغوي الأدنى ،

[١] على سبيل المثال انظر فاسولد ١٩٨٤م.

[٢] ستيوارت ١٩٦٢م ص.١٦٠-١٦١.

[٣] هال ١٩٥٠م.

والمقسمة حسب الإقليم أو الولاية التي يكون التحدث فيها بتلك اللهجة. وقد استخدم فاسولد كلمة (Canton) لوصفها. ووضع اللغة العربية ليس بعيدا عن هذا الوصف السابق. فقد استخدم فرجسون اللهجة المصرية المتحدثة في القاهرة كمثال على الشكل اللغوي الأدنى، ولكن هناك العديد من اللهجات المصرية الأخرى والتي – كما نعلم – يستطيع علماء اللغة ممن تخصصوا في دراسة اللهجات التمييز فيما بينها، وإن كان هذا التفريق أو التمييز قد يبدو واضحا حتى للعامة من الناس. فإذا كان الوضع اللغوي في مصر فقط على هذا المستوى من التعقيد والتشعب، فإن أوضاع اللغة في البلاد العربية الأخرى قد يزيد الأمر تعقيداً وتشعباً. ومن هنا يتضح أن الشكل اللغوي الأدنى ليس مكونا من لهجة واحدة بل من عشرات وربما مئات اللهجات العربية المختلفة المتحدثة في الوطن العربي ، وكل لهجة من هذه اللهجات لها نظامها اللغوي الخاص الذي يميزها عن اللهجات الأخرى، والذي يتراوح في المقدار من لهجة لأخرى ومن بلد لآخر.

ثانيا: عندما استعرضنا خاصية المعيارية، أشرت إلى أن فرجسون قد فرق بين الشكلين اللغوين على أن أحدهما – وهو الشكل الأعلى – قد اهتم بمعياريته بتأليف المعاجم وكتب النحو وخلافه، بينما لم يتم العمل على وضع أي معايير للشكل اللغوي الآخر – وهو الشكل الأدنى – مما أدى إلى عدم الاتفاق بين أفراد المجتمع على شكل الكتابة المفروض اتباعه. ولكن المعيارية ليست كلمة أو مصطلحا لغويا من الممكن النظر إليه من خلال وجود أو عدم وجود مميزات أو ظواهر معينة. فعلى سبيل المثال، هل نقول إن الشكل اللغوي ذا المعاجم وكتب النحو وغيرها من وسائل التقنين هو شكل معياري (Standarization +) بينما الشكل اللغوي المفتقر إلى هذه الوسائل هو شكل غير معياري (Standarization -) . ولكن ما هو وضع الأشكال اللغوية التي تقع في منتصف الطريق بين هذين القطبين ؟ هل نعتبر

الشكل اللغوي كشكل معياري إذا استوفى بعض الشروط المطلوبة للمعيارية ولم يستوفها الشكل الآخر؟ بمعنى آخر : هل نعامل شكلين لغويين على أنهما متساويا المعيارية إذا كان قد وضع لهما معاجم وكتب نحو، ولكن أحد هذين الشكلين من الممكن استخدامه كلغة تعليم في جميع المراحل التعليمية وصولا للتعليم الجامعي ، بينما الشكل الآخر من المتعذر استخدامه بعد التعليم الابتدائي لأي سبب من الأسباب ؟ هنا يتضح أننا بحاجة إلى مفهوم المتصل (Continuum) لقياس معيارية شكل لغوي ما بدلا من النظر إليها على أنها خاصية محددة الملامح.

وبالأخذ بمبدأ المتصل ورفض صفتي الوجود أو العدم (Presense or Absence) ، فإننا لا نعلم أين نضع النقطة التي تفصل بين معيارية الشكل الأعلى وعدم معيارية الشكل الأدنى. هذا الغموض دفع وكسلر إلى القول بأنه من غير المقنع التمييز بين الحالات التي ذكرها فرجسون وتلك الحالات التي يرى فرجسون أنها لا تشكل جزءاً أو شكلا من ازدواجية اللغة[1]. ومن هنا يرى وكسلر أن حالات مثل اللهجة الإنجليزية المعيارية ولهجة الملونين العامية (Vernacular Black English) من الممكن اعتبارها ازدواجية لغة ، وأما الاختلاف بين حالتي اللغة العربية واللغة الإنجليزية فإنما هو اختلاف في الدرجة وليس النوع.

ويبدو الوضع أكثر تعقيدا عندما نناقش خاصية المعيارية وذلك بالنظر إلى قول فرجسون إن الشكل اللغوي الأدنى في دراسته كانت تلك اللهجة التي يستخدمها المتعلمون في القاهرة. وكما هو معروف فإن هذه اللهجة ليست هي اللهجة الوحيدة في مصر ، فهناك على سبيل المثال لهجة أبناء القاهرة غير المتعلمين و ممن يعتبرون من السكان الأصليين للقاهرة. وهناك أيضا لهجات عديدة يتحدثها أولئك الذين قدموا إلى القاهرة من الأقاليم الأخرى، والذين تتفاوت لهجاتهم بين لهجة محاكية للهجة القاهرة واللهجة الأصلية للأقاليم التي حضروا منها، ناهيك عن الكم الهائل

---

[1] وكسلر ١٩٧١م ص ٣٣٦.



من اللهجات التي تقع بين هاتين النقطتين. وبنفس الأسلوب نستطيع أن نتعامل مع الوضع في لهجات المملكة العربية السعودية ، فهناك العديد من اللهجات، ولنأخذ اللهجة النجدية مثلا ، فهذه اللهجة تتحدث في منطقة شاسعة من المملكة العربية السعودية، ومن أجل تسهيل عملية البحث والدراسة يلجأ الباحثون أحيانا إلى تعريف أي جزء من تلك المنطقة المراد دراسته[١]. ولكن ماذا عن باقي المناطق التي يعتبرها الباحثون جزءاً من اللهجة النجدية؟ وعندما نريد دراسة ازدواجية اللغة في المملكة العربية السعودية متخذين العربية الفصحى كشكل لغوي أعلى واللهجة النجدية كشكل لغوي أدنى، فأي جزء من اللهجة النجدية نستطيع اتخاذه كشكل أدنى؟ وبالإضافة إلى هذا فلم تدرس جميع أجزاء اللهجة النجدية بنفس المستوى من الكثافة. فنرى أن هناك العديد من الدراسات التي بحثت في نحو اللهجة النجدية المتحدثة في منطقة القصيم، ولكنها أغفلت باقي الأجزاء في المناطق الأخرى. هل معنى هذا أن اللهجة المتكلمة في منطقة القصيم هي نفس اللهجة المستخدمة في مدينة الرياض أو مناطق سدير المختلفة ؟ فقد ذكر السويل أن اللهجة النجدية وإن كان ليس هناك تحديد جغرافي لموقعها "إلا أنها معروفة على المستوى المحلي بتلك اللهجة المتحدثة في المنطقة الصحراوية التي يحدها اليمن جنوبا والحدود الأردنية شمالا، ومن واحة الأحساء شرقا إلى جبال الحجاز وسهول عسير غربا "[٢]. وهنا نرى أن أجزاء اللهجة الواحدة لا تحظى بنفس المستوى من الدراسة والبحث ، مما يؤثر في مستوى المعيارية وكذلك في عدد الأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة.

---

[١] للاطلاع انظر دراسات السويل ١٩٨٣م و ١٩٨٦م.

[٢] السويل ١٩٨٩م ص ٧١.



ثالثا : استخدم فرجسون عبارة (Speech Communities) وترجمتها الحرفية (مجتمعات كلامية)، وهنا قمت بحذف كلمة كلامية والاكتفاء بكلمة مجتمعات لمعرفتنا أن ما نقصده بهذه اللفظة هو الشكل اللغوي الذي يتحدثه الأفراد في تلك المجتمعات. ولكن فرجسون لم يحدد أو يعرف هذه العبارة ، وقد أدى هذا الغموض في الاستخدام بالكثير من علماء اللغة إلى وضع فرضيات ومناقشة أمثلة قد تكون بعيدة عن معنى ازدواجية اللغة. وكدليل على عدم وضوح هذه العبارة لعلماء اللغة فقد حاول فاسولد إيجاد حل لهذه المشكلة بقوله بأن "فرجسون لم يعرِّف معنى المجتمعات الكلامية، ولكن مناقشته تشير إلى مفهوم فكرته الضمنية بأن المجتمعات الكلامية هي جميع تلك المجتمعات التي تقع داخل حدود بعض الدول ويتكلم أفرادها نفس اللغة"[1]. وهذا الإيضاح من قبل فاسولد لا يضيف أي بساطة على معنى المجتمعات الكلامية ، فلقد حاول بعض علماء اللغة وضع حدود معينة لهذا المصطلح قبل أن يشرع فاسولد بمحاولة تعريف تلك المجتمعات، وإن كانت محاولاتهم لم يكتب لها قدر كبير من النجاح[2].

وإذا كان ما يعتقده فاسولد من أن المجتمعات الكلامية هي تلك التي تقع داخل حدود دولة ما ويتكلم أفرادها نفس اللغة صحيحا، فإن هذا الاعتقاد قد ينطبق على بعض الحالات الدراسية التي أوردها فرجسون في دراسته ولكنه لا ينطبق على حالات أخرى. فمثلا من الحالات الأربع الرئيسية التي ذكرها، نجد أن اللغة اليونانية واللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا وهجينة هايتي تقعان كلتاهما داخل دول معلومة الحدود. فنستطيع القول بأن المجتمع الكلامي للغة اليونانية يتكون من جميع الأفراد الذين يعيشون داخل حدود اليونان ويتكلمون اللغة اليونانية. ولكن هذا الاعتقاد أو المنظور لا ينطبق بأي حال من الاحوال على اللغة العربية أو على

---

[1] فاسولد ١٩٨٤م ص ٤٣.

[2] لاباف ١٩٦٦م ص ١٢٥، هايمز ١٩٧٤م ص ٥١، قمبرز ١٩٦٢م ص ٣١.

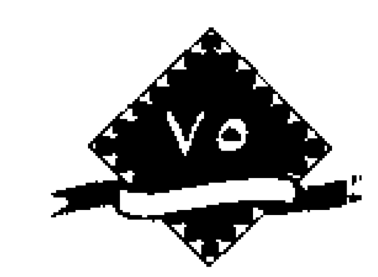
اللغتين التاميلية والصينية والتي استخدمها فرجسون حتى يبين أن ازدواجية اللغة ليست محددة بزمان أو مكان.

فنحن نعلم أن هناك عدداً من الدول العربية يتحدث أفرادها اللغة العربية كلغة أم ، ولكن هذه الدول محصورة داخل حدود معروفة للآخرين . وهنا هل نقول بأن دولة كمصر والتي يتحدث أفرادها اللغة العربية هي مجتمع كلامي مستقل عن باقي الدول العربية ؟ نفس المنظور ينطبق على باقي الدول العربية. هل تشكل كل دولة عربية على حدة مجتمعا كلاميا مستقلا عن الدول العربية ؟ إذا كانت الإجابة بنعم، وأن كل دولة عربية تمثل مجتمعا كلاميا مستقلا عن المجتمعات الأخرى ، إذاً لا بد من الأخذ بالتعريف كاملا والذي نستطيع أن نقسمه إلى قسمين ، فنقول إن المجتمعات الكلامية هي :

(١) مجتمعات يتكلم أفرادها لغة واحدة.
(٢) مجتمعات يعيش أفرادها داخل حدود دولة معينة.

ومن هذا التقسيم يتضح أن قبول الدولة العربية الواحدة كمجتمع كلامي مستقل عن باقي مجتمعات الدول يتفق مع الجزء الأول من التعريف ، ولتطبيق هذا التعريف كاملا باستخدام الجزء الثاني من التعريف نقول بأن كل دولة عربية تستخدم لغة غير المستخدمة في الدول العربية الأخرى. هذا - كما هو معروف لدينا وبدون أدنى شك - يعدّ نتيجة غير صحيحة، فنحن نعلم علم اليقين أن جميع الدول العربية تتحدث لغة واحدة هي اللغة العربية، وإن كان هناك اختلاف بين اللهجات المحلية لأي دولة فإن هذا الاختلاف لا يعوق الاتصال أو التعامل بين أفراد تلك المجتمعات.

ويتفق وضع اللغة العربية كما رأينا في الفقرة السابقة مع الجزء الأول من التعريف ، ولكنه يخالفه مخالفة واضحة في جزئه الثاني. أما المثالان اللذان



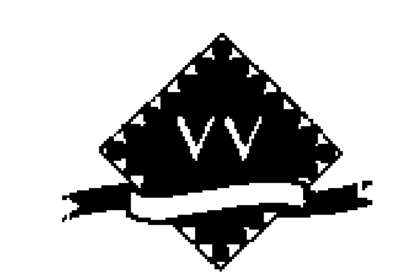
ذكرهما فرجسون وهما اللغة التاميلية واللغة الصينية، فإن وضعهما هو على العكس من وضع اللغة العربية تماما. واللغة التاميلية هي لغة متحدثة في الهند وسيرلانكا بالإضافة إلى كونها إحدى اللغات الرئيسة في ماليزيا وسنغافورا ، واللغة الصينية لها نفس شكل الانتشار في دول أخرى كسنغافورا وماليزيا وتايلاند بالإضافة إلى الصين وهونغ كونغ وتايبيه. ويتحدث أفراد هذه المجتمعات نفس اللغة، وهنا لا يبدو الجزء الأول من التعريف مشكلة بالنسبة لعبارة المجتمعات الكلامية. ولكن لو أضفنا الجزء الأول فإننا نقول إن الهند وسيرلانكا وسنغافورا وماليزيا دولة واحدة. وهذا بالطبع نتيجة خاطئة. فكل دولة من هذه الدول لها سيادتها وحدودها المستقلة وتتمتع باستقلالية تامة عن الدول الأخرى.

يتضح لنا قصور دراسة فرجسون فيما يخص هذا الجزء ، ونتيجة لذلك لا نعلم متى نطلق لفظ مجتمعات كلامية لوصف الحالات التي ننوي دراستها. ولكن يبدو لي أن الجزء الثاني من التعريف مرتبط بعلم اللغة السياسي أكثر من ارتباطه بعلم اللغة الاجتماعي أو أي جزء آخر من أجزاء علم اللغة. نستطيع الاستغناء عن الجزء الثاني من التعريف وأخذ الجزء الأول فقط، لأن هذا الجزء مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم اللغة الاجتماعي. وأرى هنا أن يعرف المجتمع الكلامي بأنه : "ذلك المجتمع الذي يتحدث أفراده نفس اللهجة" . وبإحلال كلمة لهجة مكان لغة نستطيع القضاء على بعض الصعوبات التي واجهتنا في السابق عندما ناقشنا الشكل اللغوي. وعندما نود الحديث عن ازدواجية اللغة في اللغة العربية متخذين اللهجة النجدية كشكل لغوي أدنى فإننا نصرف الدراسة إلى اللهجة النجدية ومجتمعها مبتعدين عن باقي اللهجات كاللهجة الحجازية وغيرها، حتى وإن كانت هذه اللهجات داخل حدود دولة معينة. وبالاتفاق على هذا التعريف فإن مشكلة اللغة التاميلية والصينية لا تشكل أي عقبة، لمعرفتنا بأن الشكل اللغوي التاميلي المستخدم في الهند يختلف إلى حد ما عن شكل اللغة التاميلية المتحدثة في ماليزيا. وعند دراسة

اللغة التاميلية فإننا نحدد الشكل اللغوي الأدنى لدراستنا بقولنا بأن الشكل اللغوي الأدنى في دراسة ازدواجية اللغة هي تلك اللهجة المتحدثة في ماليزيا. وإذا كان هذا التـعريف قـد يؤدى إلى تشـعب دراسـة ازدواجـيـة اللغـة، فـإنه يقـضـى على مـشكلتين همـا : مـشكلة الشكل اللغوي ، ومشكلة المجتمـع الكلامي. ونظرة أخرى إلى هذا التـعريف تبين لنا أن التـشـعب السـابق الذكر قد لا يبدو في الواقع بنفس حجم المشكلة التي قد نتصورها نظريا ، وهذا يعود إلى أن لهجات الدولة الواحدة - وإن تعددت - يمكن تقسيمها بحسب خصائصها اللغوية إلى أقسام محددة قد لا تتعدى في بعض الأحيان عدد أصابع اليد الواحدة. ومتى ما كان الاختلاف بين هذه اللـهـجـات اخـتـلافـا لغـويا كـبـيرا ، فـإنه من الممكن في هذه الحـالة النظر إلى اللهجات على أنها لغات مستقلة ، كما رأينا سابقا بالنسبة للغة الألمانية المتحدثة في ألمانيا وتلك المتحدثة في سويسرا.

رابعا: عدد فرجسون تسع خصـائص ليمـيز ازدواجـية اللغة عمـا سـواها من ظواهر لغوية مشابهة ، وقد أخذ هذا التعداد طابع الاستقلالية. فنحن ومن خلال عرض فرجسون ننظر لكل خاصية على أنها وحدة قائمة بذاتها مما يعطينا انطباعا بعـدم وجـود أي عـلاقـة بين هذه الخـصـائص. ولكن ليس هذا واقـع الحـال، فـهـذه الخصائص - كما ذكرت سابقا - متداخلة بعضـها في بعض ، بل من الممكن دمج هذه الخصـائص مع بعضـهـا، والاسـتـغنـاء عن البـعض الآخر دون المسـاس بمفـهـوم ازدواجية اللغة الذي أراده فرجسون [١]. وكما رأينا سـابقـا نسـتطيـع دمـج خـاصـيـة التراكيب النحوية والتراكيب الصوتية والمفردات مع بعضـها وإعطاءهـا مسمى جديدا هو التراكيب اللغوية. ونستطيع أيضـا دمـج خـاصـية الاكتسـاب مع خـاصـية الوظيفة وجعلها جزءاً من الوظيفة، لأن تقسيم المواقف إلى رسمية وغير رسمية مع ما يذهب

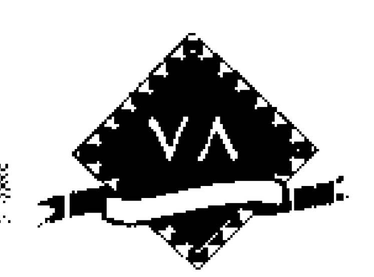
[١] انظر هامش ١٤.



مع هذا التقسيم من تخصيص لشكل اللغة المستخدمة، يجبرنا على اكتساب الأشكال اللغوية العليا والدنيا بتلك الطريقة المذكورة في ازدواجية اللغة. كما نستطيع أيضا الاستغناء عن الخصائص الأربع الباقية دون المساس بالمفهوم الأصلي لازدواجية اللغة.

خامسا : لا تعكس الخصائص التي استخدمها فرجسون وضع الحالات الدراسية في ازدواجية اللغة بشكل جيد ، فقد رأينا أن بعض هذه الخصائص قد ينطبق بشكل جيد على بعض الحالات الدراسية كاللغة العربية ولكن بعضا من هذه الخصائص قد لا تنطبق على باقي الحالات الدراسية. فمثلا خاصية الثبات التي ذكرناها سابقا – والتي تقول بأن وضع ازدواجية اللغة وضع ثابت نسبيا لفترة زمنية طويلة – لا تتفق مع الملاحظات العامة حول اللغة اليونانية. فقد ذكر فرجسون أن ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية قد أخذت شكلها النهائي في بداية القرن التاسع عشر ، ولكننا في الوقت نفسه نرى أن هناك مطبوعات قد ظهرت إلى الوجود مستخدمة الشكل اللغوي الأدنى في وقت ليس ببعيد من وقت أخذ ازدواجية اللغة وضعها النهائي ، فقد ظهرت مطبوعات مستخدمة الشكل اللغوي الأدنى في عام ١٨٨٨م ، وهذا يتنافى مع خاصية الثبات المذكورة، ولكن وفي نفس الوقت نرى أن هذه الخاصية تنطبق على وضع اللغة العربية لكون ازدواجية اللغة في اللغة العربية ظاهرة ملاحظة منذ مئات السنين.

مثال آخر على عدم دقة هذه الخصائص في وصف الحالات الدراسية نستقيه من خاصية التراث الأدبي : فهذه الخاصية تفترض وجود تراث أدبي غزير من الناحية الكمية يقابله بعض الأعمال الأدبية الشعبية المحدودة والتي استخدمت الشكل اللغوي الأدنى كلغة لها. هذا التوزيع قد لا يعكس واقع الحال ، فقد يتفق وضع اللغة العربية مع هذه الخاصية، ولكن وضع اللغتين اليونانية والألمانية



المتحدثة في سويسرا يخالف وبشكل ملاحظ هذه الخاصية. فالأدب المكتوب باستخدام الشكل الأدنى من اللغة اليونانية يفوق في المقدار الأدب المكتوب بالشكل الأعلى من اللغة ، وحتى الأدب المكتوب بالشكل اللغوي الأعلى نجده يقترب وفي مواضع عديدة من الشكل اللغوي الأدنى. ونفس هذه الملاحظة توجد أيضا في اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا.

خاصية أخرى قد لا تصف وضع هذه الحالات جميعا هي خاصية المنزلة ، فنحن كمتحدثين للغة العربية نكن احتراما كبيرا للعربية الفصحى بحكم أنها لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بالإضافة إلى أنها لغة الشعر الذي كان يعد ديوان العرب قديما ، ولونا من أميز الإبداع اللغوي للعرب على مرّ العصور ، ولكن هذا الاحترام للشكل اللغوي الأعلى لا ينطبق على وضع اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا ، فالسويسرون يرون أن الشكل اللغوي الأدنى علامة ورمز يميزهم عن باقي المجتمعات التي تتحدث الألمانية.

وخاصية المنزلة وإن وصفت وضع بعض المجتمعات ، فإنها تغفل في كثير من الأحيان بعض الظواهر المرتبطة بعلم اللغة الاجتماعي. فاللهجة وإن كانت لا تحظى بمقدار معين من المعيارية أو بأعمال أدبية عظيمة كتبت بها ، فإنها تلعب دورين رئيسيين دائما ما تعجز اللغة عن القيام بهما. فاللهجة تلعب دوري التفريق والتعريف بالنفس (Contrastive and Self-identification) [1]، أو وظيفتي التوحيد والفصل (Unifying and Separatist Functions) [2]. من هنا نعلم أن اللهجة تميز أفرادها (الأشخاص الذين يتحدثونها) عن أفراد المجتمعات الأخرى ، حتى ولو كانت هذه المجتمعات تتحدث لغة واحدة، كما أنها في الوقت نفسه توحد أفرادها

[1] طبقاً لمصطلح فيشمن ١٩٧٢م ص ٥٢.

[2] كما ذكر ذلك فيشمن، و جارفن و ماثيو ١٩٥٦م.

كمتحدثين لتلك اللهجة. ولهاتين الوظيفتين تأثير بالغ في نفسيات أفراد المجتمع، ومن هنا لا نرى أن وضع اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا يخالف هذه القاعدة، بل إنه مثال على دور هاتين الوظيفتين. فخاصية المنزلة قد تنطبق على المجتمعات التي يرتبط الشكل اللغوي الأعلى فيها بالدين أو بقيم ذلك المجتمع كما هو الحال في اللغة العربية واللغة اليونانية، ولكن عندما ينعدم هذا الارتباط فإن الوضع الطبيعي في هذه الحالة أن يحظى الشكل اللغوي الأدنى باحترام يفوق احترام الشكل اللغوي الأعلى نظرا لدور الوظيفتين سابقتي الذكر.

وأخيرا، فإن أهم خاصية من خصائص ازدواجية اللغة وهي الوظيفة قد تنطبق على حالات فرجسون الدراسية باستثناء حالة اللغة اليونانية. فإحدى وظائف الشكل اللغوي الأعلى استخدامها في وسائل الإعلام، ولكن عند النظر للغة اليونانية، نجد أنه عند القيام بلقاء في وسيلة من وسائل الإعلام، يبدأ هذا اللقاء عادة بالترحيب بالضيف باستخدام الشكل اللغوي الأعلى، ولكن يتم التدريج بعد ذلك ويكون الشكل اللغوي المستخدم في باقي أجزاء تلك المقابلة هو الشكل اللغوي الأدنى. ومن وظائف الشكل اللغوي الأعلى كما ذكر سابقا هو استخدامها كلغة تعليم في المراحل الجامعية، ولكن بعض أساتذة الجامعات اليونانية يلقون محاضراتهم باستخدام الشكل اللغوي الأدنى. هذه الأمثلة تبين لنا أن خاصية الوظيفة لا تنطبق على وضع اللغة اليونانية، وإن انطبقت على الحالات الدراسية الثلاث الأخرى.

هذا القصور أو تلك المشاكل التي رافقت دراسة فرجسون دفع الكثير من علماء اللغة إلى إساءة فهم هذه الظاهرة. وقد تبلور هذا الفهم الخاطئ في أحد الشكلين الآتيين :

(١) تعريف ازدواجية اللغة بشكل خاطئ ونسب ذلك التعريف إلى فرجسون ، على الرغم من أن فرجسون لم يتبنَّ مثل هذا التعريف. فمثلا كتب موراق : "وازدواجية اللغة طبقا لتعريف فرجسون هي ذلك الوضع الذي يكون فيه شكلان أو أكثر من أشكال نفس اللغة ، يستخدمهما نفس المتحدثين تحت ظروف مختلفة"[١]. وبالنظر إلى تعريف فرجسون الذي ذكرناه سابقا لا نجد أي إشارة صريحة أو ضمنية لأكثر من شكلين من أشكال اللغة . ولكن هذه الجملة قد استخدمها فرجسون كبداية لمقاله ، وإن كان لم يقل إن هذه الجملة هي تعريف لازدواجية اللغة. مثال آخر على هذه التعاريف الخاطئة ما ذكره بنالوسا عندما كتب أن ازدواجية اللغة طبقا لتعريف فرجسون هي "تلك الأوضاع التي تضم إما شكلين من أشكال اللغة أو لغتين مختلفتين، وتستخدم هذه الأشكال بشكل مكثف في المجتمع"[٢]. وبالنظر إلى بحث فرجسون لا نجد أي دلالة على القول بأن ازدواجية اللغة تضم لغتين مختلفتين، إحداهما شكل أعلى والأخرى شكل أدنى. بل إن الذي ذكره فرجسون هو أن هذه الأشكال تمثل لغة واحدة.

(٢) نسب بعض خصائص ازدواجية اللغة التي ذكرها فرجسون إلى غيره من علماء اللغة ، فهناك بعض اللغويين ينسبون لفيشمن الفضل بالتعريف بالوظيفة كخاصية من خصائص ازدواجية اللغة. وعلى الرغم من أن فيشمن قد ناقش وتوسع في مفهوم ازدواجية اللغة ، فإن خاصية الوظيفة التي ناقشناها سابقا اعتبرها فرجسون من أهم خصائص ازدواجية اللغة.

وقبل التطرق إلى التوسعات في مفهوم ازدواجية اللغة والتي تمت بواسطة علماء

[١] موراق ١٩٦٩م ص ١٤٠.

[٢] بنالوسا ١٩٧٥م ص ٩٨.

اللغة، يبدو من الضروري التفريق بين مفهومين ، هما : ازدواجية اللغة ، وثنائية اللغة.

٢ - ازدواجية اللغة وثنائية اللغة :

لكون علم اللغة الاجتماعى هو أحد العلوم الجديدة ولأن كثيرا من مفاهيم ومصطلحات هذا العلم لم يتم تعريبها أو أن ما عرب منها لا يعكس المفهوم اللغوي بدقة ، فإن القيام بإيجاد أسماء مطابقة لهذه المصطلحات باللغة العربية ليس بالأمر الهين. ومن هذه المصطلحات التي يجب التفريق بينها مصطلحا : ازدواجية اللغة (Diglossia) ، وثنائية اللغة (Bilingualism). والترجمة الحرفية لهذين المصطلحين لا تبين أي اختلاف أو فرق بينهما. فازدواجية اللغة تتكون من كلمتين يونانيتين ، هما : (Di) و معناها (اثنان) ، و (Glossia) والتي تعنى (لغة). أما ثنائية اللغة فهي مكونة من مقطعين أو كلمتين لاتينيتين ، هما : (Bi) و معناها (اثنان)، و (Lingual) وتعنى لغة. إذاً هذان المصطلحان بالترجمة الحرفية يحملان نفس المعنى وهو لغتان.

وبما أن هذين المصطلحين - وإن كانا يحملان نفس الاسم - فإنهما يدلان على شيئين مختلفين، لذا رأيت قبول ترجمة المصطلح الأول بازدواجية اللغة والثاني بثنائية اللغة للأسباب التالية:

(١) هذه الترجمة تبعدنا عن استخدام العديد من الكلمات والتي بالتالي يصعب الرجوع إليها كلما دعت الحاجة. فبدلا من القول بأن ازدواجية اللغة هي ازدواجية اللغة الخاصة بالمجتمع ، و ثنائية اللغة هي ازدواجية اللغة الخاصة بالفرد فضلت استخدام المسميات الأقصر لسهولتها.



(٢) ازدواجيـة اللغـة هي خـاصـيـة أو صـفـة نطلقـهـا على وضـع المجـتـمـع ككل ، فـعندما نتـحـدث عن ازدواجيـة اللغـة، فـإننا نتـعـامل مـع الأشكال اللغـوية الموجـودة في ذلك المجـتـمـع. وبمعنى آخـر فـإن ازدواجـيـة اللغـة هي أحـد مـصـطلحـات علم اللغـة الاجتماعي، أما ثنائية اللغة فإنها تصف قدرة الفرد على التعامل مع أكثر من لغة واحدة. فازدواجية اللغة تتعامل مع أشكال اللغة الواحدة، بينما تتعامل ثنائية اللغة مع لغتين مـختلفتين، بالإضافة إلى كون الأخير أحد مـصطلحات علم اللغة النفسي، وإن كان هذا المصطلح يستخدم بين الحين والآخر في مجال علم اللغة الاجتماعي.

(٣) كلمـة ثنائيـة تحـمل معنى وجـود أكثر من شـكل من الأشكال اللغـوية والتي ليست بالضـرورة مزدوجـة ، فـعندمـا ناقـشنا خـصـائص ازدواجية اللغـة وبالأخص خاصية الاكتساب، رأينا أن هناك أفرادا في المجتمع لم يتمكنوا من الإلمام بالشكل اللغوي الأعلى. أما ثنائية اللغة فإنها تشير إلى وجود خيار للمتحدث ذي ثنائية اللغة باستخدام إحدى اللغتين في مواضع معينة. فمثلا نقول إن الإلمام باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو معرفتهما هي من خصائص ازدواجية اللغة، ولكنها ليست بالضرورة مرتبطة بازدواجية اللغة.

(٤) لا يوجـد هناك مسـتـويات لازدواجيـة اللغـة و نقـول على سـبيل المثال : إن ازدواجيـة اللغـة إمـا مـوجـودة وإمـا مـعـدومـة في مـجـتـمـع مـا. وعلى النقيض من هذا فإنه هناك مستويات لثنائية اللغة ، فالفرد الذي يعرف بضع كلمات معدودة من لغة ما لا يتساوى مع فرد آخر يتقن تلك اللغة قراءة وكتابة وتحدثا .

من هنا فإن ازدواجية اللغة ظاهرة منفصلة ومستقلة تماما عن ثنائية اللغة. وبالنظر إلى مستويات ثنائية اللغة فقد ذكر فيشمن ثلاثة مستويات لثنائية اللغة، هي [١]:

(١) القدرة على إتقان لغتين مختلفتين أو التمكن منهما بنفس الدرجة من القدرة. فنقول مثلا إن فردا ما ثنائي اللغة العربية والإنجليزية إذا استطاع إتقان العربية والإنجليزية بنفس الدرجة. وهذا المستوى يصعب الوصول إليه، وإن كنا نستثني الأفراد الذين اكتسبوا اللغتين في مرحلة الصغر وفي آن واحد، كما هو الحال مثلا في بعض الأفراد المتحدثين للعربية والذين نشأوا في بيئة تتحدث لغة أجنبية وكان تعرضهم للغتين بنفس المقدار.

(٢) القدرة على الدخول في مناقشات ومحادثات طويلة نسبيا، وتدور هذه المناقشات أو المحادثات حول شؤون الحياة اليومية. هذا المستوى يبدو الأقرب للواقعية، فهو لا يتطلب أن يتحدث الفرد اللغة الأجنبية بنفس نبر أصحابها الأصليين، كما أنه يميز بين الأفراد القادرين على عمل تراكيب لغوية صحيحة وبين الأفراد الذين لا يملكون هذه المقدرة.

(٣) القدرة على الدخول في محادثة أو مناقشة في أي لغة. هذا المستوى يهبط بثنائية اللغة إلى مستوى اللغة المبسطة، فهو لم يحدد شكل هذه المناقشة وما قد تتطلبه من تراكيب ومفردات، بل إنها تساوي بين من يعرفون بعض المفردات المتفرقة وبين من يستطيعون تحدث اللغة بطلاقة.

ويبدو لنا من هذه المستويات الثلاثة أن المستوى الثاني هو الأقرب للواقعية،

---

[١] فيشمن ١٩٦٧م.

فنطق بعض الكلمات لا يعني بالضرورة معرفة الفرد للغة الأجنبية، كما أن تحدث اللغة الأجنبية بنفس الدرجة من التمكن كما نتحدث اللغة الأم مطلب بعيد التحقق، وخاصة أن أي فرد مهما أتقن اللغة الأجنبية فإن لغته الأولى تؤثر في لغته الأجنبية، وخاصة في مسألة النطق أو النبر.

٣ – ازدواجية اللغة (نظرية فيشمن):

يعتبر بحث فيشمن أول عمل منظم لدراسة ظاهرة ازدواجية اللغة يلي عمل فرجسون [١]، فقد توسع فيشمن في بحثه في مفهوم ازدواجية اللغة بحيث أصبحت هذه الظاهرة تشمل أمورا لم تكن موجودة في عمل فرجسون التقليدي. هذا التوسع لم يكن وليد لحظة ولكنه بدأ عندما تمت مناقشة بحث فرجسون في اللقاء السنوي الثالث عشر للدائرة المستديرة للغات وعلم اللغة في جامعة جورج واشنطن في اللغات وعلم اللغة في عام ١٩٦٢م. في ذلك اللقاء الذي شارك فيه فيشمن تم بحث بعض الحالات التي قدمها فرجسون كحالة اللغة اليونانية وهجينة هايتي، وحاول علماء اللغة توضيح الغموض الذي رافق دراسة فرجسون ولم يملك فرجسون غير الرد بأنه "عندما يأتي ذلك اليوم الذي يقوم فيه عالم لغة بوضع مصطلحات عامة لأوضاع علم اللغة الاجتماعي، وتكون هذه المصطلحات متفقا عليها من قبل علماء اللغة كافة، فإن التركيب اللغوي لن يصبح ذا أهمية، وأن هذه الأنواع من ازدواجية اللغة كما هي مميزة عن الأنواع الأخرى، سوف تتناسب مع أوضاع ازدواجية اللغة" [٢]. ويبدو أن فرجسون قد ألقى باللوم على عدم وجود مصطلحات متعارف عليها بدلا من القول بأنه لم يوضح في دراسته ما كان يقصده بالفعل.

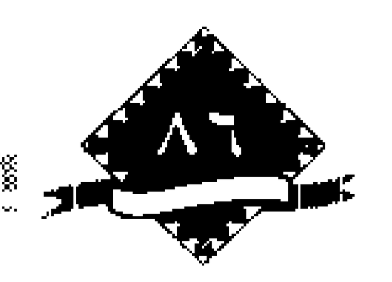
---

[١] فيشمن ١٩٦٧م.

[٢] فرجسون ١٩٦٢م ص ١٧٤.

دراسة فيشمن:

وضح فيشمن أن الهدف من دراسته هو ربط ظاهرتين لغويتين : الأولى هي ظاهرة ازدواجية اللغة والتي كما أسلفت ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم اللغة الاجتماعي، و ترتبط بالمجتمع حال بحثها. أما الظاهرة الأخرى فهي ثنائية اللغة والتي تعد جزءاً من علم اللغة النفسي، وعادة ما ينظر إلى الفرد بدلا من المجتمع عندما نقوم بدراسة هذه الظاهرة. وثنائية اللغة ظاهرة لغوية محددة المعالم ومعروفة الخصائص. ولكن ماذا عن ازدواجية اللغة والتي لم تبدأ دراستها بشكل منسق إلا في عام ١٩٥٩م ؟ يرى فيشمن – وهذا أول نتائج الفهم الخاطئ لهذه الظاهرة – أن فرجسون ناقش ازدواجية اللغة على أنها مرتبطة بالمجتمع الذي يستخدم لغتين أو أكثر بهدف الاتصال الداخلي. وكما رأينا سابقا فإن فرجسون قد تحدث عن أشكال لغوية لنفس اللغة، لكنه لم يذكر على الإطلاق لفظ لغتين أو أكثر. ويضيف فيشمن أن استخدام هذه اللغات المختلفة في المجتمع الواحد والعمل على المحافظة على هذه اللغات بدلا من إحلال لغة أو أكثر مكان الأخرى، إنما يكون معتمدا على كون كل لغة تخدم وظائف محددة مختلفة عن الوظائف التي تعتبر مناسبة للغة الأخرى. فلكل لغة من هذه اللغات استخدام معين، وهذا ما يقود إلى المحافظة على اللغات بدلا من التخلي عن واحدة أو أكثر من هذه اللغات. كما أن كل لغة من هذه اللغات مرتبطة بمجموعة من القيم أو الاتجاهات التي تختلف عن قيم واتجاهات اللغات الأخرى ، وهذه المجموعات من القيم والاتجاهات لا تكون متضاربة فيما بينها، ولكنها على العكس من ذلك تكون متممة بعضها لبعض ، والانفصال بين هذه اللغات يكون انفصالا وظيفيا. فاللغة العليا تكون مرتبطة



بالوظائف الدينية والتعليمية ومظاهر الحضارة العليا المختلفة ، أما اللغة الدنيا فإنها تخدم وظيفة التحدث اليومي في المنزل أو مكان العمل.

ويضيف فيشمن أن دراسات قمبرز (Gumperz) المختلفة هي المسؤولة عن الإدراك الحالي لوضع ازدواجية اللغة [1]. هذه المقولة دائما ما يذكرها علماء اللغة في أبحاثهم المتعلقة بازدواجية اللغة. ونصها هو "أن أعمال قمبزر .... هي السبب الرئيسي لإدراكنا الحالي بأن ازدواجية اللغة لا توجد فقط في المجتمعات ذات اللغات المتعددة والتي تكون مدركة لوجود لغات عدة ولكن أيضا في المجتمعات متعددة اللهجات، وهذا التعدد يكون في شكل لهجات مختلفة أو أساليب متعددة ، كما يكون أيضا في أي شكل من أشكال اللغة التي تميز بين وظائف مختلفة لكل شكل" [2]. من هنا يتبين أن ما يراه فيشمن، وإن كان ينسبه إلى قمبرز، هو أن ازدواجية اللغة ليست مقتصرة فقط على وجود لهجتين في المجتمع، إحداهما فصيحة والأخرى عامية ، ولكنه يرى أن ازدواجية اللغة تشمل اللهجات والأساليب المختلفة للهجة الواحدة وحتى اللغات المختلفة. فطرفا ازدواجية اللغة في مفهوم فيشمن لا يهم إن كانتا لهجتين أو أسلوبين أو لغتين أو خلافهما، ولكن المهم هو أن يخدم أحد هذه الأشكال الوظائف العليا بينما يخدم الشكل الآخر الوظائف الدنيا.

ولم يقحم فيشمن اللهجات المختلفة فقط في إطار ازدواجية اللغة ، ولكنه حاول أيضا إدخال اللغات المختلفة في المجتمع الواحد كجزءٍ من ازدواجية اللغة. ولكن وجود اللغات المختلفة يقود إلى الحديث عن ثنائية اللغة وليس عن ازدواجية اللغة. ومن هذا المنطلق حاول فيشمن التفريق بين المفهومين في العديد من أعماله التي تلت ذلك العمل بما فيها بحثه المنشور عام ١٩٦٧م. ولنقف على مفهومه لهاتين الظاهرتين من خلال استعراض بعض كتابته حول هذا الموضوع.

---

[1] قمبرز ١٩٦١م، ١٩٦٢م، أ١٩٦٤م، ب ١٩٦٤م، ١٩٦٦م.

[2] فيشمن ١٩٦٧م ص ٣٠.

(١) "وثنائية اللغة صفة مميزة للتصرف اللغوي على المستوى الفردي، أما ازدواجية اللغة فإنها خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع"[١].

(٢) "وازدواجية اللغة أحد مميزات الاستخدام اللغوي المتعدد من قبل الفرد بينما ثنائية اللغة هي تخصيص وظائف مختلفة للغات أو الأشكال المختلفة"[٢].

(٣) "وكما أن ازدواجية اللغة وضع ثابت وضد اجتماعي لثنائية اللغة لدى الفرد، فإن ازدواجية القومية هي أيضا ثابتة وضد اجتماعي لثنائية الثقافة لدى الفرد"[٣].

(٤) "وتختلف ازدواجية اللغة عن ثنائية اللغة في أنها تشمل تنظيما اجتماعيا ثابتا، هذا التنظيم يمتد على الأقل لما وراء ثلاثة أجيال، فلكل من اللغتين تركيبها اللغوي المختلف عن الأخرى كما أن لهما وظائفهما المختلفة والمتفق عليها من قبل أفراد المجتمع"[٤].

وتبدو نظرة فيشمن لازدواجية اللغة على أنها تشمل أي شكل لغوي سواء لهجة كانت أو لغة مختلفة ما دام المجتمع يميز بين وظائف كل شكل ، فثنائية اللغة لا تكون ثنائية لغة إذا كنا ننظر لها من خلال المجتمع، أما إذا ناقشنا هذه الظاهرة

[١] فيشمن ١٩٦٧م ص ٣٤.

[٢] فيشمن ١٩٧٠م ص ٨٣، ١٩٧١م ص ٢٩٥، ١٩٧٢م ص ١٤٥، ١٩٧٢م ص ١٠٢.

[٣] فيشمن ١٩٨٠م ص ٣.

[٤] فيشمن ١٩٨٠م، ص ٣، ١٩٨٥م ص ٣٩.

من منظور فردي، فإننا في هذا الوقت نتحدث عن ثنائية اللغة. وحتى يسهل علينا عملية الربط بين ما نراه ثنائية لغة وبين ماينظر له على أنه ازدواجية لغة، فقد قسم فيشمن ازدواجية اللغة إلى أربعة أقسام كما هو واضح في الشكل رقم (٢-١) ، وكل قسم من هذه الأقسام يمثل مجموعة من المجتمع.

العلاقة بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة

		ازدواجية اللغة +	ازدواجية اللغة −
ثنائية اللغة	+	أ – ازدواجية اللغة مع ثنائية اللغة	ب – ثنائية اللغة بدون ازدواجية اللغة
	−	ج – ازدواجية اللغة بدون ثنائية اللغة	د – انعدام ازدواجية اللغة و ثنائية اللغة

المصدر: فيشمن ١٩٦٧م، شكل (٢-١)، ص ٣٠ .

أ – ازدواجية اللغة مع ثنائية اللغة :

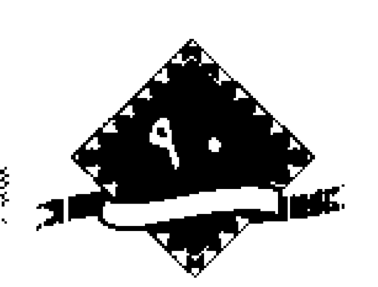
في المربع الأول تقع جميع المجتمعات التي توجد فيها ظاهرتا ازدواجية اللغة وثنائية اللغة جنبا إلى جنب ، هذه المجتمعات تشكل دولا مستقلة ولكن ثنائية اللغة أمر شائع بين أفراد المجتمع. وأحد المطالب الرئيسية في هذه المجتمعات هو إلمام معظم، إن لم يكن جميع، أفراد المجتمع بلغتين مختلفتين. ومن الأمثلة على هذه

المجتمعات، هو الوضع اللغوي في براغوي، فجميع أفراد المجتمع يتحدثون لغتين مختلفتين هما اللغة الإسبانية ولغة قوارني، كما ذكر ذلك روبن [١]. ويبدو توزيع هاتين اللغتين في براغوي أمرا غريبا إلى حد ما ، فاللغة الإسبانية هي اللغة السائدة في المدن الكبيرة و المجتمعات الحضرية. أما لغة قوراني فإنها اللغة الأكثر شيوعا في الأرياف والمجتمعات القروية. فتعلم أفراد المجتمعات القروية للغة الإسبانية يعدّ أمرا حتميا حتى يتمكنوا من التحدث مع أفراد المجتمعات الحضرية وقراءة ما يتم نشره في صحف ومجلات تلك المجتمعات. بالإضافة إلى هذا، فإن اللغة الإسبانية ضرورية للأمور الدينية و المعاملات الحكومية وجميع الأغراض التي تتطلب لغة عليا. أما أفراد المجتمعات الحضرية ، من الوافدين من الأرياف ، فإنهم يحافظون على لغة قوراني لأغراض المحادثة مع الأصدقاء، فهي بالنسبة لهم رمز لوحدة المجموعة (Group Solidarity).

من هذا المنطلق نرى أن اللغة الإسبانية هي اللغة العليا في المجتمع، بينما تحتل لغة قوراني موضع اللغة الدنيا والتي تستخدم للأغراض غير الرسمية في ذلك المجتمع. وحتى نستطيع ملاحظة توسع فيشمن في مفهوم ازدواجية اللغة، دعنا ننظر إلى أصل اللغتين اللتين ذكرهما كمثال لهذه المجتمعات. فاللغة الإسبانية هي إحدى اللغات الهندية الأوروبية، بينما لغة قوراني هي إحدى لغات الهنود الأمريكيين الأصلية. ومن الطبيعي أن يكون اختلاف كبير من الناحية اللغوية بين هاتين اللغتين، مما يوضح مدى بُعد اللغتين عن بعضهما، مع إمكانية تسمية هذا الوضع اللغوي بازدواجية اللغة.

مثال آخر على مجتمعات ازدواجية اللغة مع ثنائية اللغة هو وضع الأقاليم أو الولايات السويسرية. فالأفراد في هذه الولايات، ممن هم في سن السادسة أو أكبر، يبدلون اللغة الألمانية (اللغة العليا) باللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا

[١] روبن ١٩٦٢م، ١٩٦٦م.

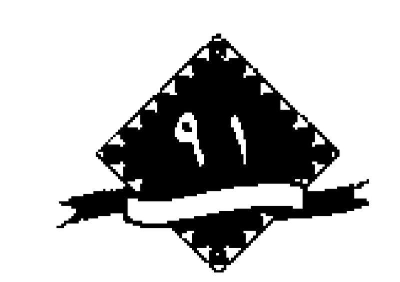


(الشكل الأدنى)، وهذا يوضح أن ثنائية اللغة (الإلمام بلغتين مختلفتين) من الممكن حدوثها في مجتمع ازدواجية اللغة (لكل لغة وظيفة محددة في المجتمع). تشترك هذه المجتمعات بخاصية واحدة وهي أن أفراد المجتمع القادرين على معرفة اللغتين (ثنائية اللغة) يحظون بمرتبة أعلى من الأفراد الذين لا يتحدثون إلا لغة واحدة. وهنا لا يوجد أي اعتبار لكون اللغة الوحيدة المتحدثة هي اللغة العليا أو اللغة الدنيا. ففي مجتمع براغوي، على سبيل المثال، هناك موقف مشترك من قبل جميع أفراد المجتمع تجاه الأفراد القادرين على تحدث اللغة الإسبانية أو لغة قوراني دون التمكن من معرفة اللغة الأخرى ، إذ ينظرون للأفراد الذين لا يتحدثون لغة قوراني على أنهم ليسوا من أفراد مجتمع براغوي الأصليين أو الحقيقين [١]. وبهذا الموقف فإنهم لا يعتبرون المهاجرين إلى براغوي أو حتى جماعات الهنود الأصليين أو الأفراد الذين يتحدثون اللغة الإسبانية فقط أفرادا من ذلك المجتمع. أما الأفراد الذين يتحدثون لغة قوراني فقط، فإنهم عادة ما ينظر لهم الأفراد ذوو اللغتين على أساس أنهم أقل منهم في درجة الذكاء [٢]. وتتضمن معرفة اللغتين في ذلك المجتمع لصاحبها مقاما و احتراما كبيرين بين أفراد المجتمع. فلغة قوراني هي متطلب أساسي لكون الفرد مواطنا من براغوي، كما أن معرفة اللغة الأسبانية تمكن الفرد من استخدامها في مواضع اللغة العليا. أما الأفراد الذين يتحدثون اللغة الإسبانية فقط فإنه ليس لهم أي مكانة اجتماعية على الإطلاق.

---

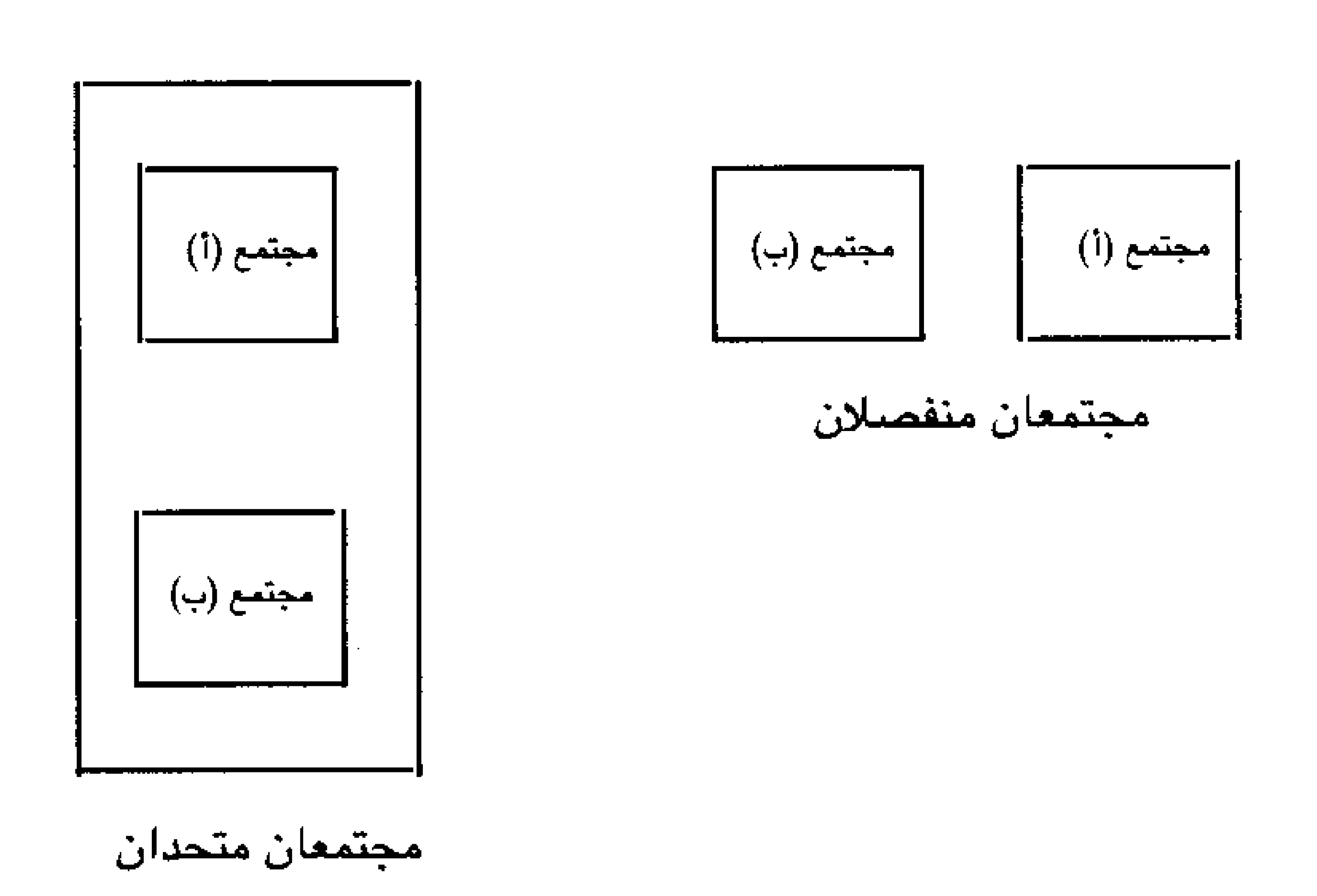
[١] رونا ١٩٦٦م ص ٢٨٢.

[٢] روبن ١٩٧٨م ص ٤٧٩.



ب - ازدواجية اللغة بدون ثنائية اللغة :

في بعض المجتمعات من الممكن وجود ازدواجية اللغة على الرغم من انعدام ثنائية اللغة. وهذه المجتمعات تتكون من مجتمعين أو أكثر يتم اتحادها دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا، وتصبح وحدة واحدة على الرغم من وجود العوامل الثقافية والاجتماعية التي تفصل هاذين المجتمعين. الشكل (٢-٢) مثال على هذه المجتمعات.



و يتم اتحاد هذه المجتمعات بشكل اختياري، ولكنه يأخذ شكل الضم بالقوة ، ومع اتحاد هذين المجتمعين ، يكون هناك لغتان أو أكثر أو حتى شكلان لغويان لنفس اللغة.

ولكن الخاصية التي تميّز هذا الشكل من المجتمعات عن مجتمعات أخرى مشابهة هو وجود مجتمعين منفصلين في وحدة واحدة. فكل مجتمع من هذين المجتمعين ينظر للمجتمع الآخر على أساس أنه مجتمع خارجي، كما أن هناك حدودا اجتماعية تفصل بين هذين المجتمعين . كما يحظى أفراد أحد هذين المجتمعين بقيمة اجتماعية أكبر من أفراد المجتمع الآخر. وعلى الرغم من أن هؤلاء الأفراد ذوي القيمة الاجتماعية الأعلى يمثلون أقلية إذا ما قورن عددهم بأعداد أفراد المجتمع الآخر ، فإنهم يتمتعون بالسلطة في تلك الوحدة. أما المجتمع الآخر فإنه كثير العدد لكنه عادة ما يكون محكوما من قبل المجتمع الآخر. وقد أعطى كلوس مثالا على هذه المجتمعات ، فقبل الحرب العالمية الأولى كان هناك عرف سائد في أوربا بأن تتحدث الطبقة العليا باللغة الفرنسية أو أي لغة تشابهها من حيث المكانة والتقدير، أما الأفراد العاديون فإنهم يتحدثون اللغة السائدة في مجتمعهم كاللغة الصالية أو اللغة البروفانسية [١]. ومثال آخر أكثر وضوحا هو ما كان يحدث في روسيا القيصرية ، حيث كان الصفوة يتحدثون اللغة الفرنسية بينما يتحدث السواد الأعظم من الشعب والذين كانوا من العامة اللغة الروسية.

ويتم في تلك المجتمعات الاتصال بين الطبقات العليا باستخدام اللغة العليا (كاللغة الفرنسية مثلا) بينما يتخاطب عامة المجتمع بلغتهم الأصلية. ومن هنا يتضح أن هذه الوحدة الاجتماعية تتكون من مجتمعين، لكل منهما لغته وعاداته المختلفة. أما الاتصال بين هاتين الطبقتين فإنه يستوجب الاستعانة بمترجم ؛ وسبب هذا الوضع عدم الرغبة في الاتصال بينهما . وهكذا، فإن وجود ثنائية اللغة في مجتمع ما لا يحتم انتشار ازدواجية اللغة بين الأفراد في الطبقات الدنيا اجتماعيا. فمثلا نجد أن ازدواجية اللغة منتشرة في المدن الكبيرة والمجتمعات الحضارية أكثر من انتشارها في القرى أو المجتمعات الريفية ، كذلك نجد أن

---

[١] كلوس ١٩٦٦م.

ازدواجية اللغة متفشية أكثر في الطبقات العليا كطبقة البراهمن الهندية (في حالة المجتمع الهندي) ، أو الطبقات العليا والعليا الوسطى كما في كندا، وبالأخص المجتمع المتحدث للغة الفرنسية في كندا.

وهذه المجتمعات التي توجد بها ثنائية اللغة بينما تنعدم بها ازدواجية اللغة ، عادة تكون دولا ذات مستوى اقتصادي مترد كما أنها تضم العديد من الجماعات من القوميات والطبقات المختلفة ، مما يؤدي إلى حصر مجالات الاتصال في حدود ضيقة. ونتيجة للتطور الصناعي وانتشار التعليم، تنشأ في هذ المجتمعات بعض المشاكل المتعلقة باللغة، حيث يطالب الأفراد من الطبقات الدنيا بالمساواة لغويا مع الأفراد من ذوى الطبقات العليا. هذه المساواة تدعو المجتمع إلى أخذ لغة تلك الطبقة الدنيا في الاعتبار في مجالات التعليم ، وتحديد لغة رسمية أو قومية للمجتمع. ومن أمثلة هذه المجتمعات التي مرت - والبعض منها ما زال حتى الآن يمر - بمشاكل من ناحية المساواة اللغوية، ما لوحظ في الهند وأوربا الشرقية وويلز وكندا.

ج - ثنائية اللغة بدون ازدواجية اللغة :

يلم عدد كبير من أفراد هذه المجتمعات باللغتين اللتين يتطلبهما المجتمع، كما أن ليس هناك تميّز بين اللغتين من حيث اعتبار إحداهما عليا والأخرى دنيا. ومن هنا فليس هناك قيود على استخدام إحدى اللغتين في المواضع الرسمية، بل على العكس من ذلك، فقد تستخدم أي لغة للأحاديث الرسمية أو ما شابه هذه المواضع من المناسبات التي تتطلب اللغة العليا. وتكون هذه المجتمعات غالبا مجتمعات غير مستقرة لغويا، لأنها تمر بمرحلة انتقالية وذلك بإحلال إحدى اللغتين مكان الأخرى. هذا الوضع عادة ما يسمى بالتسرب في ازدواجية اللغة (Leaky Diglossia)،

والذي يتبعه استقرار لغوي وذلك عن طريق استخدام لغة واحدة لجميع شؤون الاتصال، والاستغناء نهائيا عن اللغة الأخرى. وبمعنى آخر، فإن هذه المجتمعات في طريقها إلى التخلص من ازدواجية اللغة. والمحصلة النهائية لهذه المرحلة الانتقالية تكون :

إما شكلا لغويا جديدا يكون مزيجا من الشكلين الأعلى والأدنى إذا كان الشكلان متقاربين من ناحية التركيب اللغوي.

وإما إحلال إحدى اللغتين مكان الأخرى إذا كانت اللغتان مختلفتين تماما من ناحية التركيب اللغوي، وهذا على ما يبدو ما كان يقصده فيشمن من وراء وصف هذه المجتمعات بأنها تمر بمرحلة انتقالية من الناحية اللغوية.

وقد أعطى فيردوت (Verdoodt) مثالا على هذه المجتمعات مأخوذا من بلجيكا [١]، حيث توجد في بلجيكا، منطقة يتحدث أفرادها اللغة الألمانية (الشكل اللغوي الأدنى)، بينما تُتحدث الفرنسية (الشكل اللغوي الأعلى) في باقي الأرجاء. في هذا المجتمع، يبدو أن هناك انتقالا لغويا وذلك بالاستغناء عن اللغة الألمانية وإحلال اللغة الفرنسية محلها. وكنتيجة طبيعية تتبع هذه المرحلة الانتقالية، فاستخدام اللغة الألمانية أو الفرنسية في المواضع الرسمية أو غير الرسمية يبدو أمرا مقبولا اجتماعيا. فأي لغة من هاتين اللغتين تستخدم تقريبا للقيام بجميع الوظائف.

د – انعدام كل من ازدواجية اللغة وثنائية اللغة :

يعتقد فيشمن أن المجتمعات التي قد تستخدم كأمثلة على انعدام ازدواجية اللغة وثنائية اللغة فيها لا بد أن تكون مجتمعات صغيرة ومعزولة عن باقي المجتمعات، كما لا يوجد هناك أي تميّز للدور الذي تلعبه اللغة أو الشكل اللغوي. فلغة ذلك

---

[١] فيردوت ١٩٧٢م ص٣٨٢–٣٨٥.

المجتمع لا يوجد لها أشكال لغوية مختلفة كاللهجات، كما تقوم تلك اللغة بجميع وظائف المجتمع الرسمية وغير الرسمية. وفي الواقع فإن الحصول على مثال لهذه المجتمعات يبدو مستحيلا، وهذا ما كان يقصده فيشمن عندما وصف تلك المجتمعات بأنها ذاتية الإنهاء (Self-liquidating). فهذا الوضع اللغوي المتمثل في أحادية اللغة عادة ما ينهى أو يصفى عن طريق أفراده ، عند اتصالهم مع أفراد المجتمعات الأخرى الذين يتحدثون لغة مجتمع أحادية اللغة.

خاتمة:

عرف فرجسون ازدواجية اللغة وعدد خصائصها وقصرها على الأوضاع التي تكون فيها أطراف الازدواجية لهجات لغة واحدة، علما بأنه لم يذكر لفظ لهجة، ولكن حالاته الدراسية وأمثلته تدل وبشكل صريح على أن المقصود بالأشكال اللغوية لهجات اللغة الواحدة. كما استبعد فرجسون من مفهوم ازدواجية اللغة الحالات التي يكون أطراف الازدواجية فيها لهجات المركز الحضري أو اللهجات المعيارية أو اللغات المختلفة أو أساليب اللهجة الواحدة المتباينة. وليس لهذا الاستبعاد ما يبرره ، فمن الممكن تطبيق جميع الخصائص التي ذكرها فرجسون على هذه الحالات المستبعدة. فعلى سبيل المثال، تعتبر اللغة الإنجليزية ذات منزلة عظيمة لدى المواطنين الهنود. فلو اعتبرنا اللغة الإنجليزية الشكل اللغوي الأعلى، واعتبرنا أيضا إحدى اللهجات الهندية شكلا لغويا أدنى، يمكن تطبيق جميع خصائص فرجسون على هذا الوضع. فاللغة الإنجليزية تحظى بأدب مكتوب، كما أنها تحظى بمنزلة عظيمة. ويتم اكتساب اللغة الإنجليزية بعد اكتساب اللهجة الهندية الأم وذلك بطرق التعليم الرسمية. ولا يوجد فرق بين هذا الوضع اللغوي وبين وضع اللغة العربية ، باستثناء أن طرفي الازدواجية اللغوية في اللغة العربية لهجتان للغة واحدة. ويتضح لنا هنا أن خصائص فرجسون عامة، حيث يمكن تطبيقها على حالات لا يكون طرفا

الازدواجية فيها لهجات لغة واحدة.

وحاول فيشمن تقديم منظور أوسع لازدواجية اللغة من ذلك الذي أتى به فرجسون، إلا أن حرص فيشمن على إقحام ثنائية اللغة حال دون جعل ذلك التوسع مقبولا. ونخلص من قراءتنا للمقتطفات التي وردت في هذا الفصل والتي عبرت عن وجهة نظر فيشمن في الفرق بين ازدواجية اللغة وثنائيتها ، إلى أن ثنائية اللغة صفة تطلق على الفرد، بينما تميز ازدواجية اللغة بين المجتمعات. ويبدو أن ما أراد فيشمن قوله هو أن ثنائية اللغة وصف للسلوك اللغوي للفرد، بينما تعكس ازدواجية اللغة سلوك المجتمع اللغوي. ولو انتهى الأمر عند هذا الحد لكان مثل هذا التمييز بين المصطلحين أمرا مقبولا، ولكن فيشمن أشار إلى وجود مجتمعات قد توجد أو تنعدم فيها ازدواجية اللغة أو ثنائيتها. واستخدام فيشمن لمجتمع البراغوي كممثل لمجتمعات ازدواجية اللغة وثنائيتها ليس بالاختيار المناسب ، فهناك في ذلك المجتمع بعض الأفراد الذين يتحدثون لغة واحدة فقط، إما اللغة الإسبانية وإما لغة قوارني، مما يعني أن تلك اللغة المعروفة ستستخدم في جميع الوظائف. كما أن المثال الذي ذكره على مجتمعات ثنائية اللغة بدون ازدواجيتها لا يختلف كثيرا عن مثال براغوي، فالصفوة في مجتمعات ثنائية اللغة بدون ازدواجيتها تتحدث بلغة غير اللغة التي يستخدمها عامة الناس، وهذا يشبه وضع براغوي. فالصفوة في براغوي هم الأفراد الذين يتحدثون الإسبانية كلغة أم، أما عامة الشعب فإنهم يتحدثون لغة قوارني.

ومناقشة مزيد من الأمثلة التي أوردها فيشمن تؤكد لنا أن فيشمن قد أقحم ثنائية اللغة بحديثه عن ازدواجيتها ، ولهذا أثره السلبي في عدم وضوح أي من المفهومين. كما أن قصر فيشمن لثنائية اللغة على السلوك اللغوي للفرد ليس صحيحا دائما ، فيمكن وصف مجتمعات على أنها مجتمعات ثنائية اللغة، كما يمكن الحديث عن السياسات اللغوية لبعض الدول على أنها سياسات تؤيد ثنائية اللغة في



مـجتمـعـاتها ، عن طريق تبنى لغتين كلغات رسمية للدولة من خلال تصميم وتنفيذ البرامج الدراسية التي تعتمد على لغتين مختلفتين. ومما سبق، يلاحظ أن قصر ثنائية اللغة أو ازدواجيتها على السلوك اللغوي للفرد أو المجتمع أمر قابل للنقاش.

وأود أن أطرح هنا المسألتين التاليتين للنقاش.

أولا: يمكن إطلاق عبارة ثنائية اللغة على المجتمع والفرد في آن واحد، كما يمكن وصف السلوك اللغوي للفرد والمجتمع على أنه ازدواجي اللغة، وأقترح أن تستخدم وظيفتا الخاصية والإلمام للتفريق بين هذين المصطلحين. فإلمام بعض أفراد المجتمع بلغة أخرى غير لغتهم الأم هي ضرب من ضروب ثنائية اللغة ، ولكن من الخطأ وصف المجتمع ككل على أنه ثنائي اللغة. فثنائية اللغة هنا إنما تطلق على هؤلاء الأفراد، دون تعميم ذلك الوصف ليشمل المجتمع. أما إذا ألم جميع أفراد المجتمع باللغة الثانية، فيطلق وصف ثنائية اللغة على المجتمع ككل. فثنائية اللغة تقتصر فقط على وصف الإلمام بلغة ثانية غير اللغة الأم ، ويمكن تعميم مثل هذا الوصف ليشمل الإلمام بلهجتين للغة واحدة أو أسلوبين للهجة واحدة.

وازدواجية اللغة وصف للسلوك اللغوي الناشئ عن التوزيع الوظيفي للأشكال اللغوية سواء كانت لغات أو لهجات أو أساليب في المجتمع ، ولا ينطبق وصف ازدواجية اللغة إلا على أفراد ذلك المجتمع المستخدمين لمثل ذلك التوزيع الوظيفي. فيقوم الشكل اللغوي الأعلى بعض النظر عن ماهية ذلك الشكل اللغوي بوظائف الاتصال الرسمية، بينما يستخدم الشكل اللغوي الأدنى للوظائف غير الرسمية أو تلك التي يكون مبعثها شعور المتحدثين بالألفة أو بعدم التمييز الطبقي.

ويقدم التمييز السابق بين ثنائية اللغة وازدواجيتها إيضاحا لجميع الحالات الدراسية التي ذكرها فرجسون وفيشمن. فمثلا لا يستخدم مصطلح ازدواجي اللغة إلا لوصف سلوك الأفراد المستخدمين للتوزيع الوظيفي سابق الذكر. فمن الخطأ وصف سلوك مجتمع براغوي على أنه ازدواجي اللغة ، ولكن هذا الوصف يقتصر

فقط على الأفراد الملمين باللغتين الإسبانية والقوارنية والمستخدمين اللغة الإسبانية للوظائف الرسمية ولغة قوارني للوظائف غير الرسمية. وأحد الأمثلة التي وردت لبيان مجتمعات ازدواجية اللغة دون ثنائيتها ، مثال الطبقة العليا في أوربا قبل الحرب العالمية الأولى. فاستخدام اللغة الفرنسية من قبل الطبقات العليا يقابله استخدام العامة للغاتهم الأصلية. وبالنظر إلى التمييز المقترح بين ازدواجية اللغة وثنائيتها ، نجد أن هذه المجتمعات تمثل في الواقع مجتمعات ازدواجية اللغة وثنائيتها مجتمعتين . فتصف ازدواجية اللغة التوزيع الوظيفي والذي تحظى فيه اللغة الفرنسية بمنزلة أعلى، بينما تصف ثنائية اللغة إلمام أفراد الطبقات العليا باللغة الفرنسية. فالإلمام مقترن بثنائية اللغة بينما يرتبط السلوك اللغوي الناشىء من التوزيع الوظيفي بازدواجية اللغة.

ثانيا: يقودنا قبول التمييز السابق بين المصطلحين إلى القول بأن ازدواجية اللغة جزء من مصطلح أكبر وهو ثنائية اللغة. فالتوزيع الوظيفي للأشكال اللغوية غير ممكن الحدوث إذا لم يلم المتحدثون بأكثر من شكل لغوي. وبمعنى آخر، فإن الإلمام بأكثر من شكل لغوي شرط أساسي لاستخدام هذه الأشكال بما يتفق مع التوزيع الوظيفي لتلك الأشكال. وينطبق هذا على اللهجات والأساليب . فالإلمام بلهجتين يسبق استخدامهما طبقا لما يمليه التوزيع الوظيفي. وينطبق مثل هذا القول على الأساليب المختلفة التي تتبع لهجة واحدة. ويعيدنا قبول القول بأن ازدواجية اللغة جزء من ثنائيتها إلى المسألة الأولى ، فوصف جميع المجتمعات العربية بأنها مجتمعات ازدواجية لغة غير صحيح، وذلك لاقتصار الإلمام بالفصحى على الطبقة المتعلمة فقط، وهذا ما قاله فرجسون حين ذكر أن الشكل الفصيح للغة يتعلم لاحقا بالطرق الرسمية للتعليم. ويمكن إطلاق صفة الازدواجية اللغوية على أولئك الأفراد الذين يلمون بالفصحى والعامية، ولكن مثل الوصف لا ينطبق على الأميين الملمين فقط بالشكل العامي من اللغة.

الفصل الثالث

نظرية فاسولد

١- مقدمة .

٢ - نظرية فاسولد .

أولا - الشكل اللغوي المعياري واللهجات .

ثانيا - العلاقة الثنائية :

١ - ازدواجية اللغة في تنزانيا .

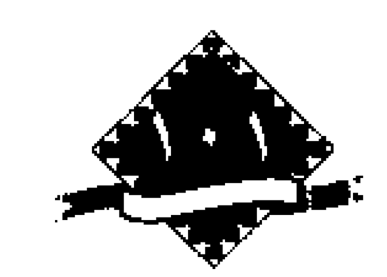
٢ - ازدواجية اللغة في خالبور .

٣ - ازدواجية اللغة في ماليزيا .

ثالثا - الترابط .

رابعا- الوظيفة .

٣ - تعريف فاسولد لازدواجية اللغة.



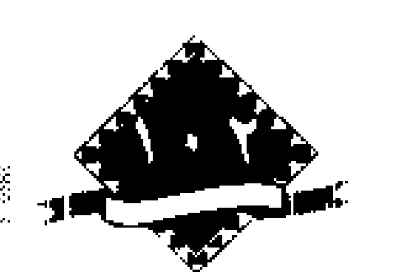
١ – مقدمة :

عندما كتب فيشمن دراسته المتعلقة بازدواجية اللغة كان يخشى من عدم تمييز اللغويين بين المصطلحين : ازدواجية اللغة ، وثنائية اللغة. ومن أجل هذا كتب العديد من البحوث التي ناقشت الفرق بين المصطلحين ، وأحد الامثلة التي تبين أن فيشمن كان يطمح من وراء هذا العمل التوسع بمفهوم ازدواجية اللغة مع تمييزها عن ثنائية اللغة ، هو ما كتبه في بحثه المنشور في عام ١٩٦٧م والذي استعرضناه سابقا، وعلى وجه الخصوص ما كتبه عن المجتمعات التي توجد فيها ثنائية اللغة بينما تنعدم فيها ازدواجية اللغة، حيث قال : " وثنائية اللغة صفة مميزة للتصرف اللغوي على المستوى الفردي، أما ازدواجية اللغة فإنها خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع".[١] ومع أخذ الفهم الكامل لهذا التمييّز بين هاتين الظاهرتين اللغويتين في الاعتبار ، نستطيع القول بأن هناك فرقين أساسيين بين دراسات فرجسون وفيشمن كما ذكر ذلك فاسولد.[٢] هذان الفرقان هما :

أولا – لا تقتصر نظرية فيشمن لازدواجية اللغة على الأوضاع اللغوية التي يكون أطرافها شكلين لغويين فقط، بل إنها تتعدى إلى إمكانية وجود أي عدد من الأشكال اللغوية ، هذا التعدد يكون بوجود أشكال لغوية عليا أو عدة أشكال لغوية دنيا. وبمقارنة هذه النظرية مع نظرية فرجسون، نجد أن فرجسون قد تحدث فقط عن المجتمعات التي يوجد فيها شكلان لغويان فقط. فمثلا عندما ناقش وضع اللغة العربية، أعطى أمثلة لازدواجية اللغة من العربية الفصحى على أنها الشكل اللغوي الأعلى، كما أعطى أمثلة مستقاة من اللهجة المصرية المتحدثة في القاهرة والتي مثلت له الشكل اللغوي الأدنى. هذا الاقتصار على شكلين لغويين كأطراف لازدواجية اللغة شمل جميع الحالات

[١] فيشمن ، ١٩٦٧م ، ص٣٤ .

[٢] فاسولد ، ١٩٨٤م ، ص٤٠ .

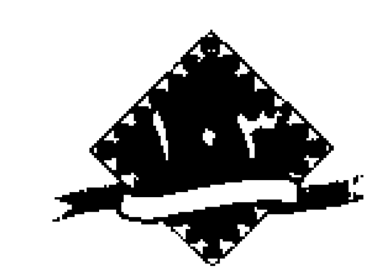


الدراسية الثلاث المتبقية ، بالإضافة إلى الأمثلة المستخدمة من اللغتين الصينية والتاميلية ، فإن أحد الأمثلة التي ذكرها فرجسون لبيان التعدد اللغوي في المجتمع الواحد وَضْع بعض الطبقات المتعلمة في المجتمعات العربية. فأفراد هذه الطبقات المتعلمة على دراية بالفصحى والعامية، كما أنهم قد يتحدثون بلغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية عندما يناقشون مسائل علمية أو تقنية .

ثانيا – اقتصر فرجسون في مناقشته على أوضاع لغوية تمثل نقطة المنتصف في المتصل اللغوي ، فقد تكونت جميع الحالات التي ذكرها من لهجة فصحى دائما هي الشكل اللغوي الأعلى ولهجة عامية متداولة تمثل الشكل اللغوي الأدنى. كلتا اللهجتين تتبعان عادة نفس اللغة ، فمثلا العربية الفصحى واللهجة المصرية المستخدمة في القاهرة تنتميان للغة واحدة هي اللغة العربية، كذلك الشكلان اللغويان كاثارافوسا وديموتك يتبعان أيضا لغة واحدة هي اللغة اليونانية. ولكن نظرية فيشمن أخذت في الاعتبار حالات أخرى تقع في طرفي المتصل اللغوي ، ففي أحد الطرفين للمتصل اللغوي نجد أن في المجتمع لغتين مختلفتين تماما، كما في مجتمع براغوي الذي ذكره فيشمن، حيث تمثل اللغة الإسبانية ولغة قوارني طرفي ازدواجية اللغة. أما في الطرف الاخر من المتصل فنجد الأساليب المختلفة للهجة الواحدة. ومما يؤيد أن فيشمن قد ضمّن جميع نقاط المتصل اللغوي كأطراف لازدواجية اللغة، سواء كانت هذه النقاط تمثل لغات مختلفة أو لهجات لغة واحدة أو حتى أساليب اللهجة الواحدة، هو استشهاده بما ذكره قمبرز والذي ذكرناه سابقا عندما استعرضنا نظرية فيشمن.

ولم تشر نظرية فيشمن إلى وضع اللغة المعيارية أو اللهجات الإقليمية والذي استبعده فرجسون ولم يعتبره شكلا من أشكال ازدواجية اللغة، وإن كان فيشمن لا يعارض – على ما يبدو – كون هذه اللغات أو اللهجات أطرافا لازدواجية اللغة.

أما وجه الاتفاق بين نظريتي فرجسون وفيشمن فهو وصف خاصية الوظيفة ، ففرجسون يرى أن الشكل اللغوي الأعلى يخدم الوظائف الرسمية، أما الشكل اللغوي



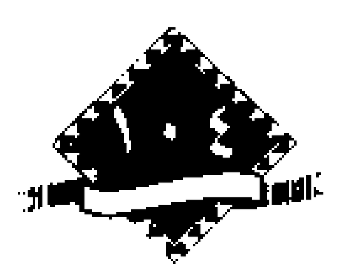
الأدنى فإنه عادة ما يخدم الوظائف الدنيا في المجتمع. وهنا يتفق فيشمن مع مقولة فرجسون.

٢ – نظرية فاسولد :

تعتبر نظرية فاسولد في ماهية ازدواجية اللغة – والتي نشرت في عام ١٩٨٤م – ثالث أهم دراسة ناقشت الازدواجية اللغوية. ويعتقد فاسولد أنه بالإمكان الوصول إلى نظرية متكاملة وواضحة المعالم لازدواجية اللغة ، إذا نوقشت أربعة أمور متعلقة بازدواجية اللغة، وتم الاتفاق بين اللغويين على صحة هذه المناقشة. هذه الأمور الأربع لخصها فاسولد بما يلي :

أولا – الشكل اللغوي المعياري واللهجات :

كما ذكر سابقا ، فإن الشكل اللغوي المعياري أو اللهجة المعيارية للمركز مع وجود لهجات أخرى لبقية أجزاء المجتمع ، لا يعتبر شكلا من أشكال ازدواجية اللغة طبقا لنظرية فرجسون. هذا الوضع اللغوي – وإن كان يشبه إلى حد كبير ازدواجية اللغة – يختلف عنها بخاصيتين أساسيتين تعتبران جزءاً رئيساً في تعريف فرجسون لازدواجية اللغة : هما خاصية الاكتساب وخاصية الوظيفة. فالأفراد في بقية أرجاء المجتمع (عدا المركز) ينظرون إلى لهجة المركز كشكل لغوي أعلى ، فعندما يتحدثون فيما بينهم يستخدمون اللهجة المحلية الخاصة بمنطقتهم، أما لهجة المركز فإنها تحتل الوظائف العليا للمجتمع، كالاتصال بين أفراد المجتمع من مختلف الأرجاء. ولكن أفراد المجتمع الذين يعيشون في المركز لا يتبعون مثل هذا التخصيص في الوظيفة ، فهم يستخدمون لهجتهم المعيارية للاتصال فيما بينهم، وهذا الاتصال عادة ما يأخذ شكل الأحاديث اليومية. فلو أخذنا اللغة الفارسية في إيران كمثل لازدواجية اللغة، فاللهجة المتحدثة في طهران تمثل الشكل اللغوي الأعلى، بينما بقية لهجات اللغة الفارسية المتحدثة في بقية أجزاء ذلك المجتمع كالمدن والقرى الأخرى – تكون هي الأشكال

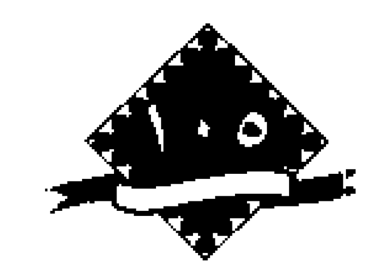


اللغوية الدنيا. ويستخدم الأفراد الذين يعيشون في المركز (كما هو الحال في طهران في مثالنا هذا) لهجتهم المعيارية للتحدث فيما بينهم. كما أن الأطفال الذين ينشأون في المركز يتحدثون اللهجة المعيارية للمركز كلغة أم، وهذا يتعارض مع خاصية الاكتساب التي ذكرها فرجسون والتي تتطلب أن يتم اكتساب الشكل اللغوي الأعلى عن طريق التعليم الرسمي. بالإضافة إلى ما سبق، فإن هذا يتعارض مع خاصية الوظيفة والتي تستدعي أن يستخدم الشكل اللغوي الأدنى في الوظائف الدنيا كالتحدث اليومي. وأخيرا فإن تحدث أفراد المركز باللهجة المعيارية للمركز يتنافى مع تعريف فرجسون لازدواجية اللغة، ففرجسون يرى أن الشكل اللغوي الأعلى ليس لغة أم لأي فرد من أفراد المجتمع، وبالتالي فلا يستخدم أي فرد من أفراد المجتمع ذلك الشكل لأغراض الحديث اليومي.

ويرى فاسولد أن وجود الشكل اللغوي المعياري مع لهجات أخرى لسائر قطاعات المجتمع لا يتنافى مع مفهوم ازدواجية اللغة لو تم استبدال لفظ مجتمع كلامي (Speech community) بلفظ آخر هو مجتمع ازدواجية اللغة (Diglossic community). والسبب وراء هذا الاستبدال هو أن لفظ المجتمع الكلامي لفظ واسع المعنى ومن الصعب تعريفه تعريفا دقيقا ، أما لفظ مجتمع ازدواجية اللغة فإنه من السهل تحديده بخصائص أو سمات لغوية بدلا من السمات السياسية كالحدود وغيرها.

وقد عرّف فاسولد مجتمع ازدواجية اللغة على أنه " الوحدة الاجتماعية التي تشترك بالشكل اللغوي الأعلى والشكل اللغوي الأدنى ".[1] وكما رأينا سابقا فإن المجتمع السويسري لا يتكون من وحدة واحدة تشترك في الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، ولكن لكل مقاطعة أو ولاية (Canton) لهجة تتميز بها عن باقي المقاطعات، وهذه اللهجة عادة ما تكون هي الشكل اللغوي الأدنى. أما الشكل اللغوي الأعلى لجميع المقاطعات فهو اللغة الألمانية المتحدثة في ألمانيا. نستطيع أيضا القول إن تعريف فاسولد لمجتمع

[1] فاسولد ، ١٩٨٤م ، ص٤٤ .

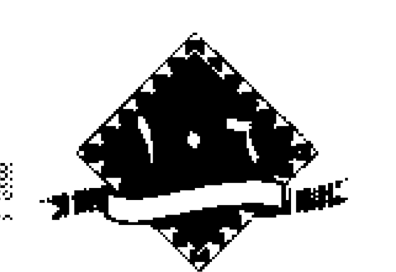


ازدواجية اللغة ينطبق تماما على وضع ازدواجية اللغة في اللغة العربية. والدول العربية تتحدث اللغة العربية ، و بشكل لغوي أعلى هو العربية الفصحى، إلا أنها تختلف فيما بينها بوجود لهجات عامية تختلف من حيث درجة تقاربها أو بعدها بعضها عن بعض ، ـ بل إن لكل دولة لهجات عامية خاصة بها. فلو أخذنا الوضع اللغوي في المملكة العربية السعودية كمثال على ذلك، لوجدنا أن هناك اللهجة النجدية والحجازية ولهجة الأحساء إلى آخر هذه اللهجات. هذه اللهجات تعتبر شكلا لغويا أدنى في ازدواجية اللغة في المجتمع السعودي، وإن كانت الفصحى هي الشكل اللغوي الأعلى. وعندما نقوم بدراسة ازدواجية اللغة في المملكة العربية السعودية، فلا بد من الحديث عن إحدى هذه اللهجات كشكل لغوي أدنى. هنا نرى أن إطلاق لفظ مجتمع ازدواجية اللغة يصف ازدواجية اللغة بشكل أكثر دقة ووضوح مما لو اكتفينا بلفظ مجتمع كلامي.

ويعتقد فاسولد أن كل وحدة من الوحدات الاجتماعية والتي تتميز بلهجتها عن باقي الوحدات تعتبر مجتمعا ازدواجي اللغة. أما إذا كان الشكل اللغوي الأعلى يستخدم في وحدة ما لجميع الأغراض الاجتماعية، فإن هذه الوحدة لا ينطبق عليها وصف ازدواجية اللغة، وإن كان ينطبق على باقي الوحدات التي لا يستخدم فيها ذلك الشكل اللغوي لجميع الأغراض. وإذا قبل هذا الوصف لمجتمع ازدواجية اللغة ، فليس هناك أي فرق بين الأمثلة التي أوردها فرجسون لوصف ازدواجية اللغة وبين الشكل اللغوي المعياري الذي تتبعه لهجات مختلفة. هذا الوضع يوضحه الشكل رقم (٣-١).[١]

---

[١] فاسولد ، ١٩٨٤م ، ص٤٤ .



الشكل اللغوي الأعلى			
الشكل اللغوي الأدنى (١)	الشكل اللغوي الأدنى (٢)	الشكل اللغوي الأدنى (٣)	الشكل اللغوي الأدنى (٤)

الوحـدات التي تشـترك في نفس الشكل اللغـوي الأعلى ولكنها تخـتلف عن بعـضـهـا بشكلها اللغوي الأدنى. كل مربع من هذه المربعات يمثل مجتمعا أو وحدة مستقلة من مجتمعات ازدواجية اللغة.

ثانيا - العلاقة الثنائية:

استـخدم فرجسون أمثلة لازدواجية اللغة تتكون من شكلين لغويين فقط ، فالعربية الفصحى، على سبيل المثال تعد الشكل اللغوي الأعلى بينما تكوّن سـائر اللهجـات العربية الأشكال اللغوية الدنيا. ومن هنا نرى أن ما كان يقصده فرجسون هي تلك العلاقات اللغوية التي عادة ما تأخذ شكلا ثنائيا. بالإضـافة إلى هذا، فإن فيشمن قد اتبع نفس المنظور من حيث العلاقة الثنائية، وإن كان قد توسع في مفهوم ازدواجية اللغة لتشمل اللغات المنفصلة والموزعة وظيفيا في المجتمع. ولكن هناك بعض الحالات التي تحـمل أيضـا نفس التـوزيع الوظيـفي ، من حـيث قـيـام الشكل اللغـوي الأعلى بالوظائف العليا وقيام الشكل اللغوي الأدنى بالوظائف غير الرسمية، ولكن هذه الحالات لا تتفق مع منظور العلاقة الثنائية. فقد نجد على سبيل المثال ثلاث لهجات أو لغات أو أكثر ترتبط فيما بينها بازدواجية اللغة من حيث التوزيع الوظيفي. والسؤال هو : هل من الممكن اعتبار هذه الحالات أشكالا لازدواجية اللغة ؟ علما بأن العلاقة بين هذه الأشكال اللغوية قد تتعدى الشكل الثنائي إلى أشكال أخرى ثلاثية أو رباعية وقد تصبح أحيانا

متعددة الأشكال اللغوية.

وليتمكن فاسولد من مناقشة هذا الوضع اللغوي رأى أنه لا بد من النظر إلى أوضاع لغوية مختلفة متعددة الأشكال، وفي نفس الوقت متابعة التوزيع الوظيفي للهجات أو اللغات في تلك المجتمعات. ومن بين العديد من الأوضاع اللغوية في المجتمعات المختلفة والتي من الممكن أن تشرح هذا الوضع، اختار فاسولد ثلاثة مجتمعات ازدواجية اللغة فقط ، هي: تنزانيا وخالبور في الهند والطبقة الصينية المتعلمة في ماليزيا.

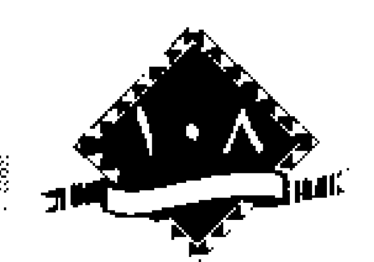
١- مجتمع ازدواجية اللغة في تنزانيا :

يعتبر الوضع اللغوي في تنزانيا أحد أوضاع الازدواجية اللغوية المتعددة ، فأفراد المجتمع التنزاني يتحدثون ١٣٥ لغة مختلفة، كما ذكر ذلك بولومي (Polome).[١] ومع هذا التعقيد اللغوي بوجود العديد من اللغات، فإن عملية الاتصال تتم عادة بشكل أقل صعوبة، لكون معظم أفراد المجتمع يتحدثون اللغة السواحيلية (حوالي ٩٤٪ من أفراد المجتمع التنزاني). وحتى نستطيع فهم التركيب اللغوي لذلك المجتمع، فلننظر إلى المعلومات التي قدمها بولومي من حيث نسبة الأفراد الذين يتحدثون اللغة السواحيلية أو اللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى المختلفة.[٢] وهذه النسب هي كما يلي:

نسبة من يتحدثون لغات عامية (غير السواحيلية أو الإنجليزية)	٪١،٨
نسبة من يتحدثون اللغة السواحيلية فقط	٪١،٨
نسبة من يتحدثون السواحيلية مع لغة أو لغات أخرى	٪٤١،٢
نسبة من يتحدثون السواحيلية والإنجليزية ولغة أو لغات أخرى	٪٥٢،٢

[١] بولومي ، ١٩٨٢م ، ص١٧٢ .

[٢] بوبومي ، ١٩٨٢م ، ص١٧٧ .



من هذا التوزيع نلاحظ أن ثنائية اللغة منتشرة بشكل كبير في تنزانيا، وهذا يتفق مع النسبة المذكورة سابقا من أن حوالي ٩٤٪ من التنزانيين يتحدثون اللغة السواحيلية إضافة إلى لغاتهم الأخرى غير الرسمية. ولهذه اللغات توزيعها ، فاللغة الإنجليزية هي لغة التعليم الرسمي في المراحل ما فوق المرحلة الابتدائية، أما اللغة السواحيلية فهي اللغة القومية ولغة التعليم الابتدائي. ثم تأتي بعد ذلك بقية اللغات المختلفة غير الرسمية والتي تستخدم للاتصال بين أفراد المجتمع الواحد، وتنحدر معظم هذه اللغات غير الرسمية من عائلة البنتو اللغوية والتي تنتمي إليها أيضا اللغة السواحيلية. والاختلاف بين هذه اللغات غير الرسمية كبير بحيث يتعدى كونها لهجات مختلفة، ولكنها لغات منفصلة عن بعضها وقائمة بذاتها.

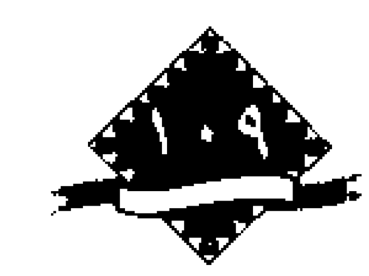
وتنزانيا التي كانت في السابق مستعمرة بريطانية تتكون من جزأين ، هما : تنقانيكا، وزنجبار. وبما أن هذين الجزين يضمان العديد من القبائل التي لا تتحدث لغة واحدة، فقد نشأت اللغة السواحيلية كلغة اتصال مشتركة بين هذه القبائل، وما زال الدعم القومي للغة السواحيلية قائما حتى أصبحت هي اللغة القومية لتنزانيا. فاللغة السواحيلية هنا هي اللغة المشتركة بين طرفي ازدواجية اللغة.

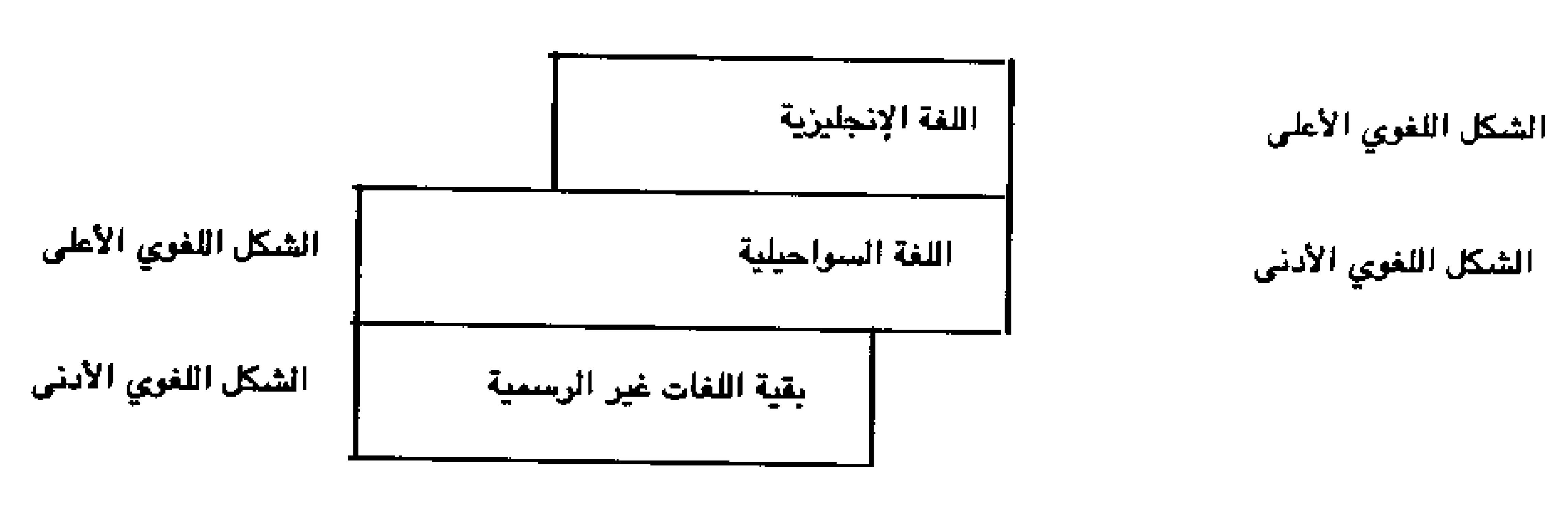
وقد وصف مخيلفي (Mkilifi) الوضع اللغوي في تنزانيا على أنه ثلاثي اللغة (Triglossia) حيث قال : " إن الوضع [اللغوي في تنزانيا] عبارة عن تداخل بين جزأين من ازدواجية اللغة ما زال في مرحلة التطور. أحد هذين الجزأين من ازدواجية اللغة يشمل اللغة السواحيلية وبقية اللغات غير الرسمية، أما الجزء الثاني فإنه يتكون من اللغة السواحيلية واللغة الإنجليزية ".[١] هذا التداخل أسماه فاسولد ازدواجية اللغة المضاعفة المتداخلة (Double overlapping diglossia)، كما يوضح الشكل (٣-٢).[٢]

---

[١] مخيلفي، ١٩٧٨م، ص١٣٤.

[٢] فاسولد، ١٩٨٤م، ص٤٥.





ازدواجية اللغةالمزدوجة المتداخلة

ويتبين من الشكل السابق، أن اللغة السواحيلية هي الشكل اللغوي الأدنى، بينما تشكل اللغة الإنجليزية الشكل اللغوي الأعلى، وهذا هو الجزء الأول من ازدواجية اللغة. أما الجزء الثاني فإنه يشمل اللغة السواحيلية كشكل لغوي أعلى بينما تكوّن بقية اللغات غير الرسمية الأشكال اللغوية الدنيا. وقد نشأ هذا الوضع اللغوي كما يلي : يتعلم الأطفال لغتهم غير الرسمية في المنزل بطريقة تلقائية كلغة أم، وهذا يتفق مع خاصية الاكتساب التي ذكرها فرجسون. وعند ذهاب هؤلاء الأطفال إلى المدارس يبدأون باكتساب اللغة السواحيلية بطرق التعليم الرسمي، وهذا يتفق مع كيفية اكتساب الشكل اللغوي الأعلى. ويتحدث الأطفال عادة فيما بينهم بلغتهم الأصلية، بينما تستخدم اللغة السواحيلية للوظائف العليا في مجتمعهم، وهذا يعكس شكل التوزيع الوظيفي للغات في مجتمع ازدواجية اللغة.

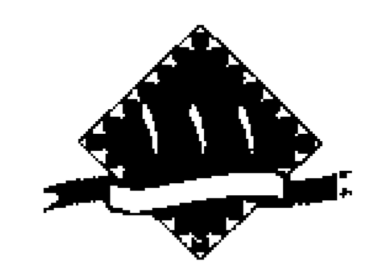
وعندما يبلغ هؤلاء التلاميذ المرحلة الثانوية وبسبب عدم وجود العديد من مدارس المرحلة الثانوية في مجتمعاتهم، فإنهم يضطرون للسفر إلى الأماكن التي يوجد فيها المدارس الثانوية والتي غالبا ما تكون محدودة الانتشار في تنزانيا. وهنا يبدأ التلاميذ بتعلم اللغة الإنجليزية لكونها لغة التعليم الرسمية لما فوق المرحلة الابتدائية، وهذا الاكتساب عن طرق التعليم الرسمي يتفق مع ما ذكر سابقا عن كيفية اكتساب الشكل

اللغوي الأعلى. ويكون استخدام اللغة الإنجليزية مقصورا على الوظائف الرسمية، وهذا يؤكد كون الإنجليزية الشكل اللغوي الأعلى. وبما أن هؤلاء التلاميذ قد قدموا من مناطق مختلفة وبسبب عدم وجود لغة غير رسمية مشتركة فيما بينهم، فهم يلجأون إلى استخدام اللغة السواحيلية للاتصال فيما بينهم ، وهنا تقوم اللغة السواحيلية بوظيفة اللغة الدنيا. ومما سبق يتضح أن اللغة الإنجليزية قد استخدمت في الوظائف العليا والتي كانت تستدعي استخدام اللغة السواحيلية في المجتمعات الصغيرة.

وبالإضافة إلى ما سبق، يعتبر تعلم اللغة الإنجليزية وإتقانها أحد متطلبات النجاح في الحياة العملية بالنسبة لهؤلاء التلاميذ ، فاللغة الإنجليزية هي اللغة المستخدمة في الشؤون الحكومية والأعمال التجارية، وهذا يضيف إلى كونها شكلا لغويا أعلى. أما اللغة السواحيلية فإنها تلعب وظيفتي التمييز والتعريف بالنفس أو التوحيد والفصل، والتي عادة ما تتطلب شكلا لغويا أدنى. أما في مجال الكتابة فعادة ما يتم استخدام اللغة الإنجليزية. فعلى سبيل المثال، تستخدم اللغة الإنجليزية لكتابة الرسائل بين أفراد المجتمع، أما إذا كان كاتب الرسالة أو متلقيها لا يجيد الإنجليزية، فتكتب الرسالة باللغة السواحيلية، مما يؤكد ازدواجية وتداخل وضع مضاعفة اللغة في تنزانيا.

٢ – ازدواجية اللغة في خالبور :

يعتبر الوضع اللغوي في قرية خالبور، والتي تقع إلى الشمال من نيودلهي عاصمة دولة الهند، مثالا آخر على ازدواجية اللغة متعددة الأطراف. ويلاحظ في هذه القرية وجود شكلين لغويين مختلفين : الشكل الأول هو لغة الهندي (Hindi)، والتي تعتبر الشكل اللغوي الأعلى في مجتمع القرية. أما الشكل اللغوي الأدنى فإنه أحد اللهجات التي ينسبها أفراد مجتمع خالبور إلى لغة الهندي. والاختلاف من الناحية اللغوية بين هذين الشكلين اللغويين يشبه إلى حد كبير وجوه الاختلاف التي ذكرها فرجسون في حالته الدراسية. ففي التركيب الصوتي، تتميز لهجة خالبور بوجود ثلاثة أحرف ساكنة



غير موجودة في لغة الهندي ، كما أن لهجة خالبور تسمح بوجود حرفين متشابهين في وسط الكلمة، وهذا النمط غير موجود في لغة الهندي. أما من الناحية النحوية، فتفتقر لهجة خالبور إلى اللاحقة المبينة لجمع المؤنث والموجودة في لغة الهندي[1]. ومن ناحية المفردات، هناك زوج من الكلمات : أحدهما بلهجة خالبور ، والآخر بلغة الهندي. وهذا يتطابق تماما مع خاصية المفردات التي ذكرها فرجسون.

ويتوافق التوزيع الوظيفي لهذين الشكلين اللغويين مع خاصية الوظيفة ، ويستخدم سائر أفراد المجتمع لهجة خالبور لأغراض الحديث اليومي، كما أنها الشكل اللغوي الذي يكتسبه الأطفال كلغة أم. أما لغة الهندي فتحظى باحترام أفراد المجتمع، كما أنها تستخدم للأغراض العليا والتي تتعدى حاجة الفرد العادي في ذلك المجتمع. ولغة الهندي هي اللغة التي يستخدمها المتعلمون في القرية للتحدث في أمور الاقتصاد أو السياسة، كما أنها اللغة المستخدمة في التعليم. وهذا يعني أن الأطفال لا يكتسبون هذا الشكل اللغوي إلا من خلال قنوات التعليم الرسمي.

ومما تقدم من الوصف والتحليل، لا يبدو هناك أي مشكلة في اعتبار الوضع اللغوي في خالبور كشكل من أشكال ازدواجية اللغة ، ولكن الصورة الكاملة للوضع اللغوي في خالبور لم تكتمل بعد. فبالإضافة إلى ما سبق، هناك مستويان للشكل اللغوي الأعلى ومثلهما للشكل اللغوي الأدنى. هذان المستويان من الشكل اللغوي الواحد على درجة كبيرة من الاختلاف بحيث إن كل مستوى من هذين المستويين للشكلين اللغويين يحمل اسما خاصا يعرف به من قبل أفراد مجتمع خالبور. فالمستوى الأول من لغة الهندي يسمى بالأسلوب الخطابي (Oratorical style)، أما المستوى الثاني فيسمى بأسلوب التحدث (Conversational style). ويعتبر الأسلوب الخطابي المستوى الأعلى من لغة الهندي ، فــفي هذا المســتوى هناك العــديد من المفـردات المقـتـرضـة من اللغــة السانسكريتية. ويستخدم هذا الأسلوب في المواضع الرسمية جدا كالمحاضرات

[1] المعلومات الثلاث السابقة ذكرها فاسولد ١٩٨٤م، ص٤٦ – ٤٧ نقلاً عن قمبرز ١٩٦٤م ص١٤٣ – ١٤٤.

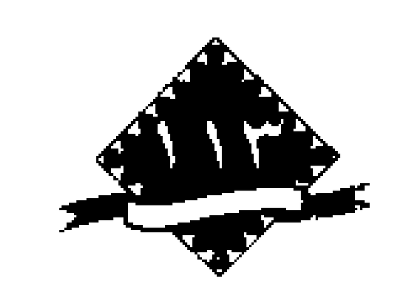
الرسمية. وبما أن هذا المستوى يحتوي على العديد من مفردات اللغة السانسكريتية، فـإن من يلقي مـحـاضـرة بالأسلوب الخطابي مطالب بإيضـاح مـحـتوى مـحـاضـرته باستـخـدام أسلوب التحدث أو لهجة خـالبـور، وهذا يرجع إلى أن العديد من أفـراد المجتمع لا يلمون بهذا الأسلوب. أما الأسلوب المتحدث فإنه قريب جدا من لغة الهندي المتحدثة في تلك المنطقة. وبما أن لهجة خالبور إحدى لهجات لغة الهندي، فإن أفراد المجتمع لا يجدون صعوبة بالغة في معرفة الأسلوب المتحدث ، فهو يستخدم مثلا كوسيلة تخاطب بين أصحاب النفوذ السياسي أو الاقتصادي من أفراد القرية أو القرى المجاورة لها. ونستطيع التعرف على هذا التوزيع الوظيفي من خلال النظر إلى الشكل (٣-٣).[١]

الشكل اللغوي الأعلى	الأسلوب الخطابي	الأسلوب الأعلى
	لغة الهندي	
	الأسلوب المتحدث	الأسلوب الأدنى
الشكل اللغوي الأدنى	صاف بولي	الأسلوب الأعلى
	لهجة خالبور	
	موتي بولي	الأسلوب الأدنى

ازدواجية اللغة في خالبور (الهند)

ويتضح من الشكل (٣-٣) وجود مستويين للهجة خالبور ، فيستخدم الأسلوب الأعلى لهذه اللهجة، ويسميه أفراد المجتمع "صاف بولي" أي الكلام النظيف الحديث بين

[١] المصدر: فاسولد ، ١٩٨٤م ، ص٤٨ .



أفراد المجتمع الذين لا تربطهم صلة كالقرابة أو الصداقة أو المعرفة. كما أنه الأسلوب المستخدم للتحدث مع الأفراد الأكبر سنا وذلك لإظهار الاحترام لهم. ويبتعد هذا الأسلوب بعض الشيء عن اللهجة المحلية الخاصة، ويقترب كثيرا من اللغة الهندية وخاصة الأسلوب المتحدث. أما الأسلوب الأدنى أو ما يعرف بين أفراد خالبور بـ"موتي بولي" أو الكلام البدائي ، فيستخدم للتحدث بين الأفراد الذين تربطهم علاقة حميمة كأفراد الأسرة الواحدة أو الأقارب، كما أن هذا الأسلوب هو المستخدم حال التحدث مع الأطفال.

ومن الواضح أن وصف ازدواجية اللغة بخالبور على أساس أنها تتكون من شكلين لغويين قد لا ايبدو دقيقا ، فالوضع اللغوي هنا يحتم وصف هذا الوضع اللغوي على أنه متصل لغوي من الأسلوب الأعلى للشكل اللغوي الأعلى إلى الأسلوب الأدنى من الشكل اللغوي الأدنى. ولكل أسلوب من هذه الأساليب خصائصه المميزة، كما أن له وظيفته المحددة من قبل أفراد المجتمع. ومن الممكن هنا اعتبار هذا الوضع اللغوي شكلا من أشكال ازدواجية اللغة لو تم الاستغناء عن مفهوم العلاقة الثنائية السابقة الذكر. فأسلوبا الشكل اللغوي الأعلى يمثلان شكلا من أشكال ازدواجية اللغة، كما أن هذا التمثيل ينطبق تماما على أسلوبي الشكل اللغوي الأدنى، وبالإضافة إلى هذا، فإن وجود لغة الهندي ولهجة خالبور يضيف بعدا ثالثا لازدواجية اللغة في ذلك المجتمع. إذ لو تم قبول هذا الوصف للوضع اللغوي في خالبور، فإن ما يحول دون وصف هذا الوضع على أنه ازدواجية لغوية هو مفهوم العلاقة الثنائية. وبالاستغناء عن هذه العلاقة، فإن وضع خالبور اللغوي هو شكل من أشكال ازدواجية اللغة.

٣ – ازدواجية اللغة في ماليزيا :

وصف بلات (Platt) الوضع اللغوي في مجتمعات الصينيين المتعلمين في ماليزيا

على أنه معقد للغاية [1] ، فالصيني الماليزي المتعلم يتقن مثلا لغته الصينية الأم، بالإضافة إلى إحدى اللغات الصينية الشائعة في ذلك المجتمع، كما يتقن أيضا شكلين للغة الإنجليزية المستخدمة في ماليزيا، هذان الشكلان هما : الرسمية والعامية الإنجليزية. كما أنه يتقن أيضا لغة الباهاسا ماليزيا ولغة البازار ماليزيا. وهذه الأشكال اللغوية غير مرتبة ترتيبا تسلسليا كما كان الحال في خالبور ، فمثلا لغة الباهاسا ماليزيا تحتل المركز الثاني في الترتيب اللغوي، بينما يحتل الشكل الآخر للغة، بازار ماليزيا، أسفل قائمة الترتيب من حيث الاحترام.

ويتقن الفرد الصيني المتعلم في مجتمع ماليزيا اللغات التالية :

(١) لغته الأصلية وهي إحدى اللغات الصينية المتحدثة في ماليزيا.

(٢) لغة أو أكثر من اللغات الصينية الجنوبية، وقد تضم هذه اللغات اللغة الشائعة في المنطقة.

(٣) بعض من اللغة الإنجليزية الماليزية الرسمية.

(٤) بعض من اللغة الإنجليزية الماليزية العامية.

(٥) لغة باهاسا ماليزيا.

(٦) لغة بازار ماليزيا.

وبالإضافة إلى هذه الأشكال اللغوية، هناك أيضا شكل لغوي أعلى خالٍ (Dummy High). وحتى نطلق لفظ شكل لغوي أعلى خالٍ على لغة ما، فلا بد من النظر إلى معيارين ، هما الوظيفة ، وموقف الأفراد تجاه اللغة. فمن الناحية الوظيفية، لا بد أن يكون هناك أي ميدان أو حقل غير رئيسي تستخدم فيه اللغة ، أما موقف الأفراد تجاه اللغة فهو عادة ما يكون إيجابيا، حيث تحظى اللغة باحترام الأفراد. وقد عرّف بلات الشكل اللغوي الأعلى الخالي بأنه "يعود على شكل أو أشكال متحدثة يتقنها بعض أفراد المجتمع تحظى باحترام الأفراد.... ولكن هذا الشكل أو الأشكال لا يؤدي أي

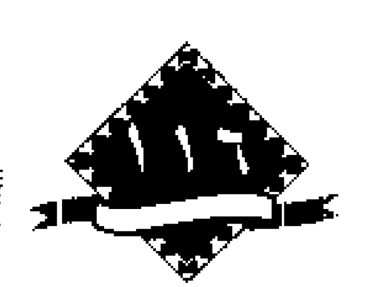
[1] بلات ١٩٧٧م.

وظيفة رئيسة في المجتمع." [١] هذه الصفات تنطبق على لغة المندارين، إحدى لغات الصين الشمالية، حيث إنها تمتلك هذه المواصفات بالنسبة لأفراد المجتمع الصيني في ماليزيا.

ولهذه اللغات المختلفة أدوار يحددها المجتمع ، فتستخدم لغة البازار ماليزيا كلغة مشتركة لأغراض التسوق اليومي ، وهذا ليس بمستغرب فمجتمع ماليزيا يضم العديد من الوحدات الاجتماعية التي تحتاج إلى لغة مشتركة كأداة للاتصال. وللغة المندارين أيضا ميدان محدد جدا للاستخدام ، فهي مثلا تستخدم للأغراض الدينية لفئة محدودة جدا من المجتمع الصيني كما أنها تستخدم لدراسة الأدب المكتوب فيها. وهنا أرى أن تعريف بلات قد لا يظهر الحقيقة كاملة بالنسبة للشكل اللغوي الأعلى الخالي، فلو تم تعديل التعريف السابق ليصبح كما يلي : " الشكل اللغوي الأعلى الخالي هو ذلك الشكل الذي يتقنه بعض أفراد مجتمع بدرجات متفاوتة والذي يحظى باحترام هؤلاء الأفراد لأسباب دينية أو لمكانتها الأدبية، والذي يقوم بوظائف محدودة النطاق وغير رئيسة في المجتمع " . ولهذا التعريف ميزتان : فهو أولا يظهر درجة التفاوت في إتقان هذا الشكل اللغوي ، فالأفراد المتعلمون الذين تخصصوا في أدب هذا الشكل اللغوي، كبعض أفراد المجتمع الصيني المتخصصين في أدب لغة المندارين ، أو بعض أفراد المجتمع الهندي المتخصصين في أدب اللغة السناسكريتية ، والذين يتناولون أدب هذه اللغة بالبحث والمناقشة – لا يتساوون في إتقانهم للغة مع أفراد قد لا يتعدى إلمامهم بتلك اللغة معرفة بعض مفرداتها. هذا التعريف المقترح يشمل أيضا لغات عدة كاللغة السانسكريتية واللغة اللاتينية وغيرهما، فهذه اللغات بالإضافة إلى لغة المندارين تخدم الوظائف الدينية. هذا التخصيص الوظيفي ليس أمرا هاما، فقد يقوم المجتمع بإبدال تلك اللغة بلغة أخرى مما يجعل ميادينها محدودة وغير رئيسة.

---

[١] بلات ١٩٧٧م ص٣٧٣-٣٧٤.



ولفهم ترتيب لغات المجتمع الصيني في ماليزيا من حيث الاحترام، انظر إلى الشكل (٣-٤).[١]

الشكل اللغوي الأعلى (١)	اللغة الإنجليزية الماليزية الرسمية
الشكل اللغوي الأعلى (٢)	لغة باهاسا ماليزيا
الشكل اللغوي الأعلى الخالي	لغة المندارين
الشكل اللغوي المتوسط (١)	اللغة الإنجليزية الماليزية العامية
الشكل اللغوي المتوسط (٢)	اللغة الصينية الشائعة في المنطقة
الشكل اللغوي الأدنى (١)	اللغة الصينية الاصلية (اللغة الأم)
الشكل اللغوي الأدنى (٢)	لغات صينية أخرى
الشكل اللغوي تحت الأدنى	لغة بازار ماليزيا

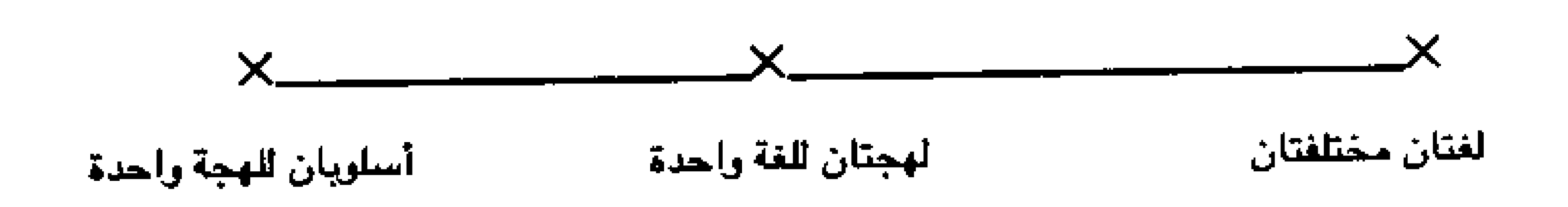
ازدواجية اللغة الغير متسلسلة للمجتمع الصيني في ماليزيا

ويتضح من الشكل السابق أن بلات قد أدخل ثلاثة مفاهيم جديدة لازدواجية اللغة ، هذه المفاهيم هي : الشكل اللغوي الأعلى الخالي، والشكل اللغوي المتوسط ، والشكل اللغوي تحت الأدنى. وكما هو الحال في تنزانيا وخالبور، فإن ما يفصل بين تسمية الوضع اللغوي في ماليزيا بازدواجية اللغة هو مفهوم العلاقة الثنائية. وبالاستغناء عن هذا المفهوم يصبح الوضع اللغوي للأفراد الصينيين في ماليزيا شكلا من أشكال ازدواجية اللغة.

[١] المصدر: بلات ١٩٧٧م ص٣٧٥.

ثالثا - الترابط :

ذكرنا سابقا عند مناقشة مفهوم فرجسون لازدواجية اللغة أن فرجسون قصر مفهوم ازدواجية اللغة على الحالات التي يكون فيها الشكلان اللغويان الأعلى والأدنى لهجتين للغة واحدة. هذا المفهوم اقتصر على الحالات التي تكون عادة في منتصف المتصل اللغوي ، وهذا المتصل اللغوي يأخذ الشكل التالي:



ولكن واقع الحال يختلف كثيرا عن مفهوم فرجسون، فعلى سبيل المثال : اعتبر فيشمن طرف المتصل الأيمن (وهو : لغتان مختلفتان) أحد أشكال ازدواجية اللغة عندما تحدث عن اللغة الأسبانية ولغة قوارني. هذا الاتجاه اتبعه أيضا فاسولد عندما ذكر أن العلاقة بين اللغة الإنجليزية واللغة السواحيلية شكل من أشكال ازدواجية اللغة. أما طرف المتصل اللغوي الآخر (وهو : أسلوبان للهجة واحدة) فقد أُعتبر أيضا شكلا من أشكال ازدواجية اللغة، كما بينّ ذلك فاسولد في دراسة خالبور، وبلات في دراسة ماليزيا. إلى هذا الحد لا يبدو هناك أي تبرير للتوسع في مفهوم ازدواجية اللغة وجعلها تشمل اللغات والأساليب المختلفة ، ولكن دراسة ستيوارت (Stewart) قد غيرت هذا الرأي إلى حد كبير.[١]

لقد درس ستيورات ازدواجية اللغة في هايتي، كما درس الوضع اللغوي في فرنسا، وتوصل إلى النتيجة التالية : يضطر المتحدث في هايتي وفي بعض المواضع إلى استخدام الشكل اللغوي الأعلى، ولكنه ينتقل تدريجيا إلى استخدام الشكل اللغوي

[١] ستيورات ١٩٦٣م.

الأدنى كلما ازداد الوضع ألفة وابتعد عن الرسمية. هذا التحول من شكل إلى آخر لا يبدو مستغربا لمعرفتنا بوظائف الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة. ومثل هذا التحول من شكل إلى آخر يمارس أيضا من قبل الأفراد في المجتمعات أحادية اللغة كفرنسا بريطانيا ، فقد يضطر الفرد مثلا للتحول من شكل لغوي إلى آخر بناءً على الوضع الذي يتم فيه التحدث. فليس من المقبول اجتماعيا أن يلقي الأستاذ في إحدى الجامعات البريطانية أو الفرنسية محاضرته بنفس الأسلوب الذي يستخدمه للتحدث مع أفراد أسرته وأصدقائه. وحيث إن الفرد في مجتمعات ازدواجية اللغة يملك حق الاختيار بين الشكلين الأعلى والأدنى مع ما تقتضيه الوظيفة، فإن هذا الحق في مجتمعات أحادية اللغة قد يكون معدوما تماما ، وهنا يلجأ الأفراد إلى التحول بالأسلوب المتحدث لمواكبة الحدث. هذا التحول يشبه إلى حد كبير تحول الفرد في مجتمع ازدواجية اللغة.

ويرى فاسولد أن هناك نزعة عامة لدى جميع الأفراد في سائر المجتمعات – سواء كانت أحادية أو غير ذلك – إلى التحول في الأسلوب أو الشكل اللغوي حتى لا يكون الفرد عُرضة للسخرية من قبل الآخرين. هذا التحول قد يكون من لغة إلى أخرى، من لهجة إلى أخرى أو حتى من أسلوب إلى آخر ، ويعتمد هذا التحول بصورة رئيسة على تقييم الفرد للوضع أو الموقف. هنا لا يبدو أن هناك أي جدوى من وراء تقيّد مفهوم ازدواجية اللغة بالأشكال اللغوية التي تحتل المكان الوسط على المتصل اللغوي، بل إنه من الأفضل اعتبار هذه الأشكال ممثلة لازدواجية اللغة ما دام هناك تحول في اللغة أو اللهجة أو الأسلوب من شكل لآخر ، مشابه للتحول الذي يلجأ إليه الأفراد في مجتمع ازدواجية اللغة.

رابعا – الوظيفة :

لم ير فاسولد أي جدوى تذكر من وراء مناقشة خاصية الوظيفة ، فهي الخاصية الوحيدة التي اتفق عليها جميع علماء اللغة بدءاً بفرجسون ونهاية بفاسولد. فاللغة أو

اللهجة أو الأسلوب الأعلى يستخدم للوظائف الرسمية في المجتمع ، فهو الشكل المستخدم لإلقاء المحاضرات الرسمية وللتعليم في المدارس، كما أنه الشكل المستخدم في سائر وسائل الاعلام. أما اللغة أو اللهجة أو الأسلوب الأدنى فإنه مخصص للاستخدمات غير الرسمية في المجتمع كالتحدث مع الأصدقاء أو أفراد الأسرة أو الأقارب، وهو أيضا الشكل اللغوي الذي يتعلمه الطفل في المنزل أولا.

٣ – تعريف فاسولد لازدواجية اللغة :

نختتم هذا الفصل باستعراض التعريف الذي توصل إليه فاسولد كنتيجة لمناقشته وتحليله للنقاط الأربع سابقة الذكر. يرى فاسولد أن الاتفاق على صحة مناقشة هذه النقاط الأربع – وهي : الشكل اللغوي المعياري واللهجات ، والعلاقة الثنائية ، والترابط ، والوظيفة – يمكّننا من اعتبار ازدواجية اللغة مفهوما يضم اللغات واللهجات والأساليب المختلفة ما دام هناك توزيع وظيفي لهذه الأشكال. وقد رأى فاسولد تسمية هذا التوسع الجديد بمفهوم ازدواجية اللغة الموسعة. وقد عرف هذا المفهوم بأنه " حجز الأجزاء اللغوية العليا في المجتمع (والتي لا يتعلمها الفرد أولا ولكنه يتعلمها لاحقا وبطريقة واعية، ويتم هذا التعلم عن طريق التعليم الرسمي) لأوضاع يدركها الفرد على أنها أكثر رسمية وأكثر تحفظا، وحجز الأجزاء اللغوية الدنيا (والتي يتم تعلّمها أولا وبطريقة لا واعية)، مهما كانت درجة الترابط بين هذه الأجزاء الدنيا والأجزاء العليا، بدءاً من الأختلاف في الأسلوب ونهاية بالاختلاف التام كما في اللغات المنفصلة، هذه الأجزاء اللغوية الدنيا تحجز الأوضاع التي يعتبرها الأفراد أقل رسمية وأكثر أُلفة". [١]

ويشتمل هذا التعريف لازدواجية اللغة على ثلاثة أقسام : أولا : العلاقة بين اللغات المختلفة والتي تكون فيها الوظيفة هي المحك الوحيد لهذا التوزيع، وقد سمى فاسولد هذا القسم ازدواجية اللغة المفروضة. ومن أمثلة هذا القسم ازدواجية اللغة في براغوي

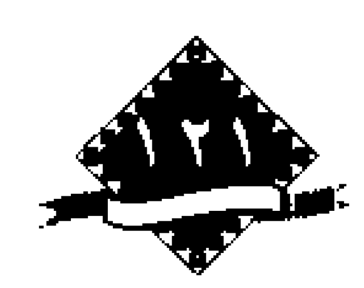
[١] فاسولد ١٩٨٤م ص٥٣.

وتنزانيا. ثانيا : لهجات اللغة الواحدة ، ويكون في هذا القسم تشابه بين اللهجات، وإن كانت درجة التشابه بين اللهجات تختلف من مجتمع إلى آخر. ومن أمثلة هذا القسم ازدواجية اللغة في اللغة العربية وهجينة هايتي. وقد سمى فاسولد هذا القسم بازدواجية اللغة التقليدية. ثالثا : أساليب اللهجة الواحدة التي تكون أطراف ازدواجية اللغة، والاختلاف بين هذه الأساليب يتركز في جانب المفردات، وإن كان هناك إختلاف محدود في الأمور النحوية أو التراكيب الصوتية. وهذا القسم تتبعه جميع المجتمعات أحادية اللغة. وقد سمى فاسولد هذا القسم بالتحول في الأسلوب. هذه الأشكال الثلاثة يمكن تلخيصها في الشكل (٣-٥).

الترابط اللغوي بين الشكلين اللغويين	أقسام ازدواجية اللغة
لغات مختلفة	ازدواجية اللغة المفروضة
لهجات لغة واحدة	ازدواجية اللغة التقليدية
أساليب اللهجة الواحدة	التحول في الأسلوب

أقسام ازدواجية اللغة الموسعة   المصدر: فاسولد ١٩٨٤م ص٥٤

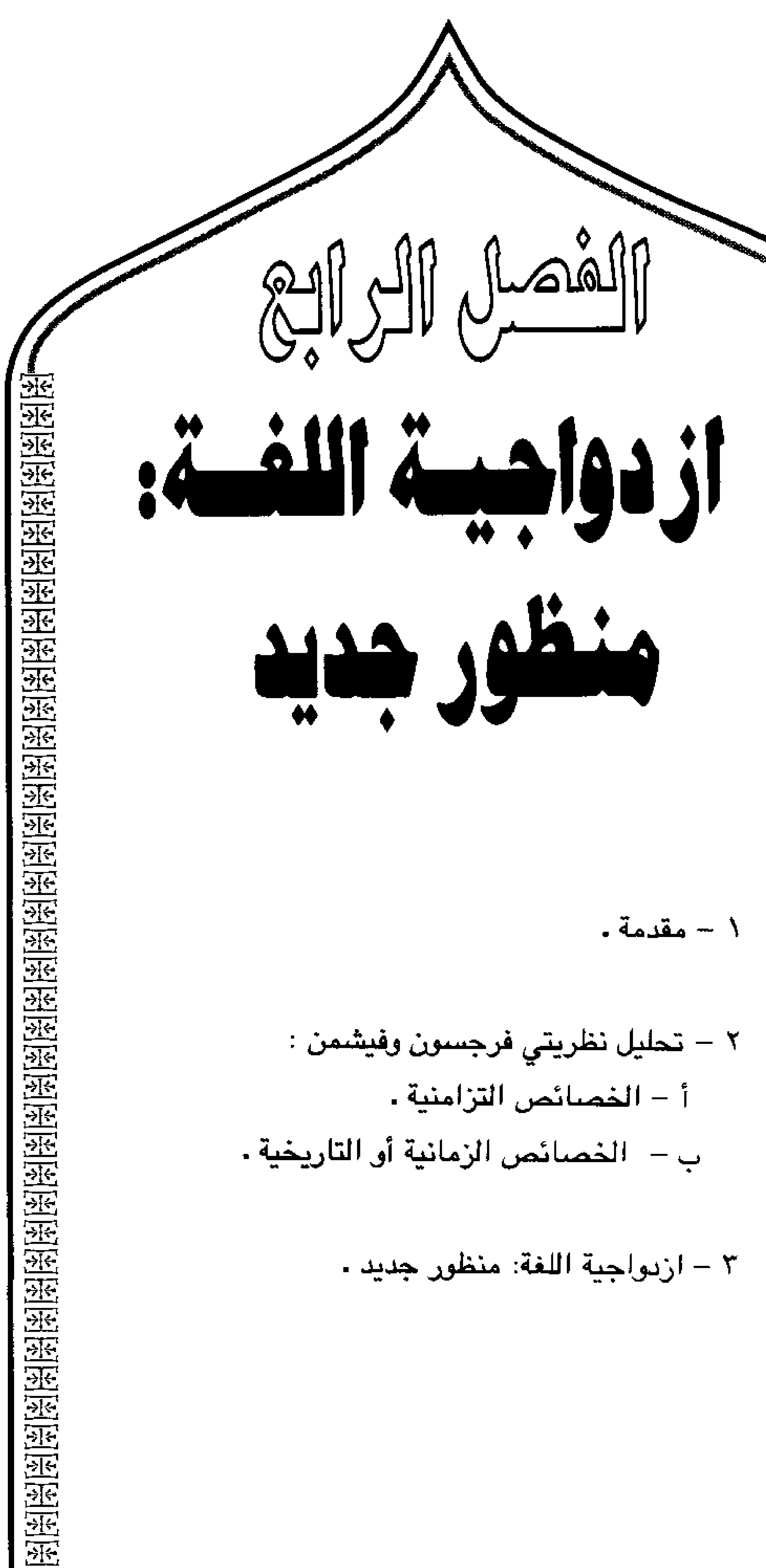
وأخيرا، يؤيد فاسولد ما ذهب إليه فرجسون من أن ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية في طريقها للزوال، وأن اليونان في طريقها لأن تصبح دولة ذات لغة أحادية. ويشبه فاسولد وضع اليونان اللغوي بالوضع اللغوي الحالي في تنزانيا ، فقد بدأت اللغة السواحيلية تستخدم في مواضع كانت مقتصرة على اللغة الإنجليزية، كما أنها بدأت تستخدم أيضا في مواضع كانت مخصصة للغات غير الرسمية. كما ذكر فاسولد أن هناك خلطا وتبديلا بين اللغة الإنجليزية والسواحيلية واللغات غير الرسمية. وينتج هذا من شعور التنزانيين بولائهم للغاتهم الرسمية وتقديرهم للغة السواحيلية كلغة وطنية



من جهة ومن حاجتهم للغة الإنجليزية فيما يخص بعض المصطلحات العلمية من جهة ثانية . ولكن الوضع في النهاية سيكون لصالح اللغة السواحيلية، والتي سوف تستخدم في جميع الوظائف مما يعني بدء زوال ازدواجية اللغة في تنزانيا .

ولا تختلف أسباب ازدواجية اللغة التي ذكرها فاسولد عن تلك التي أوردها فرجسون. ومن العوامل المساعدة في ذلك الزوال إتاحة فرصة التعليم لجميع أفراد المجتمع ، وهذا يجعل هؤلاء الأفراد ملمين بالشكل اللغوي الأعلى الذي اكتسبوه بطريق التعليم الرسمي وبالشكل اللغوي الأدنى الذي اكتسب سابقا كشكل أم. وهنا تصبح الخيارات متاحة للمتحدث لاختيار الشكل اللغوي المناسب للقيام بالوظيفة المرجوة.

وتلعب وسائل الاتصال دورا مهما في إنهاء ازدواجية اللغة ، فهي تقدم لأفراد المجتمع موادها المكتوبة والمسموعة والمرئية ، مستخدمة الشكل اللغوي الأعلى أو شكلا قريبا مشابها له. كما أن نمو الحس الوطني لدى الأفراد يعجل بنهاية ازدواجية اللغة من المجتمع ، ومثال ذلك : شعور أفراد المجتمع التنزاني بأن اللغة السواحيلية لغة وطنية مرتبطة بدولتهم ، وأن إبداء الولاء لتلك اللغة يعكس حبهم وولاءهم لبلدهم.



الفصل الرابع

ازدواجية اللغة: منظور جديد

١ - مقدمة .

٢ - تحليل نظريتي فرجسون وفيشمن :

أ - الخصائص التزامنية .

ب - الخصائص الزمانية أو التاريخية .

٣ - ازدواجية اللغة: منظور جديد .

١ – مقدمة :

رأينا في الفصل الأول محاولة فرجسون تحديد ازدواجية اللغة بمعالم واضحة من خلال وضع تعريف مفصل لها ، وإيراد خصائص تسع تميز هذه الظاهرة اللغوية عما سواها من الظواهر اللغوية الأخرى. فاعتبر هذه الظاهرة تنطبق فقط على المجتمعات التي تتحدث أكثر من لهجة واحدة من نفس اللغة. هذا التقييد لم يكن عشوائيا كما يتضح من استبعاد فرجسون للغات المختلفة في المجتمع الواحد، أو حتى الأساليب المختلفة أو حتى اللهجات الخاصة المختلفة (Different Registers)، حتى وإن كانت هذه الأشكال اللغوية تخدم وظائف مختلفة. فقد ذكر فاسولد أن فرجسون قصد أن ازدواجية اللغة هي تكامل وظيفي (Functional Complementarity) بين شكلين لغويين مرتبطين ارتباطا أبعد من التقارب بين أساليب اللهجة الواحدة ، ولكنه في الوقت نفسه أقرب من التباين بين اللغات المختلفة[١]. وهذا الوصف أعطى ازدواجية اللغة مكانا فريدا وموقعا متميزا على متصل الظواهر اللغوية التي تخص المجتمع ، فازدواجية اللغة لا تقوم بين أساليب اللهجة الواحدة، كما أنه لا يجوز استخدامها متى ما كانت أطراف ازدواجية اللغة هي لهجات للغة واحدة، لهذه اللهجات مواضع استخدام معروفة ومتفق عليها من قبل أفراد المجتمع.

ومع ذلك فإن دراسة فرجسون – التي كانت تعتبر النواة الحقيقية لدفع العديد من علماء اللغة الاجتماعيين لمناقشة هذه الظاهرة – لم تخل من بعض الغموض ، فعلى سبيل المثال : ما هي درجة المعيارية أو التقنين المطلوبة للهجات اللغة الواحدة ؟ أو كيف يمكن الحكم على لهجة ما بأنها لهجة نموذجية؟ وأخيرا ما هو المقياس الذي يمكن استخدامه كي نستطيع الحكم على إحدى اللهجات بأنها أكثر صعوبة وأكثر تعقيدا من الناحية اللغوية؟ إن هذه التساؤلات مجرد مثال من أمثلة الغموض الذي اكتنف دراسة

[١] فاسولد ، ١٩٨٤ م ، ص ٤٠ .

فرجسون، وباستطاعة الباحث اللغوي إيراد العديد من الأمثلة التي تدلل على وجود مثل هذا الغموض. وفي المقابل لا يعقل أن يطلب من فرجسون أن يأتي بتعاريف جديدة تحدد اللهجة واللغة والأسلوب واللهجة الخاصة، حتى نقول بأنه قد أوضح ما كان يقصده من وراء شكل الارتباط اللغوي.

هذه التساؤلات وما شابهها كما أشير سابقا تركت أثرا سلبيا في دراسة ازدواجية اللغة ، فبدلا من محاولة اتباع الطريق الذي رسمه فرجسون من خلال محاولة تطبيق النقاط النظرية التي ذكرها على حالات دراسية جديدة تحاكي منهج دراسة الحالات الدراسية الأربع التي ذكرها، أو محاولة إفراد بحوث كاملة للصفات التسع التي أوردها – رأينا بعض اللغويين قد اعتبر وجود لغتين مختلفتين ذواتي تقسيم وظيفي في مجتمع ما هو أحد أشكال ازدواجية اللغة.

فيرى فشمن ـ على سبيل المثال ـ أن الوضع اللغوي في براغوي هو مثال لازدواجية اللغة على الرغم من كون الشكلين اللغويين مختلفين تماما. بل إن الاختلاف بين هاتين اللغتين عظيم جدا، كما أنهما لا تتبعان نفس العائلة اللغوية. فاللغة الإسبانية التي اعتبرها فيشمن شكلا لغويا أعلى هي إحدى اللغات التي تتبع العائلة الهندية الأوروبية، بينما الشكل اللغوي الأدنى وهو لغة قوراني، هو إحدى لغات الهنود الأمريكيين المستوطنين في حوض الأمازون في أمريكا الجنوبية. هذا الخلط الواضح بين مفهومي ازدواجية اللغة وثنائية اللغة في كتابات فيشمن والذي انعكس على بحوث اللغويين الذين سلكوا طريقه – يعزى إلى أن فيشمن يعتقد أن ازدواجية اللغة وثنائية اللغة وجهان لعملة واحدة. "فثنائية اللغة صفة مميزة للتصرف اللغوي على المستوى الفردي، أما ازدواجية اللغة فإنها خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع"[١].

وفي موضع آخر يذكر فيشمن أن "ثنائية اللغة هي سمة للاستخدام اللغوي من قبل الأفراد ، بينما ازدواجية اللغة هي وصف لتخصيص المجتمع لوظائف معينة للغات أو

[١] فيشمن ، ١٩٦٧م ، ص ٣٤ .

لهجات مختلفة"[١].

ومن هنا يتضح أن دراسات فيشمن المتعددة لم تقدم أي إيضاح لدراسة فرجسون والذي كان من الممكن أن يدعم وينظم البحث في هذا المجال، بل إنها على العكس من هذا ألقت بظلال جديد على ظاهرة ازدواجية اللغة. وبالتالي فإن عدم الوضوح هذا أو التشعب في دراسة هذه الظاهرة دفع كاي (Kay) إلى اعتبار أن الفرق بين الكلام المعد مسبقا والآخر الفوري شكلا من أشكال ازدواجية اللغة[٢]. فمثلا عندما يرتب الفرد أفكاره سواء كان هذا الترتيب ذهنيا أو كتابيا، فإنه يستخدم أسلوبا يختلف تماما عن الأسلوب الذي قد يستخدمه لو كان التحدث أو الإجابة عن سؤال ما لم تخضع لعملية ترتيب مـسـبـقـة. ومن هذا المنطلق يرى كـاي أن هذين الأسلوبين شكل من أشكال ازدواجية اللغة. وكذلك حاول فاسولد أن يجمع الأشكال اللغوية الثلاثة – وهي : اللغة ، واللهجة ، والأسلوب تحت مسمى واحد وهو ازدواجية اللغة بمفهومها الواسع متى ما اختلفت الوظائف التي تخدمها هذه الأشكال اللغوية[٣]. ويتبين لنا مما سبق أن جميع الدراسات آنفة الذكر قد اعتبرت خاصية الوظيفة هي الخاصية الأساسية الأكثر أهمية، أما بقية الخصائص التي أوردها فرجسون فقد تم الاستغناء عنها إما جزئيا كما هو الحال في دراسات كاي وفاسولد ، وإما كليا كدراسات فيشمن.

وقد أصبح مفهوم ازدواجية اللغة مرادفا لمفهوم ثنائية اللغة، على الرغم مما أبداه فرجسون من محاولات في مقاله سابق الذكر لتجنب مثل هذا الالتباس. فقد ذكر فرجسون على سبيل المثال وبشكل صريح في مقاله أن ازدواجية اللغة تشتمل فقط على الأمثلة التي يكون فيها كل من الشكل اللغوي الأعلى والأدنى لهجتين لنفس اللغة ، كما استبعد أن يكون الشكلان اللغويان لغتين مختلفتين أو حتى لهجتين مرتبطتين إحداهما

---

[١] فيشمن ، ١٩٧٠م ، ص ٨٣ .

[٢] كاي ، ١٩٧٠م .

[٣] فاسولد ، ١٩٨٤م .



لهجة المركز المعيارية أو النموذجية. وفي هذا السياق أوضح فرجسون سبب عدم اعتبار لهجة المركز المعيارية أو النموذجية شكلا لغويا أعلى ، بأن هذا الوضع وبشكل واضح لا يتفق مع عدة خصائص ، منها على سبيل المثال خاصيتا الوظيفة والاكتساب. فخاصية الوظيفة لا تنطبق على هذا الوضع بسبب استخدامها من قبل الأفراد الذين يعيشون في المركز الحضري أو العاصمة ، لجميع أغراض الاتصال دون رسم حدود بين الاستخدامات الرسمية وغير الرسمية. أما وظيفة الاكتساب فإنها لا تعكس هذا الوضع بسبب أن أطفال ذلك المجتمع عادة ما ينشأون وهم يتكلمون الشكل اللغوي الأعلى كلهجة أم ، علما أن هذه الخاصية تفترض أن يتم تعلم الشكل اللغوي الأعلى عن طرق وقنوات التعليم الرسمي.

قد يرى البعض أن فرجسون قد قدم نموذجا متكاملا ، ولكن هذا الاعتقاد لا يبدو مقبولا نظرا لاختلاف مدى الترابط بين الشكلين اللغويين : الأعلى والأدنى. فمثلا يستطيع الإنسان العادي غير المتعلم الذي يتحدث العامية العربية في شئون حياته اليومية أن يفهم العربية الفصحى فهما جيدا إن لم يكن فهما كاملا . وعلى النقيض من هذا يجب على الفرد السويسري تعلم اللغة الألمانية بشكل رسمي، إما عن طريق دراستها في المدارس الحكومية وأما ما شابهها حتى يستطيع فهم اللغة الألمانية. ويعتبر هذا الاختلاف في مدى الترابط بين اللهجات مأخذا على دراسة فرجسون، وإن كان البعض يعتقد أن مثل هذا الاختلاف إنما هو تباين سطحي دون أن يكون له أي تأثير جوهري في فهم ازدواجية اللغة.

وبالنظر إلى الدراسات والمؤلفات التي ناقشت ازدواجية اللغة كظاهرة لغوية تخص المجتمع، يمكن تقسيم هذه الأعمال إلى أقسام ثلاث ، هي :

أولا - الدراسات الوصفية أو المقارنة : وتأخذ هذه الدراسات شكل التركيز على حالة دراسية أو أكثر ، وذلك بأخذ لغة ما ركيزة أساسية للدراسة ومحاولة النظر في



مكونات الأشكال اللغوية، وهذا يتم عادة عن طريق وصف النظام النحوي أو الصرفي أو التـراكـيب الصـوتيـة للشكلين اللغـويين : الأعلى والأدنى ، مـع بيـان أوجـه الشـبـه والاختـلاف بين الشكلين اللغويين. ويبدو أن هناك شبـه عدم اتفـاق بين أصـحـاب هذه الدراسـات حـول مـدى التـرابط اللغـوي بين الأشكال اللغوية المكونة لازدواجيـة اللغـة ، فنرى مثلا أن بعض هذه الدراسات يقوم على أسـاس وصفي للغتين مختلفتين مـا دام استخدام إحداهما يتم في الوظائف الرسمية بينما تستخدم اللغة الأخرى في الوظائف غير الرسمية في المجتمع الواحد. أما البعض الآخر فإنه يقيد ازدواجية اللغة بمفـهوم فرجسـون ، ولا يدرس إلا الحـالات التي تكون فـيـها الأشكال اللغوية لازدواجيـة اللغـة لهجتين للغة واحدة ، تخدم إحداهمـا الأغراض الرسمية بينمـا تؤدي الأخرى الأعمـال غير الرسـمـيـة. وفي واقع الأمر فإن التطرق إلى مـثل هذه الدراسـات بالمناقشـة يعتبر خـارجا عن الأهداف المرسومة لهذا المؤلف، وإن كنا سنركز هنا على مناقشـة القسـمين التاليين : الثاني والثالث مجتمعين.

ثانيا – هناك دراسـات نظرية حذت حذو المنهج النظري لعمل فرجسـون، وقد حـاول مؤلفوها إيضـاح تعريف فرجسون أو مناقشـة خصـائصه التسع مع الأخذ بعين الاعتبار الفـروق الجليـة بين ازدواجيـة اللغـة وثنائيـة اللغـة، ومن الممكن تسـمـيـة هذه الأعـمـال بالأبحاث السائرة على منهج فرجسون التقليدي.

ثالثا – القسم الثالث والأخير من هذه الدراسات والمؤلفات هي تلك التي تبنت منهج فيشـمن وقد قبلت توسعـه في مفـهوم ازدواجية اللغـة، والذي سبق ذكره في الفصل الثاني. وقد حـاول اللغـويون في معظم هذه الدراسـات ترسيخ مفـاهيم فيشمن في أن ازدواجية اللغة وثنائية اللغة مـا همـا إلا مـصطلحان لنفس الظاهرة، وإن كان الاختـلاف هو فـيمـا يتم التطرق إليه من ناحية الفرد أو المجتمـع. كمـا حـاول هؤلاء أيضـا التـركيز

على أن الوظيفة التي يقوم بها الشكل اللغوي هي المحك الرئيسي والمهم الذي يجب أن ينظر إليه. وأخذت معظم هذه الدراسات المنهج الوصفي منهجا لها، ولم تقدم أي جديد للجانب النظري.

٢ – تحليل نظريتي فرجسون وفيشمن :

القسم الأول من الدراسات النظرية التي تلت بحث فرجسون والتي لم تخصص لمناقشة وضع لغوي في مجتمع ما، هي تلك الدراسات التي سلكت الطريق النظري الذي رسمه فرجسون. وهذا يتضح إما من خلال القالب العام الذي حاولت تلك البحوث المحافظة عليه وإما من خلال معارضتها لتوسع فيشمن في مفهوم ازدواجية اللغة. هذه المعارضة غالبا ما تأخذ شكل التساؤل حول الجديد الذي قدمه فيشمن في توسعه ، مع محاولة إرجاع مفهوم الظاهرة إلى أصلها. ومن هنا قد يبدو للقارئ من الوهلة الأولى أن مفهوم ازدواجية اللغة قد أصبح غائما أو غير محدد ولا يستند تعريفها إلى أسس جلية الملامح، بحيث أصبح باستطاعة أي باحث لغوي أن يطلق مسمى ازدواجية اللغة على الحالات التي يدرسها، دون تمييز بين درجات التقارب بين الأشكال اللغوية، وهذا التقارب قد يمتد من اللغات المنفصلة إلى الأساليب المتباينة في اللهجة الواحدة، ناهينا عن عدد الأشكال اللغوية التي تكوّن تلك الظاهرة. ولكن التمعن في التعريف الذي وضعه فرجسون لا يدع مجالا للشك في ماهية ازدواجية اللغة، كما أن هذا التعريف يميّز بين ازدواجية اللغة وبين المصطلحات المشابهة في مجال علم اللغة الاجتماعي بوجه خاص وبين ظواهر علم اللغة بوجه عام، مثل : ثنائية اللغة ، أو تعدد الأساليب أو اللهجات الخاصة أو أي مسمى آخر قد يتطرق إلى ذهن الباحث اللغوي. ومن هنا كانت العودة إلى تعريف فرجسون ودراسته دراسة مستفيضة أمرا حتميا حتى يتم التمكن من الوصول إلى نظرة موحدة لازدواجية اللغة.

ويعتبر عالم اللغة الاجتماعي هاديسون إدواردز (Hudson Edwards) - وهو أحد طلاب فيشمن في مرحلة الدراسات العليا بجامعة يشيفا في الولايات المتحدة الأمريكية - أحد المنادين بضرورة إعادة النظر فيما كتبه فيرجسون في هذا الصدد. فقد ذكر هاديسون إدواردز أن الوصول إلى نظرة موحدة لازدواجية اللغة يتطلب النظر إلى المميزات الزمنية والتزامنية (Diachronic and synchronic attributes).[1] ويقصد بالمميزات الزمانية أو التاريخية هنا ما نستطيع ملاحظته من تغيرات من منظور تاريخي، ويقضي التعامل معها الرجوع إلى الماضي ومعرفة ودراسة التطور التاريخي. أما المميزات التزامنية فإنها تتطلب النظر إلى التغيرات اللغوية في زمن محدد أو في إحدى مراحل التطور. وبمعنى آخر، فإن ما كان يسعى هاديسون إدواردز إلى إيضاحه هو أن هناك بعض المميزات الزمانية التي تتطلب دراسة تاريخية تستدعي العودة إلى الوراء ومتابعة تطورات هذه الخصائص عبر الزمن، وهذه المميزات أو الخصائص لا بد أن تنفرد بها ازدواجية اللغة عن باقي المصطلحات اللغوية الأخرى المشابهة لها. وبالإضافة إلى هذه الخصائص، هناك خصائص تزامنية تتطلب النظر إلى حقبة زمنية معينة، وهنا لا بد أيضا من التمييز بين ازدواجية اللغة وباقي المصطلحات اللغوية الأخرى.

أ - الخصائص التزامنية :

إن التشابه السطحي بين ازدواجية اللغة من جهة وباقي مصطلحات علم اللغة المشابهة من جهة أخرى ، لا يعتبر مدعاة أو باعثا لخلط المصطلحات اللغوية. فمثلا قد يبدو لبعض علماء اللغة أن التخصيص الوظيفي للغة أو اللهجة أو الأسلوب هو المحك الوحيد لإطلاق التسمية على الوضع اللغوي ، وهنا يتضح أنه ليس هناك أي اعتبار لماهية الأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة ما دام كل شكل لغوي يخدم وظيفة أو

[1] هاديسون ، ١٩٩١م .



وظائف مستقلة في المجتمع. وبالنظر إلى أعمال هاديسون إدواردز نجد وجوب التمييز بين ازدواجية اللغة والظواهر اللغوية الأخرى، وذلك بالاحتكام إلى عدد من المعايير الوصفية الزمانية. وهذه المعايير هي[1] :

(١) التركيب الاجتماعي لمجتمع ازدواجية اللغة. وهنا يمكننا القول إن مجتمع ازدواجية اللغة يحوي تركيبا اجتماعيا فريدا ، فهناك مثلا الطبقة المتعلمة التي تمكنت من الحصول على مستويات متباينة من التعليم، يقابلها طبقة عامة المجتمع ، والتي من الممكن وصف معظم أفرادها بالأميين غير القادرين على القراءة والكتابة. ويدعم هذا التركيب الاجتماعي الفريد لمجتمع ازدواجية اللغة وبشكل صريح وجهة نظر فرجسون في أن التعليم هو أحد أسباب اختفاء ظاهرة ازدواجية اللغة. فمتى ما شاع التعليم في المجتمع بحيث أصبح كل فرد قادرا على القراءة والكتابة، فإن هذا له أثره الحتمي في كون جميع أفراد المجتمع قادرين على التعامل مع الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى بشكل صحيح، مما قد يقود إلى الاستغناء عن الشكل اللغوي الأدنى، مع استعمال الشكل اللغوي الأعلى في جميع الوظائف الاجتماعية. أما الاحتمال الآخر فإنه يتمثل في هجر الشكل اللغوي الأعلى والاكتفاء بالشكل اللغوي الأدنى، والذي يستخدم في جميع المواضع. أما الاحتمال الثالث والأخير لتجانس المجتمع تعليميا فهو ظهور مزيج لغوي من الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، يتم استخدامه في جميع الوظائف مع هجر استخدام الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، وهذا الاحتمال ينطبق على وضع اللغة العربية الحديثة التي تعتبر الشكل اللغوي المستخدم في وسائل الإعلام المختلفة، والتي أيضا ستكون اللهجة الأولى لأفراد المجتمع حال شيوع التعليم.

[1] هاديسون ، ١٩٩١م ، ص ١

(٢) نوع الأشكال اللغوية الموجودة في مجتمع ازدواجية اللغة. وهنا نعود مرة أخرى إلى النقاش حول ماهية اللغة واللهجة والأسلوب، وما إذا كان بالإمكان استخدام أحدها كمرادف للآخر.

(٣) توزع الأشكال اللغوية في المجتمع من حيث المعرفة والاستخدام عبر الشبكات أو القنوات الاجتماعية المختلفة في المجتمع ، ونستطيع بواسطة هذا المعيار الزمني نستطيع التمييز بين مجتمعات ازدواجية اللغة والمجتمعات الأخرى ذات ثنائية اللغة. فمثلا في حالة اللغة العربية نجد الفرد العادي – برغم عدم إلمامه بالشكل اللغوي الأعلى – دائما ما يحاول استخدام شكل لغوي بعيد نوعا ما عن اللهجة العامية التي يتحدثها في حالة شعوره برسمية الموقف. ولهذا الاختيار دوافعه الكامنة مثل الإحساس بأن الشكل اللغوي الأدنى قد لا يكون الاختيار المناسب لذلك الموقف، بالإضافة إلى كون الشكل اللغوي الأعلى معروفا ولو بشكل نسبي لذلك الفرد. وهذا يمكن إرجاعه إلى أن التباعد أو الاختلاف بين لهجات اللغة الواحدة لا يصل في أي حال من الأحوال إلى المستوى الذي يصل إليه التقارب بين اللغات المختلفة. وبمعنى أخر، فإن لهجات اللغة الواحدة مهما تباينت تبقى مفهومة لأفراد المجتمعات صاحبة تلك اللغة، ولا ينطبق هذا الوصف على مجتمعات اللغات المختلفة مهما كانت درجة التقارب أو التشابه بين اللغات المختلفة. وهذا يقودنا إلى العودة والنظر إلى إحدى الحالات الدراسية التي استخدمها فيشمن ، فقد استخدم فيشمن الوضع اللغوي في براغوي والذي تمثل اللغة الإسبانية فيه الشكل اللغوي الأعلى ، بينما اعتبر لغة قوراني شكلا لغويا أدنى، ووصفه بأنه مجتمع ذو ازدواجية لغوية. وهنا نتساءل عن مدى معرفة

الأفراد للغة الإسبانية ، فاللغة الإسبانية في براغوي لا يتم تعلمها إلا بإحدى طريقتين : أولاهما – اكتسابها بالطرق الطبيعية من خلال كون الطفل لأسرة تتحدث الإسبانية كلغة أولى ، وثانيهما – اكتساب اللغة الإسبانية عن طريق التعليم الرسمي والذي نادرا مايحظى به الطفل الذي ولد لأسرة تتحدث لغة قوارني. ومن هنا نرى عدم التساوي في أي من المعرفة أو الاستخدام بين الأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة.

(٤) توزع الأشكال اللغوية عبر المواضع المختلفة للاحتكاك الاجتماعي.

(٥) الأهمية النسبية للتدرج الوظيفي للغة مقابل التدرج الاجتماعي للأشكال اللغوية المختلفة ، فالمحك هنا هو كون أحد الأشكال اللغوية مستخدما لوظائف يرى المجتمع ككل حتمية استخدام أحد الأشكال اللغوية دون الآخر، وهذا يقابله كون الاستخدام اللغوي رمزا أو دلالة على التدرج الاجتماعي. فقد كان استخدام أحد أشكال اللغة الفرنسية (فرنسية نورمندي) في الجزر البريطانية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي وبداية القرن الثاني عشر، دلالة على الرقي الاجتماعي أو النبل الذي تحاول الطبقة الاجتماعية العليا إبرازه، والذي يعكس إلمام تلك الطبقة بلغة أخرى. وهذا الاستخدام بلا شك سببه للتدرج الاجتماعي وليس لكون الموقف قد حتم استخدام شكل لغوي معين.

(٦) نوعية الموقف الشامل لأفراد المجتمع تجاه اللغة والذي يكون مؤيدا مشتقا من التقسيم الاجتماعي والوظيفي للأشكال اللغوية في المجتمع.

ب – الخصائص الزمانية أو التاريخية :

إن النظر إلى هذه الخصائص أو المعايير يحتم الرجوع إلى الوراء، أي إلى عصر ما قبل ازدواجية اللغة، ومعرفة بعض التطورات التاريخية. وهذه المعايير الزمانية أو التاريخية هي كالتالي[1] :

(١) الظروف الاجتماعية واللغوية التي سبقت ظهور ازدواجية اللغة وكانت سببا في نشأتها. وهذا يتفق مع ما ذكر سابقا من أن ظهور ازدواجية اللغة في مجتمع ما لا يمكن حدوثه فجاءة، بل على العكس من ذلك لا بد من مرور ما لا يقل عن ثلاثة أجيال حتى يمكن لازدواجية اللغة أن تظهر. وهذا التأخر في الظهور لا بد أن يصاحبه انتشار الأمية، وذلك بقصر التعليم على فئة معينة. وعلى النقيض من هذا، يمكن لثنائية اللغة أن تظهر في مجتمع ما في مدة زمنية قليلة قد لا تتعدى الجيل الواحد، وأحد الطرق التي تتسبب في ظهورها هي طريقة الإلحاق أو الضم (Annexation) كما حدث في منتصف هذا القرن – العشرين الميلادي – عندما قام ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي سابقا بضم دول البلطيق (استونيا وليثونيا ولاتفيا) إلى الاتحاد وجعل اللغة هي الروسية اللغة الرسمية في تلك المجتمعات مع بقاء اللغات الأصلية لتلك الدول كلغات قومية هدفها الأساسي الاتصال بين أفراد تلك المجتمعات.

(٢) طريقة تقدم أو تطور ازدواجية اللغة في عصور ازدهارها.

(٣) الظروف الاجتماعية أو اللغوية التي أدت إلى موت أو نهاية ازدواجية اللغة ، فإذا أراد مجتمع ما التخلص من ازدواجية اللغة وإحلال أي شكل

---

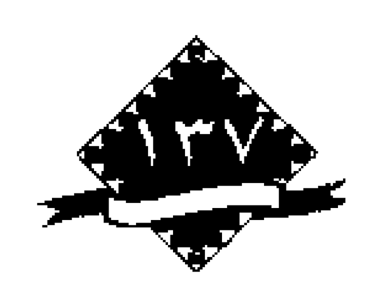
[1] هاديسون، ١٩٩١م، ص٢.



لغوي ليصبح الشكل المستخدم في جميع الوظائف الاجتماعية، فإن هذا التخلص لا يمكن تحقيقه في فترة زمنية قصيرة، بل إنه يتطلب أن يمر المجتمع بمراحل تطورية تساعد بالتالي في إحلال شكل لغوي واحد، وهذا يتطلب أيضا شيوع التعليم بين أفراد المجتمع، واستخدام ذلك الشكل اللغوي المنشود من قبل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة بشكل مكثف. وعلى العكس من هذا الوضع يمكن إنهاء ثنائية اللغة في فترة وجيزة ، فقد يرغب أفراد المجتمع في إحياء لغة ما، وعادة ما تكون لغة معظم أفراد المجتمع والتي ليست بالضرورة لغة الطبقة الدنيا من المجتمع. وهذا الإحياء يتم عن طريق فرض هذه اللغة كلغة رسمية أو كلغة وحيدة مستخدمة في نظم التعليم الحكومي المختلفة. والمثال الذي يمكن استخدامه لبيان هذا هو ما تم في نيجيريا، عندما تم الاستغناء عن اللغة الإنجليزية كلغة وحيدة مستخدمة في التعليم في كليات المعلمين وإحلال اللغة السواحلية مكانها.

(٤) أنواع الأوضاع الاجتماعية واللغوية التي قد تظهر كنتيجة لانتهاء مرحلة ازدواجية اللغة ، ومن أشكال الأوضاع الاجتماعية هذه انقراض أو انتهاء الأمية في المجتمع. كما أن استخدام أحد الأشكال اللغوية العليا أو الدنيا أو ظهور شكل ثالث خليط مبني على الأشكال اللغوية المستخدمة سابقا ، يعتبر وضعا لغويا جاء ظهوره نتيجة لانتهاء مرحلة ازدواجية اللغة.

وبسبب عدم الوصول إلى منظور محدد، فإن معظم الدراسات التي ناقشت وما زالت تناقش ازدواجية اللغة كظاهرة لغوية اجتماعية، لم تصل إلى أسباب محددة ومتفق عليها من قبل جميع اللغويين حول نشأة ازدواجية اللغة ولا حتى حول شكل



نمط تطورها أو النتائج المترتبة على ذلك التطور أو الظهور. وكنتيجة لهذا، سنصبح عاجزين عن معرفة أو قياس أو ملاحظة تأثير ازدواجية اللغة في المجتمع. وهذا التشتت وعدم المقدرة على الإتيان بجديد من شأنه تأخير أو حتى وقف التقدم في الطريق نحو الوصول إلى حقائق إضافية ، حول موضوع ازدواجية اللغة وعلاقتها بالمجتمع.

وإذا كان هذا حال اللغويين من حيث عدم اتفاقهم على خصائص أو أسباب نشأة ازدواجية اللغة، فإن وضع علماء اللغة العرب لا يبدو أحسن من ذلك ، فعلى سبيل المثال : تم استخدام عبارة "ازدواجية اللغة" كترجمة لكلمة (Diglossia)، بينما استخدمت عبارة "ثنائية اللغة" كي تقابل المصطلح الإنجليزي (Bilingualism)، اتباعا لما يراه بعض اللغويين العرب. ولكن إميل يعقوب يعتقد أن ما :

يقصد بازدواجية اللغة "Le Bilinguisme" وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد. ومن دون الدخول في المعايير التي بوساطتها نستطيع أن نوكّد أو ننفي وجود الازدواجية بين لغتين معينتين، فإن بعض الباحثين يفضلون استعمال مصطلح "الازدواجية" الذي يستعمله كثير من اللغويين، للدلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية. ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرعي، لا جذري. وعليه، فالازدواجية الحق لا تكون إلاّ بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية. أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية، والأخرى عربية فصيحة، فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من "الثنائية اللغوية" Diglossie.[١]

و لقد كان لعدم وصول اللغويين العرب إلى تسمية موحدة للظواهر أو المصطلحات اللغوية تأثير سلبي يفوق التأثير السلبي الذي يجده علماء اللغة الغربيون عند الكتابة حول هذه الظواهر أو استخدام المصطلحات اللغوية لإيضاح ما كانو يقصدونه. وبوجه عام فإن ما كان يُطمح لتحقيقه من خلال دراسة ظاهرة ازدواجية اللغة دراسة مستفيضة، وذلك بالرجوع إلى إطار نظري محدد، لم يتحقق في الوقت الراهن إما

[١] اميل يعقوب ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٥-١٤٦ .



لعدم الاتفاق حول مسمى المصطلح، كما هو حال اللغويين العرب، أو حول مكونات ازدواجية اللغة وماهية أشكالها اللغوية وخصائصها، كما هو حال علماء اللغة الغربيين. وهذا ما دعى هاديسون إلى القول بأنه ليس من الأهمية اعتبار أشكال ازدواجية اللغة لغات أو لهجات أو أساليب ذات استخدام وظيفي مختلف في المجتمع، ولكن المهم هو الوصول إلى تحديد لهذه الازدواجية اللغوية ودراستها من خلال إطار لغوي محدد. وليس هناك دليل أكبر على خيبة أمل هاديسون من قوله بأن ما دعا فرجسون له عام ١٩٥٩م من دراسة الظروف الاجتماعية المحيطة بظهور ازدواجية اللغة وأشكال الأوضاع اللغوية التابعة لاندثارها، ودراسة ازدواجية اللغة عبر أزمنة وأماكن مختلفة، هو نفس ما دعا له فيشمن عام ١٩٨٩م بقوله: "يجب أن يكون هناك بحث مشترك في أسباب نشوء ازدواجية اللغة وكيفية نشوئها، والنتائج المترتبة على ذلك النشوء، بالإضافة إلى العوامل التي تقوّي أو تضعف تلك الظاهرة"[١]. ومجمل القول إنه بعد ثلاثين عاما من البحث والدراسات والتي كانت محصلتها عشرات الكتب ومئات المقالات باللغات المختلفة، ما زال علماء اللغة يسألون نفس الأسئلة التي تم طرحت قبل ثلاثين عاما، دون إضافة أي جديد لهذا الموضوع.

ولقد حاول بريتو (Britto) إيضاح أن التوسع في مفهوم ازدواجية اللغة الذي أتى به فيشمن لم يمس فقط التركيب اللغوي للأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة، ولكنه تعداه أيضا ليشمل الوظائف التي تخدمها تلك الأشكال[٢]. فمن ناحية تقارب التراكيب اللغوية (Structural relatedness) للأشكال اللغوية، يرى بريتو أن فيشمن قد حاد كثيرا عن الطريق الذي رسمه فرجسون لازدواجية اللغة، بحيث أمكن إطلاق هذا المصطلح على أي مجتمع دون تمييز، مما أفقد هذا المصطلح كثيرا من معناه. وحقيقة الأمر أن هذا الانتقاد لعمل فيشمن من ناحية التوسع في ماهية الأشكال اللغوية يعتبر

[١] فيشمن ، ١٩٨٩م ، ص ١٩٦ .

[٢] بريتو ، ١٩٨٦م .

أحد الأمور التي كثيرا ما هاجمها علماء اللغة، وذلك ببيان النتائج السلبية المترتبة على مثل هذا التوسع.

وإذا كان انتقاد عمل فيشمن من ناحية ماهية الأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة قد ذكر مرارا، فإن انتقاد عمل فيشمن فيما يخص خاصية الوظيفة لم يحلل بشكل واضح ووافٍ إلا في عمل بريتو. فقبل كتابات بريتو كان الاعتقاد السائد لدى الباحثين اللغويين هو أن فيشمن لم يتوسع في مفهوم الوظيفة، وإنما أبقى على هذه الخاصية كما وردت في مقال فرجسون لعام ١٩٥٩م. ولكن بريتو أشار إلى نقطة لا يجب إغفالها، وهي أن ازدواجية اللغة في مفهوم فرجسون لم تعتبر جميع أشكال التكامل الوظيفي من أشكال الازدواجية اللغوية. بل على العكس من هذا فقد اكتفى بنوع واحد من التكامل الوظيفي الذي يكون فيه الشكل اللغوي الأعلى قد اكتسب بواسطة جميع أفراد المجتمع في فترة لاحقة لاكتساب الشكل اللغوي الأدنى، وكذلك الذي لا يتم فيه استخدام الشكل اللغوي الأعلى لأغراض التحدث اليومي من قبل أي فرد من أفراد المجتمع. ولكن توسع فيشمن في مفهوم ازدواجية اللغة لم يأخذ هذا في الاعتبار، ولكنه سمح باعتبار أي نوع من أنواع التكامل الوظيفي كشكل من أشكال ازدواجية اللغة. وبمعنى آخر فإن ما يراه فيشمن من ناحية الوظيفة للأشكال اللغوية هو إمكانية اعتبار هذه الأشكال ممثلة لازدواجية اللغة ، ما دام هناك تباين في مواضع استخدام هذه الأشكال، دون النظر إلى الأمور الأخرى المتعلقة في هذا الاستخدام.

ومن أهم الأمور الواجب النظر إليها فيما يخص التكامل الوظيفي هو الدافع وراء هذا التمييز بين استخدام شكل لغوي دون الآخر. وعندما يؤخذ في الاعتبار الدوافع أو البواعث وراء قيام شكل لغوي معين بوظيفة ما، أمكن تقسيم الأشكال اللغوية بما في ذلك الأساليب واللهجات واللغات المختلفة إلى قسمين، هما [1] :

---

[1] بريتو ، ١٩٨٦م ، ص ٣٥.

أولا: هناك الأشكال اللغوية المحددة بواسطة خصائص للاستخدام ، وتسمى الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة الاستخدام (Use-Oriented code).

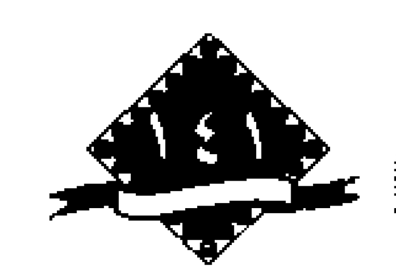
ثانيا: الأشكال اللغوية المستخدمة نتيجة لوجود بواعث داخلية متعلقة بمستخدم اللغة ، وتسمى الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم (User-Oriented code).

وحتى يتضح الفرق بين هذين القسمين لا بد هنا من إيراد أمثلة لهذا التقسيم ، فمثلا وعلى مستوى اللغة الواحدة، تعتبر الأساليب واللهجات الخاصة من أمثلة الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة الاستخدام. ومن خصائص هذا القسم ما يلي [1] :

(١) عادة مايتقن جميع أفراد المجتمع شكلين لغوين أو أكثر .
(٢) يتم استخدام أحد الأشكال اللغوية دون الآخر نتيجة للحيز أو الموقف الذي يمر به المستخدم للغة.
(٣) استخدام الأشكال اللغوية طبقا لبواعث الاستخدام لا تبين للمستمع الكثير من خصائص مستخدم اللغة. فمثلا لا يستطيع المستمع معرفة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المستخدم، كما أنها لا تعطي أي مؤشر أو دلالة للمكان الذي أتى منه المستخدم. أي أن الموقف هو الذي يفرض استخدام أحد الأشكال اللغوية، وبالتالي تكون وظيفة ذلك الشكل متعلقة بالحيز الذي يجد المستخدم فيه نفسه.

---

[1] بريتو ، ١٩٨٦م ، ص ٣٥ .



أما أمثلة الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم والتي تكون جزء من نفس اللغة ، فهي لهجات المناطق المختلفة ولهجات الطبقات المختلفة. ومن خصائص هذا القسم ما يلي [١] :

(١) يلم كل فرد من أفراد المجتمع بشكل لغوي واحد فقط من الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم، علما بأن الإلمام بأكثر من شكل لغوي واحد ممكن الحدوث كنتيجة لتغيير المسكن أو منطقة السكن أو الطبقة الاجتماعية التي يعتبر ذلك الفرد أحد أعضائها. وبالإضافة إلى هذا ، فمن الممكن اعتبار التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي يمر به ذلك الفرد أو اتصاله بأفراد طبقات أو مجتمعات أخرى من الأسباب التي تقود إلى إلمام الفرد بأكثر من شكل لغوي.

(٢) استخدام الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم تكشف للمستمع بعض صفات المتحدث مثل المنطقة أو المكان الذي حضر منه، كما أنها تبين الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ذلك المتحدث.

ولكن ما هي الفائدة المرجوة من خلال هذا التقسيم في الدوافع أو البواعث والتي بالتالي تؤثر بشكل مباشر في نوعية وماهية الشكل اللغوي المستخدم؟ وبمعنى آخر، ما هي الفائدة المرجوة من تقسيم الوظيفة التي يؤديها الشكل اللغوي الواحد؟ والإجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن في أن مثل هذا التقسيم في التكامل الوظيفي يشرح لنا وبطريقة عملية عدم اعتبار فرجسون للهجة المعيارية أو القياسية واللهجات الأخرى المرتبطة بها شاهدا على ازدواجية اللغة. ففي مثل هذه الحالة، يكون الشكل اللغوي

[١] بريتو ، ١٩٨٦م ، ص ٣٦ .

الأعلى هو الشكل الأم للطبقة العليا من المجتمع والتي لا يتم اكتسابها في مراحل لاحقة، كما أن الشكل اللغوي الأدنى يكتسب من قبل الطبقات الدنيا كشكل أم. وبمعنى آخر، فإن اللهجة المعيارية أو القياسية هي اللهجة المتحدثة من قبل أفراد المجتمع ذي المقام العالي ، بينما يستخدم بقية أفراد المجتمع الشكل اللغوي الأدنى (اللهجات المختلفة) والتي تكتسب بصورة طبيعية لجميع الأغراض التي تؤديها اللغة. ومن هنا يتضح لنا أن استخدام الأشكال اللغوية إنما يكون مدفوعا بواسطة المستخدم في حالة الأفراد الذين يتحدثون الشكل اللغوي الأعلى كلغة أم، كما أنه يكون أيضا مدفوعا بواسطة المستخدم في حالة أفراد الطبقات الدنيا، ما لم يلم هؤلاء الأفراد بالشكل اللغوي الأعلى. وفي حالة إلمامهم بالشكل اللغوي الأعلى وتوفر عناصر التكامل الوظيفي، فإن هذا الاستخدام الوظيفي يكون مدفوعا بواسطة الاستخدام. وبالإضافة إلى ما سبق، فإن ذكر فرجسون لخاصية الاكتساب – حيث يتم اكتساب الشكل اللغوي الأعلى عن طرق وقنوات التعليم الرسمي والذي عادة ما يتم بعد اكتساب الشكل اللغوي الأدنى – وكذلك كون الشكل اللغوي الأعلى لا يستخدم من قبل أي فرد من أفراد المجتمع لأغراض التحدث اليومي ، يحددان التكامل الوظيفي بين الأشكال اللغوية بتلك المدفوعة بواسطة الاستخدام، ويبعدان جميع الحالات التي يكون فيها الاستخدام مدفوعا بواسطة المستخدم.

وهذا التقسيم يشرح لنا أيضا خاصيتين من خصائص ازدواجية اللغة التي ذكرها فرجسون. فالشكل اللغوي الأعلى، في حالة الأشكال المدفوعة من قبل المستخدم، هو لغات أو لهجات أو أساليب للطبقة العليا من المجتمع. وبحكم الأماكن التي يشغلها هؤلاء الصفوة فإن شكلهم اللغوي عادة ما يكون أكثر تقنينا وأثرى من الناحية الأدبية. فعلى سبيل المثال، يحظى الشكل اللغوي الأعلى – الشكل الأم – لهذه الطبقة بالعناية، ومن هنا فإن كتابة المراجع النحوية أو اللغوية بشكل عام لا يعتبر أمرا غريبا ، وتقنين هذا الشكل يخدم تلك الطبقة في حالة التوارث اللغوي. ومثل هذا التقنين يثري الأدب



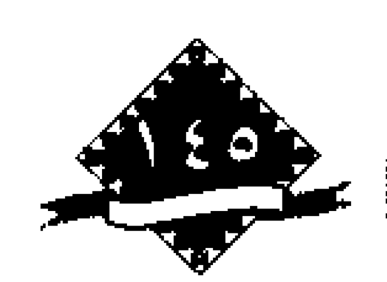
المكتوب بتلك اللهجة بسبب وجود ضوابط ومعايير يتم الرجوع إليها كلما دعت الحاجة لذلك. أما في حالة الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة الاستخدام، فإن الشكل اللغوي الأعلى هو شكل لغوي أو لهجة قد تم تقنينه لأغراض التعليم، وهذا التقنين ينعكس بشكل مباشر على حجم التراث الأدبي المكتوب بذلك الشكل بسبب الأعداد الكبيرة من المجتمع التي تجيد ذلك الشكل اللغوي الأعلى.

وحتى نستطيع التمييز بين الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة الاستخدام أو المستخدم بشكل أكثر وضوحا. أورد بريتو مثالين لما قد يعتبر بازدواجية اللغة، مع إيضاح الفروق بين هذين الوضعين [١].

---

[١] بريتو، ١٩٨٦م، ص ٣٧-٣٩.

ازدواجية اللغة (الأشكال المدفوعة بواسطة الاستخدام)	ازدواجية اللغة (الأشكال المدفوعة بواسطة المستخدم)
١- لا يوجد هناك تحول أو تغيير من الشكل اللغوي الأعلى إلى الشكل اللغوي الأدنى وبالعكس في أثناء المحادثة كسبب لوجود فوارق طبقية بين المتحدثين.	١- هناك الكثير من التحول أو التبديل من الشكل اللغوي الأدنى وبالعكس كنتيجة لوجود اختلافات طبقية بين المتحدثين.
٢- تخصيص الشكل اللغوي الأعلى للوظائف العليا أو الرسمية والشكل اللغوي الأدنى للوظائف الدنيا وغير الرسمية ، عادة ما يكون عرفا متفقاً اعليه ومعترفا به من قبل جميع أفراد المجتمع. وبمعنى آخر فإن هناك اتفاقا بين أفراد المجتمع حول الوظيفة التي يخدمها أحد الأشكال اللغوية.	٢- لا يوجد هناك اتفاق تام بين جميع أفراد المجتمع حول ماهية الوظائف التي يخدمها الشكل اللغوي الأعلى وتلك التي يخدمها الشكل اللغوي الأدنى. وهنا فمن الممكن أن يستخدم أفراد الطبقات العليا الشكل اللغوي الأعلى للوظائف الرسمية وغير الرسمية، كما أنه من الممكن استخدامهم للشكل اللغوي الأعلى لأغراض التحدث، بينما يستخدم أفراد الطبقات الدنيا الشكل اللغوي الأعلى للوظائف الرسمية والشكل اللغوي الأدنى للأغراض غير الرسيمة. ومن الطبيعي فإن أفراد هذه الطبقة يستخدم الشكل اللغوي الأدنى لأغراض التحدث والتعامل مع شؤون الحياة اليومية.
٣- الكيفية التي يتم من خلالها اكتساب الأشكال اللغوية العليا والدنيا موحدة ومتشابهة لجميع أفراد المجتمع بغض النظر عن الخصائص الشخصية للمستخدم كمستوى الغنى والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد.	٣- لا يتم اكتساب الأشكال اللغوية العليا والدنيا بطريقة واحدة لأفراد المجتمع. فأفراد الطبقات العليا يكتسبون الشكل اللغوي الأعلى بطرق طبيعية في مرحلة الطفولة، بينما يكتسب أفراد الطبقات الدنيا الشكل اللغوي الأعلى في مراحل متأخرة وعن طرق التعليم الرسمي.



٤- حيث إن اكتساب الشكل اللغوي الأعلى يتم بطرق التعليم، ومن هنا فإننا نتوقع وجود ترابط بين ما قد حصل عليه الفرد من التعليم ودرجة إتقانه للشكل اللغوي الأعلى.	٤- بما أن اكتساب الشكل اللغوي الأعلى لا يتم بواسطة التعليم الرسمي لجميع أفراد المجتمع، فإننا نجد أن هناك ترابطا بين إتقان الشكل اللغوي الأعلى والطبقة الاجتماعية التي ينتمي الفرد ، بما في ذلك مقدار غنى هؤلاء الأفراد المكون للطبقة الاجتماعية العليا.
٥- عادة ما ينظر إلى الشكل اللغوي الأعلى بكثير من الاحترام من قبل جميع أفراد المجتمع ليكون ذلك الشكل جزءا من التراث الثقافي واللغوي للمجتمع ، ولا ينظر له على أنه عائق أوجد بواسطة أفراد قد يكونون من خارج ذلك المجتمع.	٥- قد لا تحظى اللهجة أو اللغة المكونة للشكل اللغوي الأعلى بذلك القدر من الاحترام ، وخاصة عندما يكون أفراد الطبقات العليا غزاة من مناطق أو أجناس أو حتى ديانات مختلفة. بل على العكس من هذا فإن احتمال كراهية أفراد الطبقات الدنيا للشكل اللغوي الأعلى واردة. وهذا قد ينعكس على محافظة أفراد الطبقات العليا على الشكل اللغوي الأعلى ومحاولة دفعه قدما على حساب الشكل اللغوي الأدنى.
٦- ترتبط القوى الدافعة للمحافظة على الشكل اللغوي الأعلى بأسباب ذات علاقة بجميع أفراد المجتمع دون النظر إلى الطبقات المختلفة. من هذه الأسباب كون الشكل اللغوي الأعلى جزءا من ثقافة ذلك المجتمع أو اتصالها بشكل مباشر بالجذور التاريخية للمجتمع. ومن هنا فإن الشكل اللغوي الأعلى عادة ما يرى على أنه أداة قادرة على التعبير عن الأفكار الجادة.	٦- القوى الدافعة للمحافظة على الشكل اللغوي الأعلى عادة ما تكون مرتبطة بأسباب اقتصادية وسياسية ودينية واجتماعية مدفوعة من قبل أفراد الطبقات العليا من المجتمع، والذين عادة ما يحافظون على الشكل اللغوي الأعلى لأسباب المنفعة الشخصية.
٧- الشكل اللغوي الأعلى في هذه الحالة لا يمكن أن يكون مدفوعا بواسطة المستخدم.	٧- في هذه الحالة يكون كل من الشكل اللغوي الأعلى والشكل الأدنى مدفوعا من قبل المستخدم.

وباسترجاع ما سلف ذكره في الفصل الثاني حول توسع فيشمن في مفهوم ازدواجية اللغة واستخدامه للوضع اللغوي في براغوي بحيث شكلت اللغة الإسبانية الشكل اللغوي الأعلى، بينما اعتبرت لغة قوارني وهي لغة من لغات الهنود الأمريكيين شكلا لغويا أدنى، وبمقارنة وصفه لازدواجية اللغة في ذلك المجتمع بالأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم – نجد أن هناك العديد من الصفات والخصائص المشتركة بين هذين الوضعين. فمثلا يجد المتحدث في ذلك المجتمع نفسه مجبرا على القول والتبديل بين اللغة الإسبانية ولغة قوارني كنتيجة للاختلاف بين المتحدث والمستمع. وبمعنى آخر، نجد أن لغة قوارني هي الشكل المستخدم إذا كان الحديث يدور بين فردين أو أكثر من أفراد المجتمع الأصليين، ولكنه سرعان ما يتم التحول إلى اللغة الإسبانية متى ما حضر فرد ثالث يحظى بمنزلة اجتماعية أعلى بسبب وضعه المالي أو الثقافي. بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأفراد الذين يتحدثون اللغة الإسبانية كلغة أم يستخدمون تلك اللغة في جميع شؤون حياتهم سواء الرسمية أو غير الرسمية. وعلى العكس من هذا نجد أن متحدثي لغة قوارني الأصليين يستخدمون لغتهم للوظائف الدنيا، بينما تستخدم اللغة الإسبانية للوظائف الرسمية كالتعليم وما شابهه. ومن هذا المنطلق لا يبدو أن هناك اتفاقا بين جميع الأفراد في ذلك المجتمع حول الأغراض التي تؤديها أي لغة من اللغتين.

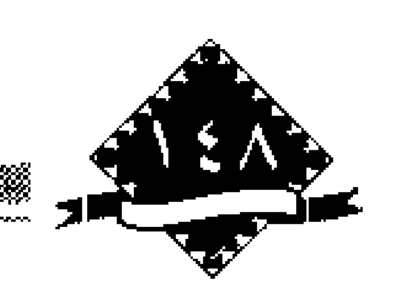
ومن مناقشة الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم ، نجد أيضا أن الوضع في براغوي يطابق تماما ذلك الوصف. فاكتساب اللغة الإسبانية ولغة قوارني لا يتم تبعا لنفس الأسلوب. فاللغة الإسبانية يتم اكتسابها بطريقة طبيعية إذا ولد الطفل لأبوين يتحدثان اللغة الإسبانية كلغة أم ، أما اكتساب هؤلاء الأطفال للغة قوارني فإنه قد لا يحدث إطلاقا. وعلى العكس من هذا، نجد أن أطفال الهنود الأمريكيين يكتسبون لغة قوارني في المنزل كلغة أم ولكنهم يتعلمون اللغة الإسبانية عن طرق التعليم الرسمية

كالمدارس الابتدائية، وتصبح تلك اللغة - أي اللغة الإسبانية - هي اللغة المستخدمة كلغة تعليم في المراحل اللاحقة للمرحلة الابتدائية. وبما أن التعليم الرسمي في براغوي والذي يستخدم اللغة الإسبانية كلغة تعليم وحيدة ، قد لا يستطيع جميع الأطفال الحصول عليه ، نجد أن هناك ارتباطا وثيقا بين درجة إتقان اللغة الإسبانية والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل. فالأطفال الذين ينحدرون من عائلات غنية يكون إتقانهم للغة الإسبانية متوقعا، والعكس صحيح. ولكننا هنا لا نستبعد وجود ترابط بين إتقان الشكل اللغوي الأعلى ومقدار التعليم الذي حصل عليه الفرد. كما أن احترام اللغة الإسبانية في براغوي عادة ما يأخذ شكل شعور الفرد غير المتعلم بالحسرة نظرا لعدم معرفته بتلك اللغة، وإن كانت لغة قوارني لاتحظى إلا باحترام لأفراد الذين ينحدرون من أصول الهنود الأمريكيين.

والقوى الدافعة للمحافظة على اللغة الإسبانية إنما تنشأ لأسباب اقتصادية، والدليل على ذلك احتكار الأفراد الذين يتحدثون اللغة الإسبانية لمعظم الحرف والمهن التي تدر ربحا كبيرا. أما الأفراد الذين يتحدثون لغة قوارني فإنهم عادة ما يمتهنون الزراعة أو الصيد كمصدر رزق وحيد.

وتلعب الأسباب السياسية أيضا دورا مهما في المحافظة على اللغة الإسبانية من خلال سيطرة الأقلية - التي تتحدث اللغة الإسبانية، والتي لا يتجاوز تتعدادها ٣٪ فقط من عدد سكان برغواي الكلي - على السلطة. ومن هنا لا يكون غريبا المحافظة على اللغة الإسبانية ودفعها إلى الأمام رغم قلة عدد الأفراد الذين يتحدثونها كلغة أم. ومن هذا التحليل السريع نجد أن التوسع في مفهوم أزدواجية اللغة والذي قام به فيشمن لم يمس فقط النواحي التركيبية اللغوية، ولكنه تعداها لأمور أخرى كالتكامل الوظيفي والاكتساب.

وإضافة إلى ذلك فقد قام فيشمن أيضا بإضافة وضع لغوي آخر ونسبه إلى ازدواجية اللغة كأحد أشكالها وأسماه ازدواجية اللغة بدون ثنائية اللغة (Diglossia



without Bilingualism). ومن أمـثلة هذا النوع أن يعـيش مـجـتـمـعـان أو طبـقـتـان اجتماعيتان داخل حدود الدولة الواحدة أو المجتمع الواحد لكل منهما لغته الخاصة به. وفي حـالة المجتمـع الواحد، فـإن الطبقـة العليا تسـتخـدم شكلا لغـويا يسـمى بالشكل اللغـوي الأعلى لجـمـيـع شـؤون الاتصـال بما في ذلك أغـراض التـحـدث اليـومي، بينمـا تسـتـخـدم الطبـقـة الدنيـا الشكل اللغـوي الأدنى لجـمـيع شـؤون حـيـاتهم بما في ذلك الأغراض الرسمية وغير الرسمية. وفي وضـع كهذا فإن الطبقتين تشكلان مجتمعين مختلفين داخل حدود المجتمع الواحد. وفي الغالب فإن كلتا الطبقتين لا تتعلم لغة الطبقة الأخـرى. ومن هنا فـلا نجد تعلمـا مـتـأخـرا لإحـدى اللغـتين والذي لا بد من حـدوثه من خلال قنوات التعليم الرسمي. وعلى ما يبدو فإن فيشمن قد أطلق مسمى ازدواجية اللغة على هـذا الوضـع لوجـود لغـتين داخل المجـتـمـع أو الدولة الواحـدة ، دون أن يكون هناك أعراف مشتركة في الوظيفة أو الاكتسـاب. ولقد أطلق بريتو مسـمى ازدواجيـة اللغة الزائفـــة (Pseudo Diglossia) على هـذا الـوضـع ، والذي من الممـكـن رسـم شكل توضيحي له كالتالي:

الطبقة العليا المستخدمة للشكل اللغوي الأعلى	الطبقة الدنيا المستخدمة للشكل اللغوي الأدنى

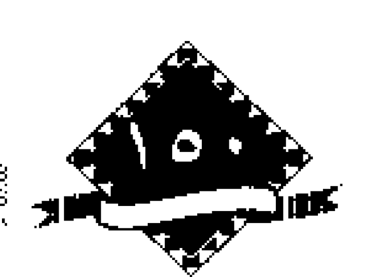
وبالعـودة مـرة أخـرى لشكل الترابط المثـالي بين الأشكال اللغـوية المكونة لازدواجـيـة اللغة، نجد أن الترابط المثالي لا بد أن يتم بين لهجتين من لهجات اللغة الواحدة، وإن لم يكن هناك سبب لعدم النظر إلى الأوضـا ع اللغوية التي تشـتمل على أكثر من لهجتين من لهجات اللغة الواحدة. وباسترجا ع ما قد أضـافه فيشـمن نجد أيضـا أن هناك مسـتوى دون المثالي ، يرتبط فيه أسلوبان أو أكثر من أساليب اللهجة الواحدة بعلاقة تشبه إلى

حد كبير ظاهرة ازدواجية اللغة. كما أن هناك وضعا من الممكن اعتباره في مستوى فوق المستوى المثالي وهو الذي يرتبط فيه لغتان أو أكثر ارتباطا يشبه تلك الظاهرة اللغوية كما في الشكل التالي:

أسلوبان (أو أكثر) دون المستوى المثالي	لهجتان (أو أكثر) في المستوى المثالي	لغتان (أو أكثر) دون المستوى المثالي

أنواع الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة

وبإضافة الأنواع المختلفة للأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة إلى التكامل الوظيفي، نجد أن بريتو قد أوضح أن محصلة هذه الإضافة وجود تسعة أوضاع مختلفة يعتبرها فيشمن أن جميعها تعتبر أشكالا من أشكال ازدواجية اللغة.

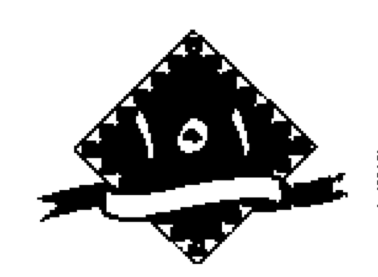


أنواع الأشكال اللغوية

أنواع التراكيب	ما دون المستوى المثالي	في المستوى المثالي	ما فوق المستوى المثالي
ازدواجية لغة زائفة	١	٢	٣
أشكال لغوية مدفوعة بواسطة المستخدم	٤	٥	٦
أشكال لغوية مدفوعة بواسطة الاستخدام	٧	٨	٩

المصدر: بريتو ، ١٩٨٦م، ص٤٧ .

وبالاستعانة بالجدول السابق نجد أن فرجسون قد اعتبر الشكل الثامن فقط، وهي الأشكال اللغوية المدفوعة بواسطة المستخدم والتي تكون في المستوى المثالي من الترابط، كشكل لازدواجية اللغة، أما بقية الأشكال فإنها تكون خارج نقاط هذه الظاهرة. وفي المقابل فإن جميع الأشكال اللغوية التسعة تشكل أنواعا لازدواجية اللغة كما يراها فيشمن. ومن هنا نرى أن توسع فيشمن قد أتى بالكثير من الأشكال أو الأوضاع اللغوية التي لم تكن سابقا ضمن حدود ازدواجية اللغة، ولكنه اعتبرها أشكالا معبرة عن تلك الظاهرة. وهنا نجد أيضا أن من الممكن إدراج أي وضع لغوي مهما كانت خصائصه تحت مسمى ازدواجية اللغة ما دامت مناقشة خاصيتين فقط قد نتج عنها الإتيان بتسعة أوضاع لغوية لا يمثل إلا واحد منها ازدواجية اللغة بمفهومها التقليدي. فعلى سبيل المثال سوف يصبح الأمر أكثر تعقيدا لو نوقشت خصائص أخرى مثل خاصية الاكتساب أو التراث الأدبي أو غيرها، والتي في النهاية سوف تقودنا إلى اعتبار كثير من أشكال ثنائية اللغة أنواعا لازدواجية اللغة، مما يفقد تلك



الخاصية دلائلها ويؤدي في النهاية إلى اعتبار جميع الظواهر اللغوية المتشابهة ظاهرة واحدة.

ومن الدراسات التي انتقدت توسع فيشمن في مفهومه لازدواجية اللغة ما كتبته تم (Timm)[1]، فقد ذكرت أن ما يعرف بتوسع فيشمن قد أضر بمفهوم ازدواجية اللغة لسببين . أولهما هو أن توسع فيشمن قد أضفى صفة الأبدية على المفاهيم الخاطئة لفيشمن والذي كانت نتيجته أن معظم الدراسات التي تلت دراسة فيشمن قد اقتصرت على تفسيره لظاهرة ازدواجية اللغة ، دون الرجوع إلى عمل فرجسون ومحاولة مناقشة تلك الظاهرة على أسس صحيحة. ومن المفاهيم الخاطئة التي أتى بها فيشمن هو تفسيره الخاطئ لتلك الظاهرة ونسبته ذلك التفسير إلى فرجسون. فقد ذكر فيشمن أن ازدواجية اللغة في مفهوم فرجسون تشمل الأوضاع اللغوية التي يكون فيها تخصيص وظيفي للغتين أو أكثر، حيث تستخدم كل لغة لأداء وظائف لا تؤديها اللغة الأخرى. وهذا الوصف لازدواجية اللغة ونسبه لفرجسون قد جانب الصواب كثيرا . ففرجسون قد اكتفى بلهجتين من لهجات اللغة الواحدة – وإن كان قد أطلق مسمى شكل لغوي على اللهجة – تؤديان وظائف مختلفة دون التطرق إلى الأوضاع اللغوية التي يكون فيها أكثر من لهجتين أو حتى التي يوجد فيها لغتان أو أسلوبان مختلفان. هذا التوسع الخاطئ في مفهوم ازدواجية اللغة كان له أثر سلبي حيث تلا عمل فيشمن بعض البحوث التي ارتكزت في مفهومها النظري على كتابات فيشمن مثل ما كتبه لاورن (Lorwin) و هوربني (Hornby).[2]

ومن المفاهيم الخاطئه التي أوردها فيشمن في توسعه هو نسبه لقمبر (Gumperz) الفضل في الإدراك الحالي بأن ازدواجية اللغة لا توجد فقط في المجتمعات التي يخدم وظائفها المتعددة لغات مختلفة، ولكنها توجد أيضا في المجتمعات التي تستخدم لهجات

[1] تم ، ١٩٨١م .

[2] لاورن ، ١٩٧٢م ، هورنبي ، ١٩٧٧م .

مـختلفـة للقـيـام بـوظائف المجـتـمـع المتـبـاينة. وهذه كـانت الفكرة الأسـاسـيـة لموضـوع فرجسون ، حيث رأى أن الارتبـاط الأمثل هو ما يكون بين لهجـتين من لهجات اللغة الواحدة، مع استبعاده اللغات والأساليب المختلفة كشكل لازدواجية اللغة. وهذا يقودنا إلى الوقوف على مفهوم خاطئ آخر أورده فيشمن. فكما سبق الذكر فإن فرجسون قد رأى أن ازدواجية اللغة هي تلك التي تكون في مجتمع كلامي واحد، ولكن فيشمن تعدى هذه الحدود ليضيف إلى ازدواجية اللغة تلك الأوضاع التي يكون فيها أكثر من مجتمع واحد، وإن كان ذلك المجتمع يعيش داخل حدود الدولة الواحدة، كما هو الحال في مثاله عن براغوي، والذي يضم المجتمع الحظري الذي يتحدث الإسبانية والمجتمع القروي الذي يتحدث لغة قوارني، وإن كان لكل مجتمع أصوله وجنوره المختلفة عن الآخر.

والسبب الثاني لعدم قبول توسع فيشمن هو أن هذا التوسع قد أضفى المزيد من الغموض على مفهوم ازدواجية اللغة، بحيث أصبحت ازدواجية اللغة مرادفا لثنائية اللغة. وفي الواقع فإن توسع فيشمن وإن كان البعض يرى أنه قد اكتفى بخاصية الوظيفة مع إغفال باقي الخصائص الثماني التي أوردها فرجسون، فإن هذا التوسع في خاصية الوظيفة لا يعتبر توسعا على الإطلاق، بل هو على العكس من ذلك قد أدى في بعض الحالات إلى اقتصار ازدواجية اللغة على جنس معين من المجتمع، كالرجال مثلا دون النساء، وعلى فترة زمنية معينة قد لا تتعدى الجيل الواحد. فعلى سبيل المثال، استخدم فيشمن وضع رجال اليهود في أوربا الشرقية كمثال على المجتمع الذي توجد فيه ازدواجية اللغة إلى جانب ثنائية اللغة. فقد كان يستخدم الرجال اليهود في أوربا الشرقية وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى اللغة العبرية في المواضع التي تحتم استخدام الشكل اللغوي الأعلى، بينما كانوا يستخدمون اللغة اليدية (Yiddish) في وظائف الشكل اللغوي الأدنى. هذا التكامل الوظيفي كان مقتصرا على الرجال دون النساء، وأيضا على فئة معينة من اليهود. ومن هنا يتضح لنا التناقض في عمل فيشمن وإسباغ صفة التوسع عليه. فهو في بعض الحالات يعتبر أكثر من مجتمع واحد

كمجتمع كلامي ، وفي بعض الحالات يقتصر ذلك الاعتبار على فئة معينة من مجتمع محدود زمانيا ومكانيا. وهنا نرى أن ادعاء البعض أن فيشمن قد توسع في مفهوم التكامل الوظيفي لم يكن توسعا، وإنما كان على النقيض من هذا تضييقا في مفهوم الوظيفة التي ذكرها فرجسون. ففرجسون مثلا اشترط أن يتفق جميع أفراد المجتمع على الوظائف المختلفة للاشكال اللغوية ، وأن يستخدم أفراد المجتمع الشكل اللغوي المناسب في الحيز المناسب. ولكن مفهوم فيشمن للتكامل الوظيفي اكتفى بوجود لغتين أو لهجتين مختلفتين في نفس المجتمع ، على أن تستخدم إحداهما للوظائف الرسمية والأخرى للوظائف غير الرسمية، دون اعتبار اتفاق جميع أفراد المجتمع كشرط أساسي لصحة التكامل الوظيفي.

ولإيضاح مفهوم ازدواجية اللغة الذي أضفى عليه توسع فيشمن المزيد من الغموض، رأت تم أن يؤخذ بعين الاعتبار نوعين من أنواع ازدواجية اللغة : فالنوع الأول يبحث في ازدواجية اللغة التي يكون أطرافها لهجتين للغة واحدة، وأسمت هذا النوع بازدواجية اللغة الكاملة داخل نطاق اللغة الواحدة (Intralanguage Full Diglossia)، وهذا النوع مطابق تماما لمفهوم فرجسون لازدواجية اللغة. أما النوع الثاني فإنه يأخذ التكامل الوظيفي كمحك رئيسي ووحيد لاعتبار الوضع اللغوي ازدواجا لغويا. وهذا النوع يشمل ازدواجية اللغة بين اللغات المختلفة كما هو الحال في براغوي بوجود اللغتين الإسبانية ولغة قوارني، كما يشمل أيضا ازدواجية اللغة بين لهجات اللغة الواحدة كما هو الحال في البلاد التي تستخدم اللغة الإنجليزية كلغة أم، حيث يستخدم أفراد الطبقات المختلفة لهجات متباينة تُعتبر جميعها جزءا من اللغة الإنجليزية. وكما يتضح لنا فإن النوع الثاني يشتمل على قسمين : أحدهما حين تكون الأشكال المكونة لازدواجية اللغة لغات مختلفة، والآخر حينما تكون أطراف الازدواجية لهجات أو أساليب مختلفة، لا يحكمها إلا نوع من التكامل الوظيفي المدفوع من قبل المستخدم لا الاستخدام.

وهناك مأخذان على محاولة تم لَمّ شمل ازدواجية اللغة : المأخذ الأول هو أن تم لم تورد مثالا لازدواجية اللغة بمفهومها الكامل ، حينما تكون الأشكال اللغوية المكونة لها لغات مختلفة. والمأخذ الثاني هو أنها لم تنظر إلى نوعية الترابط اللغوي بين الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة، حيث ساوت بين هذه الأشكال سواء كانت هذه الأشكال لغات أو لهجات أو حتى أساليب للهجة واحدة. ولهذا فليس لانتقاد تم لتوسع فيشمن ما يبرره ما دامت قد جمعت جميع الظواهر اللغوية المتشابهة كازدواجية اللغة وثنائية اللغة والتبديل الأسلوبي ووضعتها تحت لواء واحد أسمته ازدواجية اللغة بمفهومها الكامل أو بمفهوم التكامل الوظيفي.

وليس أنسب من اختتام هذا الجزء الذي يناقش ويحلل الأعمال التي كتبت لمناقشة أعمال فرجسون وفيشمن، من عرض وتحليل ما كتبه فرجسون نفسه في عام ١٩٩١م، والذي بدأه بقوله "إن أي باحث يشعر بالسعادة والسرور عندما يرى أن جزءا من كتاباته قد قرئ ونقل بشكل واسع، وأن ذلك العمل قد قدم شيئا ما لحقل اللغويات. ولكن هذا الشعور بالسرور سرعان ما يختلط بمشاعر أخرى عندما يرى المؤلف أن الرسالة التي كان يود إيصالها قد أسيء فهمها، وأن المصطلحات التي استخدمها قد وسعت في اتجاهات مختلفة لتشمل أشياء وأمورا قد لا يوافق عليها..." [١] وفي واقع الأمر فإن مثل هذه الملحوظة كافية لإبلاغنا بمشاعر فرجسون وما يراه في التوسع الذي طرأ على مفهوم ازدواجية اللغة. وهذا لا يبدو غريبا لأن مقصد فرجسون الأساسي كان كالتالي: البدء بملاحظة بعض المجتمعات وأساليب التحدث المستخدمة ، ثم محاولة الوقوف على مجتمعات أخرى تشترك مع ذلك المجتمع في خصائص الوضع اللغوي، وإن كانت تلك المجتمعات تتحدث لغات مختلفة، ويتبع هذا القيام بتصنيف تلك الظاهرة اللغوية مع محاولة رسم الفوارق أو الحدود التي تجعل تلك الظاهرة ظاهرة قائمة بذاتها ومختلفة عن الظواهر المشابهة، ويلي ذلك التعرف على القوانين والمبادئ

---

[١] فرجسون ، ١٩٩١م ، ص٢١٤ .



التي تحكم تلك الظاهرة، وهذا يقودنا بالتالي إلى الوصول إلى نظرية واضحة لتلك الظاهرة اللغوية. وحتى يتضح لنا هذا المنهج البحثي دعنا نلقي نظرة سريعة على مفهوم ازدواجية اللغة. فالبداية عادة ما تكون بملاحظة ومراقبة بعض السلوك اللغوي في مجتمع ما . يلي ذلك وصف وتحليل لذلك السلوك (كأن يقوم الباحث بملاحظة استخدام العامية والفصحى في المجتمع العربي، ومعرفة الأسباب التي دعت لذلك الاستخدام والنتائج المترتبة عليه)، ومن ثم ينظر الباحث إلى مجتمعات أخرى (كالمجتمع اليوناني) في محاولة للوقوف على بعض السلوك المشترك بين المجتمعين . يلي ذلك القيام بوصف ذلك السلوك اللغوي وتسميته (كازدواجية اللغة مثلا) مع بيان أوجه الاختلاف والتشابه بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة وما شابههما من الظواهر اللغوية الأخرى. والنتيجة التي يؤدي إليها هذا المنحى هو الوصول إلى نظرية واضحة لازدواجية اللغة تكون في شكل من الكمال بحيث يسهل وصفها وتطبيق الحالات الدراسية عليها.

والوضع اللغوي في أي مجتمع - مهما بلغ صغر ذلك المجتمع وقلة أفراده - على درجة كبيرة من التعقيد ، فالوضع اللغوي في سويسرا قد يبدو خاليا من التعقيد، ولكن نظرة متفحصة لذلك المجتمع سرعان ما تجبرنا على القول بأن ذلك الوضع ليس وضعا سهلا وسلسا على الإطلاق. فمثلا هناك - أولا - الأفراد الذين يتحدثون اللغة الألمانية ، تلك اللغة لهجات مختلفة، بل إن ذلك الاختلاف ملاحظ لدرجة أن لكل إقليم لهجة ألمانية مختلفة عن لهجات الأقاليم الأخرى، كما أنها مختلفة عن اللغة الألمانية المستخدمة في ألمانيا. ثانيا: تمثل اللغة الفرنسية اللغة الثانية من حيث عدد مستخدميها، وإن كانت لا تشكو من اختلاف اللهجات كما هو الحال في اللغة الألمانية المستخدمة في سويسرا. وتضيف اللغة الإيطالية بعدا ثالثا للوضع اللغوي لذلك المجتمع ، وذلك عن طريق استخدامها من قبل بعض السويسريين. وأخيرا هناك لغة الرومانش، وهي اللغة الرابعة المستخدمة في سويسرا. وتستخدم هذه اللغة كلغة تعليم يدرس بها الأطفال المواد

التعليمية في المراحل الأولى من التعليم، كما أن لها نظام كتابة متفقا عليه. وبالنظر إلى حجم سويسرا وتعداد سكانها ومعرفة لغات أهلها ، نجد أن الوضع اللغوي هناك على درجة كبيرة من التعقيد، كما يكتنفه بعض الغموض في أمور مثل التبديل اللهجي أو اللغوي ، وذلك عن طريق التحول في الاستخدام أثناء الحديث من لهجة لأخرى أو من لغة إلى أخرى.

وحتى يبين فرجسون عدم رضاه عن إدراج اللغات المختلفة في المجتمع الواحد تحت مسمى ازدواجية اللغة، قام بمقارنة ازدواجية اللغة بظاهرتين لغويتين ، هما : متصل اللغات الهجينة (Creole Continuum) ، وثنائية اللغة. فأولا يبدو أن هناك تشابها ظاهريا بين ازدواجية اللغة ومتصل اللغات الهجينة. ففي متصل اللغات الهجينة هناك امتداد للأشكال اللغوية تختلف بحسب تقنينها ومعياريتها ووظائفها. في أحد طرفي المتصل هناك الشكل اللغوي الأعلى (Acrolect)، بينما يكون الشكل اللغوي الأدنى (Basilect) الطرف الآخر للمتصل، كما يتضح من الرسم التوضيحي.

أقل معيارية Basilect	————————	الشكل اللغوي الأعلى Acrolect
	أشكال لغوية مختلفة	

وينتقل أفراد تلك المجتمعات من مستوى إلى آخر أو من شكل لغوي إلى آخر ، نتيجة لما تفرضه العلاقة بين المتحدثين من ناحية الفوارق الطبقية أو الوظائف الاتصالية، ومثل هذا المتصل يشبه إلى حد بعيد ازدواجية اللغة. وبالإضافة إلى هذا، فإن الوضع في ثنائية اللغة أحيانا ما يشبه التوزيع الوظيفي للغة بحيث تستخدم لغة ما

للأغراض الرسمية، بينما تخدم اللغة الأخرى الأغراض التي لا تخدمها اللغة الأولى. ولكن فرجسون يرى أن مثل هذا التشابه لا يعني بالضروره قبول تلك الظواهر على أنها أشكال أو ضروب من ضروب ازدواجية اللغة. ففي متصل اللغات الهجينة يتحكم معظم الأفراد باستخدام الشكل اللغوي الأعلى في المحادثة التي لا تستوجب استخدام الشكل اللغوي الأعلى بالمفهوم التقليدي لازدواجية اللغة، كما أن الحدود بين الشكل اللغوي الأعلى والشكل اللغوي الأدنى في ازدواجية اللغة يكون أوضح من الناحية السلوكية ، ومن ناحية موقف لأفراد تجاه الأشكال المختلفة عنه في حالة متصل اللغات الهجينة. أما من ناحية التشابه بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة وعدم إمكانية استخدام أحدهما كمفرد للأخر، فإن فرجسون يرى أن ثنائية اللغة لها النتائج والمسببات الداعية إلى ظهورها والتي تختلف عن تلك التي تحدث في حالة ازدواجية اللغة.

وفي واقع الأمر فإن ما أتى به فرجسون بعد ما يقارب الثلاثين عاما من البحث والدراسة لا يعتبر إضافة جديدة لمفهوم ازدواجية اللغة. فهو يرفض اعتبار متصل اللغات الهجينة ظاهرة لغوية من الممكن أن تنطوي تحت لواء ظاهرة أكبر وهي ازدواجية اللغة ، بسبب عدم مراعاة ذلك الوضع اللغوي لجزء من أجزاء الوظيفة في مفهوم ازدواجية اللغة بمعناها التقليدي ، والذي ينص على عدم استخدام الشكل اللغوي الأعلى كوسيلة تحدث للشؤون اليومية. ومثل هذا التبرير غير مقبول بسبب عدم توسع فرجسون فيما يمكن أن تشمله خاصية الوظيفة. وبالإضافة إلى هذا، فإن مثل هذا التخصيص الضيق للوظيفة التي يمكن أن تؤديها اللغة أو اللهجة أو الأسلوب يتنافى مع ما أراده فرجسون وهو الوصول إلى نظرية شاملة لازدواجية اللغة. ومثل هذه النظرية لا يمكن الوصول إليها باستخدام أمثلة أو خصائص ضيقة النطاق والتطبيق ، لا تمكن الباحثين اللغويين من إدخال أمثلة جديدة أو مناقشة وتحليل الخصائص المختلفة. وبمعنى آخر فإن فرجسون قد قام بمحاولة النظر إلى المجتمعات المختلفة والخروج منها بملاحظات وخصائص، يعتقد أنها عامة وشاملة، تميّز تلك



المجتمعات عما سواها. ولكن تلك الخصائص التسع التي أوردها في عام ١٩٥٩م وحاول الحفاظ عليها في عام ١٩٩١م، وذلك بعدم اعتبار متصل اللغات الهجينة وغيره من الظواهر اللغوية أشكالا تشبه في توزيعها الوظيفي ازدواجية اللغة، لا ترقى إلى مستوى العمومية حال التطبيق. فالاحترام الذي يحظى به الشكل اللغوي الأعلى في البلاد العربية لا يقابله احترام اللغة الألمانية المتحدثة في ألمانيا من قبل الأفراد السويسريين الذين يتحدثون اللغة الألمانية، بل على العكس من ذلك، فالشكل اللغوي المتحدث في سويسرا يحظى باحترام أكبر. وبالنظر إلى الخصائص الأخرى ومعرفة أحوال المجتمعات الأربع التي أوردها فرجسون في عام ١٩٥٩م، فإن الوقوف على أمثلة متضاربة لا تتفق فيما بينها على تلك الخصائص يعتبر أمرا عاديا، بل إن التباين قد يكون كبيرا بين ما تدعو إليه أو تنادي به الخاصية وواقع المجتمع من ناحية السلوك اللغوي أو موقف الأفراد تجاه الأشكال اللغوية، بحيث إن الواقع الملاحظ قد يتنافى مع تلك الخاصية وأسسها.

وحتى نلم بآخر ما كتب فرجسون عن ازدواجية اللغة، أصبح لزاما أن نورد إيضاحه حول بعض الأمور المتعلقة بمقاله الذي نشره في عام ١٩٥٩م، ومن أهم النقاط التي أوردها في مقاله المنشور في عام ١٩٩١م أمور ثلاثة ، هي :

أولا: ما هو المجتمع الكلامي الذي كان يقصده فرجسون؟ لاحظنا في الفصل الأول عندما استعرضنا عمل فرجسون أنه حدد مكان ازدواجية اللغة بمجتمع كلامي. كما لاحظنا أيضا أن ذلك المجتمع الكلامي هو ما يقع عادة داخل حدود الدولة الواحدة. ولكن مثل هذا الوصف قد جانب الصواب في بعض الحالات. فالمجتمع الكلامي الذي حدده فرجسون في مقال عام ١٩٥٩م هو مجتمع القاهرة كمدينة يتحدث أهلها اللغة العربية. وكما هو معلوم فإن مجتمع القاهرة جزء من مجتمع أكبر هو المجتمع المصري والذي بدوره يشكل جزءا من مجتمع أكبر هو مجتمع العالم العربي. ومن الواضح أن مجتمع القاهرة ليس مجتمعا ذا حدود معروفة ومستقلا عن باقي المجتمعات المصرية،

كما أنه لا يقع داخل دولة واحدة يفصلها عن المجتمعات المصرية الأخرى حدود دولية معروفة. وبالإضافة إلى ما سبق فإن حالة اللغة العربية في القاهرة لا تتعدى كونها مثالا له العديد من الخصائص المشتركة مع أوضاع اللغة العربية في المدن والقرى العربية الأخرى. ومن وجهة نظر أخرى ، فإن عدم الأخذ بالحدود الدولية بين البلاد العربية في الاعتبار له مردودات سلبية على المجتمعات مثل الاستقلالية والانتماء. وبالنظر إلى ما كتبه فرجسون سابقا ، فإن الوضع اللغوي في جزيرة هاييتي قد وصف على أنه سلوك لغوي لمجتمع كلامي، وشابه هذا الوصف السلوك اللغوي لدى متحدثي اللغة العربية والتي يزيد عدد متحدثيها عن المائة والخمسين مليون عربي. وبمعنى آخر فإن استخدام المجتمع الكلامي لوصف ازدواجية اللغة في مجتمع محدد بحدود تفصله عن المجتمعات الأخرى ، هو وصف غير منطقي. ومن هنا رأى فرجسون في مقاله المنشور في عام ١٩٩١م إعطاء ملامح وسمات جديدة ومختلفة للمجتمع الكلامي.

رأى فرجسون أن كلا من لاباف (Labov) وقمبرز (Gumperz) قد ذكرا تعريفين للمجتمع الكلامي يشبهان إلى حد كبير ما كان يقصده فرجسون. فقد عَرَّف قمبرز المجتمع الكلامي على أنه "... جماعة يغلب عليها الانتماء الاجتماعي ويربطها فيما بينها مدى تكرار أنماط التفاعل الاجتماعي ويفصلها عن المجتمعات المحيطة بها مقدار الضعف في خطوط الاتصال".[١] ومن مميزات تعريف قمبرز أن مفهوم المجتمع الكلامي لا ينظر إليه على أنه مفهوم جامد ثابت، بل من الممكن أن يتغير بحسب الحاجة ليشمل مجموعة صغيرة من الأفراد كما يمتد ليشمل شعوب دول بأكملها، يشمل أيضا المجتمعات أحادية ومتعددة اللغات.

وعَرَّف لابوف المجتمع الكلامي على أنه "مجتمع يُحَدد بمقدار المشاركة بمجموعة من الأعراف أو القواعد السلوكية المشتركة بما فيها الأنماط الظاهرية للسلوك التقويمي،

---

[١] قمبرز ، ١٩٦٨م ، ص٤٦٢ .



ويمقدار الوحدة في الأنماط المجردة من التغير." [1] ويأخذ هذين التعريفين في عين الاعتبار يخلص فرجسون إلى تعريف المجتمع الكلامي على أنه "مجموعة ذات روابط اجتماعية تشترك في خصائص التركيب اللغوي والاستخدام لتلك التراكيب وموقفها من تلك التركيب، كما أنها تعمل على أنها وحدة لغوية اجتماعية واحدة لأغراض التغير اللغوي، وهذه المجموعة قد تكون ذات لغة واحدة أو متعددة اللغات." [2] وهذا التعريف يشتمل على ثلاثة أبعاد ، هي : التركيب ، والاستخدام ، والموقف تجاه اللغة أو اللهجة.

ثانيا: ماذا كان يقصد فرجسون من استخدامه لمصطلح شكل لغوي (Language Variety)؟ ولماذا لم يستخدم مصطلح لهجة إذا كان قد استبعد كلا من كلمتي لغة وأسلوب على أنهما ليستا ممثلتين للأطراف في ازدواجية اللغة؟ كما ذكر سابقا فقد ترك عدم الإفصاح عن ماهية الشكل اللغوي المجال مفتوحا لاجتهادات اللغويين ، وذلك باعتبار أي علاقة لغوية تمثل ازدواجية اللغة حتى وإن كانت هذه العلاقة تربط لغتين أو أسلوبين مختلفين. وحتى فيما تلا ذلك المقال من كتابات اشترك فيها فرجسون، فإن مفهوم الشكل اللغوي لا يزال غير واضح حتى وإن عرّفه على أنه "أصغر وحدة يمكن استخدامها كشيء طبيعي في الوصف اللغوي" [3] . ولكن هذا التعريف لا يزال قاصرا عن إعطاء فكرة محددة عن ماهية الشكل اللغوي. وهنا لا بد من النظر إلى التغير اللغوي حتى نستطيع الوصول إلى مثال على الشكل اللغوي ، ومن ثم فإن عملية القياس على ذلك الشكل تكون مسؤولية الباحثون الذين يتبعون منهج فرجسون. والتغير في اللهجة يحكمه مكانة المتكلم في المجتمع كما يحكمه مناسبة الاستخدام، وهنا نرى أن الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة هي أشكال اللهجة الخاصة التي تتغير بحسب مناسبة الاستخدام، وهذا التحديد لأشكال ازدواجية اللغة يشابه إلى حد كبير ما ذهب

[1] لابوف ، ١٩٦٨م ، ص٢٥١ .

[2] فرجسون ، ١٩٩١م ، ص٢٢١ .

[3] فرجسون وقمبرز ، ١٩٦٠م ، ص ٣.

إليه بريتو من وصفه للأشكال المدفوعة بواسطة المستخدم وتلك الموجهة بواسطة ما تقتضيه ضرورة الاستخدام.

ومن مميزات اقتصار الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة على تلك الأشكال المتعلقة باللهجة الخاصة والتي يحكمها مناسبة الاستخدام - أن الشكل اللغوي الأدنى والشكل اللغوي الأعلى لا يستخدمان لأداء نفس الوظيفة، كما أنهما لا يحملان نفس الرسالة. ومن هنا نرى أن فرجسون قد أضاف بعدا ثالثا لماهية الشكل اللغوي في ازدواجية اللغة. ففي السابق كان الاعتقاد السائد أن هذا الشكل هو اللهجة، وأن أي دراسة تتوسع في مفهوم الشكل اللغوي لتشمل اللغات والأساليب المختلفة قد لا تصبح مقبولة لدى المنادين بالتمسك بمنهج فرجسون الوصفي. ولكن إمعان النظر في اقتصار الشكل اللغوي على الشكلين الأعلى والأدنى للهجة الخاصة ، يكشف أنه قد ضيق الخناق على مفهوم الشكل اللغوي بصفة خاصة وازدواجية اللغة بصفة عامة، حيث استبعد اللهجات التي يحكمها التوزيع الجغرافي ، واكتفى بتلك اللهجات التي تحتمها المناسبة والتي لا تعدو كونها فرعا صغيرا من فروع اللهجات. هنا يتضح أن فرجسون يعتقد أن الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة هي تلك التي يستخدمها أصحابها للقيام بوظائف محصورة ، مثل التعليق الكلامي على حدث رياضي في وسائل الإعلام أو شرح المادة العلمية للطلاب في المدارس. وحقيقة الأمر أن هذا يتنافى مع مبدأ العمومية الذي ذكرناه سابقا.

ثالثا: ما هي درجة الترابط بين الأشكال اللغوية المكونة لأطراف ازدواجية اللغة؟ رأينا في الفصل الأول - عندما ناقشنا مقال فرجسون الذي يعتبر المرجع الرئيسي لجميع الكتابات التي تلت ذلك المقال - كيف أن فرجسون لم يحدد شكل العلاقة التي تربط بين الأشكال اللغوية في ازدواجية اللغة. فقد اكتفى بمصطلح شكل لغوي دون إيضاح ماهية ذلك الشكل ، وذلك بعدم تسميته بلهجة أو لغة أو أسلوب. ولكن القراءة المتمعنة لذلك المقال ، والإلمام بطبيعة السلوك اللغوي للمجتمعات التي استخدمها



كحالات دراسية ، لا يدع مجالا للشك في أن ما قصده فرجسون هي اللهجة الدارجة في المجتمع كشكل لغوي أدنى ، والتي ترتبط بلهجة فصحى أكثر معيارية وتقنينا كشكل لغوي أعلى. ولكن عدم ذكر مصطلح اللهجة صريحا، قاد بعض اللغويين مثل فيشمن إلى اعتبار العلاقة اللغوية بين الأشكال قد تتعدى مستوى لهجات اللغة الواحدة، لتصل إلى العلاقة بين اللغات المختلفة التي لا ترجع إلى أصول مشتركة. كما أن عدم ذكر مصطلح اللهجة صريحا قد دفع فاسولد إلى التوسع في العلاقة التي تربط الأشكال اللغوية في اتجاهين مختلفين، تكون العلاقة بين اللهجات التي تتبع لغة واحدة منطقة الوسط. فهناك اللغات المختلفة كما أن هناك الأساليب المتباينة والتي تدخل ضمن لهجة واحدة. ولكن وبعد مضي ما يزيد عن الثلاثين عاما على نشر مقال فرجسون، عاد فرجسون مرة أخرى ليبين نوع العلاقة أو الترابط الذي كان يقصده. فقد أوضح أنه قد فشل في مقاله السابق في تحديد ماهية الأشكال اللغوية، ولكن هذا الفشل لا يجب أن يعتبر مدعاة للتوسع في ماهية ذلك الترابط. فهو يعزو استبعاده للعلاقة التي تربط لغتين كاللغة الإسبانية ولغة قوارني كشكل من أشكال ازدواجية اللغة، إلى أنه كان مهتما بمناقشة مصدر ونتائج بعض الأوضاع اللغوية المختلفة، والذي كان يأخذ في الحسبان نشأة ازدواجية اللغة وما سيحدث لها نتيجة لمرور الزمن. فأسباب النشأة والنتائج المترتبة على استمرار ازدواجية اللغة، تختلف باختلاف نوعية الترابط بين الأشكال اللغوية.

ولكن ما هي النتائج المترتبة على وجود ازدواجية اللغة والتي تختلف باختلاف العلاقة بين الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى؟ وتقتضي الإجابة عن هذا السؤال النظر إلى التأثير الذي يسببه الاتصال اللغوي بين لهجات اللغة الواحدة واللغات التي لا تربطها ببعضها علاقة على الإطلاق. فإذا كانت أطراف ازدواجية اللغة لهجات للغة واحدة ، فهناك اقتراض من نوع خاص في مجال المفردات اللغوية، كما يؤدي ذلك إلى تقارب في النواحي النحوية والتراكيب الصوتية. ولكن عندما تكون أطراف ازدواجية

اللغة لغات مختلفة ، فإن ذلك سيؤدي إلى وجود الاقتراض في مجال المفردات اللغوية، ويختلف هذا عما سبقه في أن هذا الاقتراض يحتم أن تتبع المفردات المقتَرضة النظم اللغوية للغة المقترِضة. وهذا بدوره يمهد الطريق لظهور نماذج وسط للغتين. وفي النهاية، فإن التاريخ الذي يحكم الوضع اللغوي سيكون مختلفا في كلتا الحالتين.

وهنا لا نجد فرجسون يقدم شيئا جديدا يذكر، بل على العكس من ذلك فهو يلجأ إلى كتابات فاسولد وبريتو ويشير إليها بصفتها الكتابات التي خاضت في ماهية العلاقة أو الارتباط بين الأشكال اللغوية. فبريتو، الذي ينادي بأن تكون العلاقة بين الأشكال اللغوية علاقة مثلى كما هو حال العلاقة التي تجمع العربية الفصحى وباقي اللهجات العربية العامية، يرى أن هذه العلاقة يجب ألا تصل مستوى العلاقة ما فوق المثلى كما هو حال العلاقة بين لغة قوارني واللغة الإسبانية، كما أنها لا بد أن لا تصل لمستوى العلاقة ما دون المثلى كما هو الحال في أساليب اللهجة الواحدة. وهنا نرى أن فرجسون لم يلتزم بمسلك واحد معين. فهو يطالب بأن تكون الأشكال اللغوية تابعة للهجة خاصة واحدة، ولكنه في الوقت نفسه يشجع ما كتبه فاسولد وبريتو وذلك من خلال قبوله تصنيفهما لنوعية العلاقة المثلى بين الأشكال اللغوية. وفي واقع الأمر فإني لا أرى أي سبب منطقي لعدم التزام فرجسون بمسلك واحد إلا محاولته الابتعاد عن تعريف الشكل اللغوي، ورسم حدود فاصلة فيما بين هذه المصطلحات الثلاثة.

٣ - ازدواجية اللغة : منظور جديد

بأخذ ما سبق ذكره بعين الاعتبار، يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن مفهوم ازدواجية اللغة ما زال مفهوما مبهما للكثيرين. فالبعض يؤيد ما ذهب إليه فرجسون، ويعتبر ازدواجية اللغة مقتصرة على العلاقة بين لهجتين من لهجات اللغة الواحدة. أما البعض الآخر فيتفق مع توسع فيشمن وينظر لمفاهيم فرجسون على أنها قد ضيقت



مفهوما كان من الممكن الاستفادة منه لو كان أكثر شمولية. وتعتبر نظرية فاسولد جديدة بعض الشيء، ولهذا لم تحظ بكم الدراسات الذي حظيت به النظريتان السابقتان.

وقبول العلاقة بين ازدواجية اللغة وثنائيتها والتي اقترحتها في الفصل الثاني يسهل لنا كثيرا الخروج بتعريف شامل لازدواجية اللغة. وهنا أقترح تعريف ازدواجية اللغة على أنها وصف لسلوك لغوي يُستخدم فيه شكل لغوي أعلى (سواء كان لغة أو لهجة أو أسلوب) أكثر معيارية في أغراض الاتصال الرسمية، بينما يُستخدم شكل لغوي أدنى يكتسب كشكل أم لوظائف الاتصال غير الرسمية.

ومما يميز هذا التعريف عما سواه اقتصاره على ثلاث خصائص فقط ، هي : خصائص الوظيفة ، والاكتساب ، والمعيارية. وهذا التعريف لا يأخذ بعين الاعتبار خصائص تبدو أقل أهمية كخصائص : التراث الأدبي ، والتراكيب النحوية والصوتية ، والمنزلة ، والمفردات ، والثبات. ويعود السبب في قلة أهمية هذه الخصائص إلى أن بعضا منها مشتق من خصائص أخرى، فخصائص التراث الأدبي والتراكيب الصوتية والنحوية مأخوذة من خاصية المعيارية، كما أن خاصية المنزلة مشتقة من خاصية الوظيفة. أما الخاصيتان الباقيتان – وهما المفردات والثبات – فلا تنطبقان بشكل كامل على حالات فرجسون، ناهينا عن الحالات الدراسية الأخرى التي درسها علماء اللغة. فخاصية المفردات مثلا لا تنطبق بشكل تام على حالة اللغة العربية، بينما تنطبق خاصية الثبات على وضع اللغة العربية، إلا أنها لا تصف إطلاقا وضع الازدواجية اللغوية اليونانية. ويهدف أي تعريف يقترح لوصف ظاهرة لغوية ما إلى احتواء أكبر عدد ممكن من الحالات، علما بأن وجود حالات قليلة وعلى نطاق ضيق لا يعتبر بالأمر الشاذ. ومما يلاحظ أن التعاريف التي أوردها فرجسون وفيشمن وفاسولد لازدواجية اللغة ، إنما تنطبق على بعض الحالات، ولكن عدد الحالات المستثناة كبير لدرجة أن اقتراح تعريف جديد لهذه الظاهرة أمر ضروري.

وبالعودة مرة أخرى إلى التعريف السابق، نلاحظ أن هذا التعريف ينظر إلى ازدواجية اللغة على أنها وصف لسلوك لغوي. فهي تصف سلوك الفرد اللغوي، كما أنها تميز سلوك المجتمع اللغوي عما سواه من المجتمعات وتفرق بين هذه الظاهرة وما شابهها من الظواهر اللغوية الأخرى. وحسب هذا الجزء من التعريف فليس هناك فرق في الأوضاع اللغوية التي يكون أشكالها العليا والدنيا لغات أو لهجات أو أساليب. ويبدو هذا منطقيا، فليس هناك ما يميز بين وضع اللغة العربية والوضع اللغوي في براغوي إلا أن الأول للهجات لغة واحدة أما الثاني فإنه يربط بين لغتين مختلفتين. وبقبول هذا الجزء من التعريف نصل إلى أن السلوك اللغوي لكل من مجتمع المتعلمين العرب وسكان براغوي الذين يتحدثون اللغة الإسبانية ولغة قوارني وسكان خالبور وتنزانيا وأفراد المجتمع الصيني في ماليزيا - يمثل ازدواجية لغوية.

ويلاحظ أنه في جميع الأمثلة السابقة يكون الشكل اللغوي الأعلى أكثر معيارية من الشكل اللغوي الأدنى. فالعربية الفصحى أكثر معيارية من العاميات العربية، كما أن اللغة الإسبانية قد حظيت بمؤلفات تصف نحوها وتراكيبها الصوتية والصرفية أكثر من تلك المؤلفات التي حظيت بها لغة قوارني. وتستخدم لغة الهندي في مجتمع خالبور لأمور التعليم نظرا لأن لها نظام كتابة متعارفا عليه. وتلعب معيارية اللغة الإنجليزية دورا مهما في جعلها لغة التعليم في تنزانيا. ولأن اللغة الإنجليزية الرسمية في ماليزيا أكثر معيارية من بازار ماليزيا، فهي مؤهلة للاستخدام في المعاملات الرسمية والوظائف التي تحتم استخدام شكل أكثر معيارية.

وتتفق جميع الحالات التي ذكرت في دراسات فرجسون وفيشمن وفاسولد وتم وبريتو في أن اكتساب الشكل اللغوي الأدنى يسبق اكتساب الشكل الأعلى للغة، كما تكتسب اللغة أو اللهجة الأم بالمنزل وبطريقة لا واعية. فلا يتم اكتساب الشكل الأدنى من قبل الأطفال عن طريق حفظ قواعد نحوية أو الذهاب إلى أماكن التعليم الرسمية. ويتم لاحقا اكتساب الشكل اللغوي الأعلى بطرق التعليم الرسمية، ولا بد للطفل هنا من



بذل مجهود حتى يكتسب ذلك الشكل اللغوي. فلا ينشأ الاطفال العرب وهم يتحدثون الفصحى، بل عليهم الذهاب إلى المدارس لاكتساب ذلك الشكل. ويتشابه معهم في هذا أطفال مجتمع لغة قوارني في براغوي، فلا بد لهم من الذهاب إلى المؤسسات التعليمية لاكتساب اللغة الإسبانية. وينطبق هذا على باقي الحالات. فأطفال خالبور وتنزانيا والأطفال الصينيون في ماليزيا وأطفال الملونين في أمريكا ، يكتسبون الشكل اللغوي الأعلى من خلال قنوات التعليم الرسمي والذي يتم بعد اكتسابهم للغاتهم ولهجاتهم وأساليبهم الأم.

وأخيرا، فإن التعريف الذي اقترحناه يتجنب أوجه القصور في التعاريف السابقة، كما أنه يتفادى استخدام خصائص قد تنطبق على بعض الحالات دون سواها. ومما يميز هذا التعريف أنه لا يفرق بين الأشكال اللغوية المستخدمة في ازدواجية اللغة، سواء كانت لغة أو لهجة أو أسلوبا. ويميز هذا التعريف أيضا بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة ، فالازدواجية اللغوية وصف لسلوك لغوي قد يطلق على الفرد والمجتمع ، أما ثنائية اللغة فهي إلمام الفرد بأكثر من لغة أو لهجة أو أسلوب.



١ - مقدمة .

٢ - زوج المفردات كخاصية من خصائص ازدواجية اللغة .

أ- الاتصال بين اللغات المختلفة .

أولاً: أمثلة الاتصال اللغوي المفروض .

ثانياً: أمثلة الاتصال اللغوي الاختياري .

ب- الاشتقاق .

ج- التوسع في المعنى .

د- الانتحاء .

٣ - خاتمة .

١ - مقدمة.

هدفت معظم الدراسات التي تناولت ازدواجية اللغة في اللغة العربية إلى تقديمها على شكل حالات دراسية، سعت إلى تطبيق الأوجه النظرية لازدواجية اللغة ، ولكن الحاجة في الوقت الراهن لا تدعو إلى إفراد أعمال كاملة للوصول إلى وصف خارجي لهذه الظاهرة ، بل إن مجتمع اللغويين العرب يفتقر إلى أعمال ودراسات توضح ماهية ازدواجية اللغة وترسم حدودها الفاصلة، دون المساس بظواهر لغوية اجتماعية أخرى كثنائية اللغة وما شابهها. ومن هذا المنطلق تم إفراد جل هذا الكتاب لمناقشة نظريات ازدواجية اللغة وإرجاء مناقشة الحالة الدراسية إلى الفصل الأخير. وهذا يخدم غرضاً رئيسياً وهو الحاجة إلى الاتفاق على ماهية ازدواجية اللغة من وجهة نظرية قبل الخوض في تطبيق هذه النظرية في المجال الوصفي.

ويستطيع الباحث اللغوي طرق العديد من الأبواب المتشعبة إذا رغب في دراسة حالة معينة في إطار ازدواجية اللغة، فيستطيع مثلاً دراسة الوضع الاجتماعي الذي تنشأ فيه ازدواجية اللغة، ومقارنة ذلك الوضع بأوضاع اجتماعية أخرى. وهذا يؤدي في النهاية إلى الخروج بنتائج من الممكن تعميمها على أوضاع قد تتعدى وضع الحالة الدراسية التي نوقشت. كما أن الباحث قد يجد خاصية الاكتساب مَعيناً لا ينضب، فعلى سبيل المثال : يستطيع الباحث أن يدرس خاصية الاكتساب في مجتمع ازدواجية اللغة، محاولاً استنتاج أوجه الشبه والاختلاف بين اكتساب الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى، ثم يربط هذه الدراسة مع محاولات معرفة تأثير المتغيرات الخارجية على عملية الاكتساب. وفي المقابل يستطيع عالم اللغة تسجيل ملاحظاته والتي تخص الفوارق النحوية بين الأشكال اللغوية في محاولة لتتبع منشأ هذه الفوارق ، كما يمكن تعميم هذا المنحى ليشمل الفوارق في التراكيب الصوتية وعلم الدلالة وغيرهما من فروع علم اللغة المختلفة.

وعلى الرغم من الاختلاف بين علماء اللغة في ماهية ازدواجية اللغة، والذي سبق

ذكره عندما استعرضنا أعمال فرجسون وفيشمن وكاي وقمبرز، إلا أن هناك خاصية على قدر كبير من الأهمية والتي تعتبر بحق قلب ازدواجية اللغة النابض. هذه الخاصية هي خاصية الوظيفة. ولست أودّ هنا الخوض في التوزيع الوظيفي للأشكال اللغوية بشكل مطول، وإن كنت أكتفي بتذكير القارئ بأن الشكل اللغوي الأعلى يستخدم عادة في أغراض الاتصال الرسمي، بينما يكون الشكل اللغوي الأدنى هو الاختيار الموفق للأغراض غير الرسمية. وهنا نجد أن الفرد عندما يتحدث مع أفراد أسرته أو أصدقائه ومعارفه يكون استخدام الشكل اللغوي الأعلى اختيارا غير موفق.

ومن الواضح أن اختيار المتحدث لشكل لغوي دون آخر هو نتيجة لإحساسه بطبيعة الموقف، وهذا ما نسميه الوظيفة والتي يتفق أفراد المجتمع على توزيعها بين الأشكال اللغوية المتاحة لهم. وعندما يستقر رأي المتحدث على استخدام الشكل اللغوي الأعلى أو الأدنى، فإن هذا عادة ما يُتبع بالتخطيط لاختيار اللغة الصحيحة أو المناسبة. ويقصد باللغة الصحيحة أنه الاختيار المناسب لقواعد النحو والتراكيب الصوتية والمفردات التي تتفق مع طبيعة الشكل اللغوي المختار. وبما أن هذا الفصل قد خصص لمناقشة المفردات أو الكلمات في ازدواجية اللغة، فإن التطرق لمواضيع أخرى - وإن كانت متعلقة بموضوع المفردات كالنحو وعلم التراكيب الصوتية - يعتبر خارج نطاق المناقشة المنشودة في هذا الفصل. ولأهمية المفردات في ظاهرة ازدواجية اللغة نرى أن فرجسون قد أفرد لها خاصية كاملة ساواها بأهمية النحو والتراكيب الصوتية للأشكال اللغوية المكونة لازدواجية اللغة. وبالإضافة إلى هذا، فإننا نلاحظ أن ازدواجية اللغة بالمفهوم الواسع الذي أراده فاسولد والذي اشتمل على اللغات واللهجات وأساليب اللهجات كأطراف في ازدواجية اللغة، قد ذكرت أيضا أن هناك مفردات تقترن بشكل لغوي دون الآخر. فهناك مثلا بعض المفردات التي يمكن نسبتها للشكل اللغوي الأعلى دون نسبتها إلى الشكل اللغوي الأدنى. كما أن هناك مفردات يقتصر استخدامها على الشكل اللغوي الأدنى. أما بقية المفردات فإنها تكون مشتركة بين الشكلين اللغويين.

وسنقتصر على مناقشة وجه واحد من أوجه المفردات ، ألا وهو وجود زوج من المفردات أو الكلمات في ازدواجية اللغة العربية، بهدف الوصول إلى شرح مقبول ومقنع لوجود ونشأة هذه الازدواجية في المفردات. وهنا أحب أن أوضح أن مناقشة وتحليل بعض الأسباب المؤدية إلى وجود زوج من الكلمات في ازدواجية اللغة، لا يعني عدم وجود أسباب أخرى قد يرغب بعض الباحثين اللغويين في التعرف عليها ومناقشتها. ومن الأسباب المؤدية إلى وجود الازدواجية في المفردات ، أذكر أربعة أسباب ، هي :

أ- الاتصال اللغوي بين اللغات المختلفة Language contact
ب- الاشتقاق Derivation
ج- التعميم في المعنى Expansion of meaning
د- الانتحاء Grammaticalization

وذكر هذه الأسباب الأربعة فقط لا يعني بالضرورة شموليتها لجميع الأسباب المؤدية للازدواجية في المفردات، وإن كنت هنا أرى أنها من بين الأسباب الأكثر انتشارا وشيوعا، كما أنها من العوامل الرئيسة التي تقود إلى ظهور الازدواجية في المفردات في المجتمعات التي تلاحظ فيها ازدواجية اللغة. وهذه الأسباب - وإن اقتصرت مناقشتها على وضع اللغة العربية - يعد تعميمها في المجتمعات الأخرى ذات الازدواجية اللغة أمرا مقبولا. كما أشير هنا إلى أن الأمثلة المستخدمة هنا لم تقسم حسب التوزيع الجغرافي لمستخدميها - أي حسب اللهجات الدارجة في العالم العربي - لكن هذا التقسيم قد أخذ في الاعتبار جانبا أكثر أهمية وهو السبب وراء ظهور الازدواجية في المفردات. وبالإضافة إلى هذا فإن معظم الأمثلة مستقاة من اللهجة النجدية في المملكة العربية السعودية.

٢ - زوج المفردات كخاصية من خواص ازدواجية اللغة :

اعتبر فرجسون المفردات خاصية من خواص ازدواجية اللغة ، وطبقا لما ذكره فإن الشكل اللغوي الأعلى والشكل اللغوي الأدنى يشتركان في معظم المفردات المكونة لهما. والمفردات التي تتعلق بوصف العلوم الحديثة والتقنية المتقدمة عادة ما تتبع الشكل اللغوي الأعلى. وهنا يجب الإشارة إلى أن معظم مفردات هذه العلوم والتقنية قد تم تعريبها - أي ترجمتها إلى ما يساويها من مفردات عربية أو إخضاعها للقواعد العربية في الصوغ والاشتقاق وغيرهما - إلى اللغة العربية ولكن المستخدم العادي يتمسك بذكر المفرد بلغته الأصلية. وهنا نلاحظ أن الشكل اللغوي الأدنى قد قام بتسمية هذه المخترعات بالكمبيوتر والراديو وما شابهها. أما المفردات الأصلية في الشكل اللغوي الأدنى، فإنها عادة ما تدور حول الأنشطة التي يقوم بها أفراد المجتمع كجزء من حياتهم اليومية. ومثل هذا التوزيع في مجال المفردات لا يقتصر على اللغة العربية، فقد ذكر ونفورد (Winford) أن مثل هذا التوزيع في المفردات موجود أيضا في الأوضاع اللغوية التي تشمل اللغات الهجين للكاريبي، والتي تشكل تلك اللغات الهجين الشكل اللغوي الأدنى في تلك الأوضاع.[١] ولقد ذكر هذه الملاحظة كثير من علماء اللغة، نذكر منهم على سبيل المثال : بريتو[٢] (Britto) و تم[٣] (Timm) و متيشل[٤] (Mitchell) و كيلر[٥]

[١] وينفورد ، ١٩٨٥م .

[٢] بريتو ، ١٩٨٦م .

[٣] تم ، ١٩٨٠م .

[٤] ميتشل ، ١٩٨٢م .

[٥] كيلر ، ١٩٨٢م .

(Keller) و الكسيوس[1] (Alexious) . وقبل الخوض في الأسباب المؤدية لوجود مثل هذه الظاهرة – أي الازدواجية في المفردات – أود هنا أن أشير إلى أمرين ، هما :

أولا: كانت هناك بعض المحاولات التي قام بها بعض المهتمين بشؤون اللغة العربية من اللغويين وغيرهم لربط مفردات الشكل اللغوي الأدنى بالشكل اللغوي الأعلى (أي ربط مفردات العامية العربية بالعربية الفصحى) ، ومحاولة بيان أن مفردات العامية إنما هي جزء من مفردات الفصحى. هذا الربط له مدلولات غير ظاهرية ، مثل : بيان أصالة المفردات في اللهجة العامية، وإخفاء أو إزالة الفوارق بين الشكلين اللغويين. هذه المحاولات ـ كما أشرت سابقا ـ لم تقتصر على المساعي التي يقوم بها اللغويون في كتاباتهم الأكاديمية، مثل أحمد العطار[2] وعبدالعزيز مطر[3]، بل تعدى هذا إلى إثارة القضية من قبل أفراد لا توصف كتاباتهم بأنها أكاديمية، كما أن مواضع نقاش هذه المسألة لم تكن في بشكل مؤلفات، وإنما أخذت شكل المقالات في الصحف والمجلات. ولقد خلص هؤلاء الكتاب دون استثناء إلى أن مفردات الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى واللذين يكونان ما يعرف بالازدواجية في المفردات، إنما هي مفردات تخص الشكل اللغوي الأعلى، وأن المفردات المستخدمة في الشكل اللغوي الأدنى إنما هي في الأصل مفردات للشكل اللغوي الأعلى والتي نادرا ما استخدمت في الماضي. ومن هنا يصبح من الممكن تتبع جميع المفردات المستخدمة في الفصحى والعامية في نشأتها وتطورها ، وهذا التطور أو النشأة إنما يعكس لنا في النهاية جانبا من جوانب أصالة مفردات العامية، فالمفردات في الفصحى تستخدم بشكل أكبر من تلك المفردات الفصيحة المستخدمة في العامية، ولذلك فإن كلا الزوجين من المفردات، إنما هو عربي فصيح.

[1] الكسيوس ، ١٩٨٢م .

[2] العطار ، ١٣٨٤هـ .

[3] مطر ، ١٩٨٥م .

وفي واقع الأمر، فإن مثل هذه المناقشات والتحليلات استخدمت المنهج الاستقرائي.

أ - الاتصال بين اللغات المختلفة :

يرى واينريخ (Weinerich) أن من الممكن إطلاق لفظ اتصال لغوي على لغتين أو أكثر ، إذا كان يتم استخدامهما بالتناوب بواسطة نفس المتحدث.[1] ويتضح من التعريف السابق أن الاتصال اللغوي ظاهرة من الصعب تعريفها، ولكن من الأفضل شرح طرق حدوثها أو أسبابها أو نتائجها. و هذا التعريف وإن كان مقبولا لدى مجموعة من اللغويين [2]، فإنه يشابه إلى حد كبير ثنائية اللغة. ويرى واينريخ أيضا أن الاتصال اللغوي يقود إلى التداخل (Interference) في الاستخدام. وهذا يعني أن الاتصال اللغوي هو أحد أسباب نشأة ثنائية اللغة. وأرى هنا أنه لو تم تعديل التعريف السابق للاتصال اللغوي ليصبح كالآتي :

إن الاتصال بين اللغات هو وضع لغوي مستحدث لوجود لغتين أو أكثر في مجتمعين يرتبطان بوحدة واحدة، أحد هذين المجتمعين يكون آتيا من خارج نطاق المجتمع الأول، وينشأ نتيجة لرغبة أفراد كلا المجتمعين في الاتصال، وينتهي بغلبة إحدى اللغتين على الأخرى عندما يتم استخدام لغة واحدة فقط لجميع لأغراض الاتصال.

ويشرح هذا التعريف بوضوح الاتصال بين اللغات، فالوضع اللغوي مستحدث بمعنى أنه لم يكن موجودا قبل قدوم المجتمع الثاني، كما أن المجتمعين يعيشان داخل نطاق وحدة اجتماعية واحدة كالدولة أو المنطقة أو حتى المدينة الواحدة. وعندما تصبح

---

[1] راخ ، ١٩٥٦م .

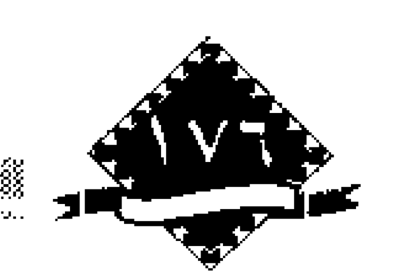
[2] ثومسون وآخرون (Thomason et al) ، ١٩٨٨م، ليهستي (Lehiste) ١٩٨٨م، أبل وموسكن (Apple & Muysken) ١٩٨٧م .

الرغبة ملحة في الاتصال بين أفراد المجتمعين تبدأ عملية التداخل التي ذكرها واينريخ.

ويؤثر الاتصال اللغوي على لغتي المجتمعين، وتختلف درجة التأثير من اتصال لغوي لآخر. فأحيانا يكون التأثير كبيرا ليشمل القواعد النحوية أو التراكيب الصوتية لإحدى هاتين اللغتين أو كلتيهما، ولكنه قد لا يتعدى اقتراض إحدى اللغتين من مفردات الأخرى. هذا الافتراض يؤدي إلى ظهور زوج من المفردات باللغتين، وعادة ما تكون هذه المفردات معبرة عن الاهتمامات المشتركة بين المجتمعين. ويرى واينريخ أن أحد هذين المجتمعين سوف يستغني عن مفردات لغته والتي كانت جزءا من زوج المفردات ويستخدم بدلا منها المفردات المقترضة، وهذا يؤدي أيضا إلى التداخل سابق الذكر.

وهناك أيضا ضرورة ملحة للتفريق بين نوعين من أنوا ع الاتصال اللغوي : فهناك اتصال لغوي أسميته الاتصال اللغوي المفروض (Superposed Language Contact)، وينشأ هذا النوع نتيجة لأعمال عسكرية كالاحتلال أو الفتوحات أو غزو مجتمع لمجتمع آخر. وهذا الاتصال يأخذ الشكل التالي : تقوم مجموعة من أفراد المجتمع (أ) بالتحرك نحو وحدة المجتمع (ب) ودخولها. وهذا يقود إلى ثنائية لغوية وتدخل ضمن ما أسماه فيشمن مجتمعات ثنائية اللغة بدون ازدواجية اللغة، حيث تمثل لغة المجتمع (أ) الشكل اللغوي الأعلى، بينما تكون لغة المجتمع (ب) هي الشكل اللغوي الأدنى. ونتيجة لضرورة الاتصال بين المجتمعين يتحول الوضع اللغوي إلى وضع ازدواجية لغوية، وهذا يقود بدوره إلى أن تؤثر كل لغة في الأخرى في مواضع النحو والتراكيب الصوتية والمفردات. وتتأثر درجة هذا التأثير بعوامل ، منها : مدة الاتصال بين المجتمعين ، وموقف كل مجتمع من لغته وولاؤه لها. ومن أمثلة هذا الاتصال اللغوي المفروض الاحتلال الأوربي لأجزاء من آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، كما تدخل الفتوحات الإسلامية لفارس وبلاد الروم ومصر في العصور الإسلامية الأولى من ضمن هذا النوع من الاتصال اللغوي.

أما النوع الآخر من الاتصال فهو الاتصال اللغوي الاختياري Voluntary)



Language Contact) . ويحـدث هذا النوع من الاتصـال نتيـجـة لقـدوم أفـراد من مـجتمعـات مـختلفة (مـجتمع ب، ج، د) إلى المجتمع (أ). وغالبا ما يأخذ هذا القدوم للمجتمع الجديد شكل الهجرة أو العمالة الوافدة ، عندما يأتي أفراد المجتمعات ب، ج، د للعمل لدى أفراد المجتمع (أ). ونادرا ما يتطور هذا الوضع ليصبح وضع ازدواجية لغوية لعدة أسباب منها اختلاف لغات المجتمعات الوافدة وكثرة عدد أفراد المجتمع المضيف. ولكن هذا لا يعني عدم حدوث تغيير لغوي، وإن كان هذا التغيير غالبا ما يكون في مجال المفردات. وهذا الاتصال الاختياري ليس مفروضا فبإمكان المتحدثين استخدام لغة مشتركة (Lingua franca) والتي تؤدي جميع وظائف الاتصال المنشودة. وليس للغة المجتمع (أ)، المجتمع المضيف، تأثير كبير في لغات المجتمعات الأخرى الوافدة للعمل، لأن هؤلاء الأفراد سوف يعودون في نهاية الأمر إلى مجتمعاتهم الأصلية، واستخدامهم لمفردات المجتمع (أ) قد يؤدى إلى وصفهم بعدم الولاء اللغوي.

وهنا يبقى السؤال عن تأثير لغات المجتمعات المختلفة على لغة المجتمع المضيف. إن لغة المجتمع المضيف تتأثر باللغات المختلفة، وخاصة في مجال المفردات، وذلك عن طريق الاقتراض من تلك اللغات. هذا الافتراض يؤدي إلى نشوء زوج من الكلمات إحداهما يكون شكلا لغويا أعلى، وهي مفردات لغة المجتمع المضيف الأصلية، بينما تكون المفردات المقترضة هي الشكل اللغوي الأدنى. وهذا يعيدنا إلى الخاصية الثامنة من خصائص فرجسون وهي خاصية المفردات. واقتصار الحديث هنا عن الدور الذي تلعبه اللغات المختلفة وتأثيرها في لغة مجتمع ما، لا يعني أن ليس للهجات اللغة الواحدة نفس الأثر إذا ما تم الاتصال بين اللهجات بالشكل سابق الذكر. كما أن عزو هذا النوع من الاتصال الاختياري إلى أسباب الهجرة والعمالة الوافدة، لا يهمش دور وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والتي لها أثر كبير في الاتصال اللغوي بين اللهجات، والذي يقود بالتالي إلى ظهور زوج من المفردات أحدهما للهجة (أ)، المجتمع المضيف، والآخر للهجة (ب)، اللهجة المستخدمة في وسائل الإعلام المذكورة سابقا. هذا التأثير

وإن تركز على المفردات ، قد يتعداه إلى التراكيب الصوتية وصوتيات لهجة المجتمع المضيف.

وحتى يتضح لنا وجود زوج المفردات في مجتمعات ازدواجية اللغة، دعنا نستعرض أمثلة للاتصال اللغوي المفروض والاختياري :

اولا – أمثلة الاتصال اللغوي المفروض :

بدأت القوات الإسلامية في عام ٦٣٢م بالتحرك خارج جزيرة العرب واتجهت إلى بلاد فارس، وأخذت على عاتقها نشر الرسالة السماوية المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم[1] . وبعد معارك كبيره بين المسلمين والفرس استقر الأمر أخيرا للمسلمين واستطاعوا السيطرة على مملكة الفرس. تبع هذا استقرار بعض المسلمين في بلاد الفرس، والذي أدى إلى نشوء حاجة للاتصال بين العرب المسلمين وأولئك الفرس الذين اعتنق بعض منهم الدين الإسلامي. ونتيجة للاتصال بين الأفراد بدأ الصراع بين اللغتين العربية والفارسية ، وأدى هذا إلى أن تقترض كل لغة من الأخرى بعضا من المفردات والتعابير. وفيما يلي بعض من المفردات التي اقترضتها اللغة الفارسية من العربية والتي أوردها حسين مجيب المصري لبيان أثر اللغة العربية في الفارسية[2] .

المفردة في الفارسية	مقابلها في العربية
خارجة	البلاد الأجنبية
دار الملك	عاصمة
ذهب	مال
ضد	عدو

[1] فك. ١٩٨٠م، ص١٨.

٢ د. حسين مجيب المصري ، ١٩٩٢ م ، ص ص ٢٤ – ٤٩ .

ضرائب	خراج
عازم	مسافر
فرش	بساط
ماكوله	ما يصلح للأكل
متصرفات	ممتلكات
مغبون	مخدوع

وكما اقترضت اللغات المختلفة مفردات من اللغة العربية، اقترضت العربية أيضا من تلك اللغات. وهذا يرجع - وكما سبق الذكر - إلى الاحتكاك العسكري والاقتصادي والذي أدى بدوره إلى احتكاك اجتماعي. ونتيجة لذلك الاقتراض من تلك اللغات، دخل العربية مفردات أصبحت فيما بعد معربة وسميت بالمولدة. ولتلك المفردات الأجنبية الدخيلة مقابل في اللغة العربية ، كما يصف ذلك علي وافي بقوله "هذا، وكثير من الكلمات الأعجمية التي دخلت اللغة العربية يوجد بها نظائر في مفردات هذه اللغة أو يمكن أن يشتق من مفرداتها". [1]

وتبرز اللغة الفارسية كواحدة من اللغات التي كان لها عظيم الأثر في اللغة العربية. ويقارن فك بين أثر اللغتين الفارسية والقبطية في اللغة العربية بقوله "ولكن بينما أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيرا بعيد المدى، وكثرت في اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصورة واضحة، كان أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل". [2]

وكما سبق الذكر فإن المفردات الأجنبية التي دخلت اللغة العربية أصبحت هي مفردات الشكل اللغوي الأدنى، بينما كونت مفردات العربية الفصحى شكلا لغويا أعلى.

[1] وافي ، ١٣٧٥هـ ، ص١٩٦ .

[2] فك ، ١٩٨٠م ، ص٣٢ .

ومن تلك المفردات المعربة ما يلي:

الشكل اللغوي الأدنى	الشكل اللغوي الأعلى
خيار	قثاء
وازار (بازار)	سوق
خربوز (خربز)	بطيخ
ممزوز	ممصوص [١]
البذنجان	القهقب – المغد – الحدج
أشنان	الحرض [٢]

بعض المفردات السابقة تبدو غريبة علينا، وبعضها الآخر يبدو مألوفا لدينا حتى أصبحنا لا نعرف المقابل الفصيح له كما في كلمة "باذنجان".

ومن المفردات التي اقترضت من لغات أجنبية وأصبحت جزءا من لغتنا بشكليها الأعلى والأدنى ، ما يلي :

كلية (من الأنجليزية)
فلسفة (من اليونانية)
صابون (من اللاتينية والبنغالية)
فنجان – فنجال (من الفارسية)
السروال (من الفارسية)

[١] المفردات الأربع الأولى أوردها فك (مرجع سابق) ص ص ٢٨–٢٩ .

[٢] الكلمتان الأخيرتان ذكرهما عطار (مرجع سابق) ص١٩٩، ص٢٠٢ .

برتقال (من كلمة برتغال، وهي دولة في أوربا)
أسطول (من اليونانية) [١]

ثانيا – أمثلة الاتصال اللغوي الاختياري:

على الرغم من وجود عشرات من الأمثلة التي تبين لنا الاتصال اللغوي الاختياري، فإن أوضح هذه الأمثلة هو الاتصال اللغوي بين لغات عديدة والذي حدث في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية في الثلاثينيات من هذا القرن، وذلك عندما رأى المغفور له الملك عبد العزيز ضرورة الاستفادة من الثروة النفطية في تلك المنطقة. وهذا بدوره قاد إلى الاتفاق مع شركات أمريكية لبدء عمليات التنقيب والحفر. وعند وصول الجيولوجيين الأمريكيين إلى المنطقة كانوا بحاجة إلى طاقم مساند من العمالة المدربة وغير المدربة. ولأن عمليات التنقيب والحفر كانت جديدة على المجتمع السعودي كان لا بد من الاستعانة بخبرات العمالة المدربة في البلاد الأخرى. ونتيجة لذلك بدأت العمالة الأجنبية والتي كانت تتحدث لغات مختلفة كالأردية والفارسية والتركية بالوصول إلى المنطقة. ولأن العمل لدى تلك الشركات الأجنبية كان مربحا للغاية مقارنة بدخل أفراد المجتمع السعودي الذين كانوا يمتهنون الزراعة والصيد، فقد ترك بعض منهم أعمالهم الأصلية والتحقوا بالعمل لدى تلك الشركات، وشكلوا بذلك جانب العمالة غير المدربة. ولم تأتِ تلك العمالة غير مدربة من المنطقة الشرقية فقط، بل جاءت من مناطق مختلفة من المملكة كمنطقة القصيم وحائل، بالإضافة إلى بعض أفراد البادية الذين هجروا أيضا أعمالهم وقدموا للعمل في المنطقة الشرقية.

هذا التجمع لم يحضر فقط اتصالا لغويا، ولكنه شهد اتصالا بين لهجات عربية مختلفة. فعلى مستوى الاتصال بين اللهجات، نجد أن هؤلاء الأفراد الذين يتحدثون

[١] ذكرت بعض هذه المفردات في عطار (مرجع سابق) ص ص١٩٥-٢٢٢ .

العربية قد قدموا من بلاد عربية مختلفة، بالإضافة إلى قدوم السعوديين من مناطق مختلفة. وهذا أدى إلى مزيج من اللهجات العربية والتي أثرت كل منها في الاخرى، وإن كان التأثير في اللهجات السعودية أكبر نظرا لكثرة عدد العمالة السعودية. كما كان هناك اتصال بين اللغات المختلفة سابقة الذكر وهي : العربية ، والإنجليزية ، ولغة الجيولوجيين الأمريكيين ، والأردية ، والفارسية ، والتركية. هذا الاتصال أدى إلى الاحتكاك بين أفراد هذه اللغات، نظرا لعدم إمكانية استخدام لغة مشتركة ، وهذا الاحتكاك أدى إلى اقتراض أفراد المجتمع السعودي مفردات من تلك اللغات المختلفة حتى يستطيعوا الاتصال مع الجنسيات الآخرى.

وكما ذكرت سابقا فإن مفردات الأجنبية المقترضة تكوّن الشكل اللغوي الأدنى، بينما تكوّن مفردات اللغة الأصلية الشكل اللغوي الأعلى ، وهذا بالفعل ما حدث. وفيما يلي بعض من المفردات التي أوردها سميتون (Smeaton) في كتابه الذي أفرده لمناقشة الاتصال والمزيج اللغوي في المنطقة الشرقية في ذلك الوقت. [١]

	الشكل العربي الأعلى	الشكل العربي الأدنى
المفردات المقترضة من الإنجليزية	كاس	قلاس
	احتياطي	سبير
	هاتف	تلفون
	سيارة	موتر
	شاحنة	لوري
	إلى الخلف	ريوس

[١] ذكر بعض هذه المفردات سميتون ، ١٩٧٣م .

المفردات المقترضة	منظار مكبر	دربيل
من الفارسية	بوابة – مدخل	دروازه
	قضيب معدني	سيم
	ملعقة	خاشوقة
	زجاجة	قزازة
	خطاف	شنكار
المفردات المقترضة	مروحة	بنكه
من الأردية	حذاء	جوتي
	لحاف	كنبل
	إلى الأمام	سيدا
	إسطوانة	دبه
	نظارة	كشمة
	قذارة	كشرة
المفردات المقترضة	فراش	دوشق
من التركية	مسحاة	كزمه
	صف	طابور

وقد وجدتْ بعض من هذه المفردات طريقها إلى بعض اللهجات السعودية، ولكنها لم تستخدم في لهجات سعودية أخرى. فعلى سبيل المثال، من النادر تسمية الكاس بـ(قلاس) في منطقة القصيم وحائل. أما مفردات الشكل اللغوي الأدنى والتي تستخدم في مناطق بعيدة عن المنطقة الشرقية ، فقد وجدت طريقها إلى تلك المناطق من خلال عودة العمالة السعودية إلى مناطقها الأصلية. ونلاحظ أيضا أن المفردات المتعلقة بالجانب التكنولوجي والعلمي قد تم اقتراضها من الإنجليزية، لوجود الجيولوجيين

الأمريكيين. أما المفردات المتعلقة بمستلزمات الحياة اليومية فقد تم اقتراضها من اللغات الاخرى للعمالة المدربة ، نظرا لاحتكاك أفراد هذه المجتمعات مع العمالة السعودية فيما يتعلق بشؤون الحياة اليومية.

ب – الاشتقاق :

ويقصد بالاشتقاق اشتقاق مفردة من أخرى. وهذه العملية اللغوية موجودة في معظم لغات العالم، إن لم يكن في كلها. ولكن هناك اختلافا في الطريقة التي يتم بها اشتقاق الاسم من الفعل. فمثلا، يشتق الاسم في اللغة الإنجليزية من الفعل بإضافة لاحقة إلى الفعل ، أما في اللغة العربية فهناك أوزان لا بد من اتباعها.

وبالعودة مرة أخرى إلى ما ذكره فرجسون فيما يخص زوج المفردات، نلاحظ أن كلمة "مناخير" هي إحدى الكلمات التي ذكرها مع ذكر أن الشكل اللغوي الأعلى هو كلمة "أنف". وبتطبيق عملية الاشتقاق نجد أن كلمة "مناخير" اسم اشتق من الفعل "نخر". وقد ذكر ابن منظور أن "النخير": صوت الأنف. نَخَرَ الإنسان والحمار والفرس بأنفه ينخِرُ وينخُرُ نخيراً... والمَنخِرُ والمَنخَرُ والمِنخِرُ والمُنخُرُ والمُنخُورُ: "الأنف". [١] ومما تقدم نتبين أن كلمة "منخر" على اختلاف حركاتها التشكيلية كلمة عربية فصيحة. ويبدو أن وجود كلمة "مناخير" إنما أتى في صيغة الجمع للاسم المفرد (منخور) المشتق من الفعل (نَخَرَ) ، وهو – أي مناخير – على زنة (مفاعيل) التي هي جمع للمفرد (مفعول). هذا مثال على زوج الكلمات، وهناك في اللهجات العربية العديد من المفردات التي اشتقت من أفعال عربية فصحى ونتج عن هذا الاشتقاق ظهور أسماء لم تكن موجودة في العربية الفصحى من قبل.

والمفردة الأخرى هي "جلب" تستخدم كلمة "جلب" في عامية نجد لتدل على إحضار

[١] ابن منظور ، ص٤٣٧٥ .



المواشي إلى مكان معين لبيعها. ويسمى هذا المكان بالمجلب. وفي لسان العرب معنى مطابق لذلك الاستخدام حيث يذكر ابن منظور أن "الجلب: سَوْق الشيء من موضع إلى آخر... والجلب والأجلاب: الذين يجلبون الإبل والغنم للبيع .... والفعل يجلبون". [1]

وأخيراً هناك المفردة "بغث" والتي لم يرد استخدامها في لسان العرب بصيغة الفعل، بل استخدمت هذه اللفظة كاسم أو صفة. يقول ابن منظور "والبغثاء من الضأن، مثل الرقطاء: وهي التي فيها سواد وبياض، وبياضها أكثر من سوادها. والبغيث: الطعام المخلوط يغشى بالشعير..." [2]. وتستخدم لفظة "بغث" في عامية نجد لتدل على فعل الخلط. فيقال مثلا "بغثه" أي خلطه ويقال "بغث اللبن مع الماء" أي مزج اللبن بالماء. ويلاحظ من المثالين السابقين أن الاستخدام العامي لفعل البغث يطابق استخدامها في الفصحى من ناحية المعنى. فكلا الاستخدامين يدلان على معنى الخلط. ويكمن الاختلاف بين العامية والفصحى في أن العامية اشتقت الفعل "بغث" من الاسم، وهو اشتقاق لم يحدث في الفصحى. ومن هنا نرى أن زوج المفردات "بغث" و "خلط" – والذي يعتبر من سمات ازدواجية اللغة حسب نظرية فرجسون – إنما هما مفردتان فصيحتان، توسع في معنى إحداهما عن طريق الاشتقاق، وانتشر استخدامها أكثر من استخدام اللفظ الفصيح الآخر "خلط"، وإن كان الفعل "خلط" مستخدم أيضا في العامية.

ج – التوسع في المعنى :

وأقصد بهذا إطلاق معنى على لفظ لم يكن مستخدما من قبل ، ويختلف التوسع في المعنى المقصود هنا عن الاشتقاق في أن الاشتقاق يضيف مفردات جديدة تشابه في معناها المفردة الأصلية. أما التوسع في المعنى فإنه يضيف دلالة جديدة تختلف عن

[1] ابن منظور ، ص٦٤٧ .

[2] ابن منظور ، ص٣١٨ .

المعنى المتعارف عليه لذلك اللفظ. ويؤدي التوسع في المعنى إلى ظهور ألفاظ مشتركة تتطابق في اللفظ أو الاسم ولكنها تختلف في المعنى. وقد جمع عبد الحليم محمد قنبس هذه الألفاظ في معجم ذكر في مقدمته أن "كلا الفريقين [من أنكر وجود المشترك ومن أجازه] قد تنكب جادة الحق فيما ذهب إليه. فمن التعسف محاولة إنكار المشترك إنكارا تاما وتأويل جميع أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب".[١] وهنا فلا بد من التروي، فإنكار وجود مشترك يشابه إلى حد كبير محاولة البعض تبرير أي معنى للفظ وتأويله بشكل يخرج عن الحد المقبول.

وألفاظ اللغة العربية التي شملها التوسع في المعنى عديدة، نذكر منها على سبيل المثال ثلاثة ألفاظ ، هي : العين والخال والغروب. وقد ذكر الدكتور أحمد عبد الرحمن حماد نقلا عن الأصمعي أن لكلمة عين ثلاثة عشر معنى ، هي :

العين: هو النقد من دنانير ودراهم.

والعين: مطر أيام لا يقلع . يقال أصابت أرض بني فلان عين.

والعين: عين البئر وهو مخرج مائها.

والعين: القناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها.

والعين: الفوارة التي تفور من غير عمل.

والعين: ما عن يمين القبلة – قبلة أهل مغيب الشمس. يقال نشأت السحابة من قبل العين.

والعين: عين الإنسان التي ينظر بها.

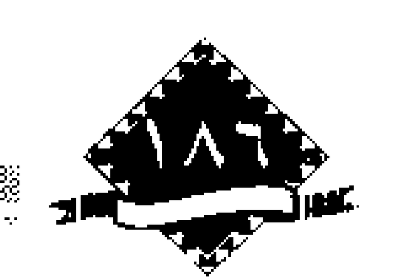
والعين: عين النفس وهو من قولهم عان الرجلُ الرجلَ...

والعين: عين الدابة أو الرجل وهو الرجل نفسه أو الدابة أو المتاع نفسه...

والعين: عين الميزان.

---

[١] عبد الحليم قنبس ، ١٩٨٧م ، ص٩ .



والعين: عين الجيش الذي ينظر لهم وعليهم ويقال له الشنيقة أو الطليعة.

والعين: عين الركبة.

والعين: هي التي عن يمين الرضفة وشمالها.[1]

وبالإضافه إلى كلمة عين، أورد الكتور حماد ستة معانٍ لكلمة خال وثلاثة لكلمة الغروب.

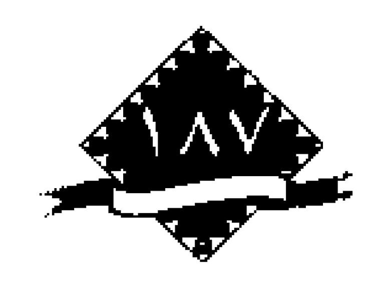
وللألفاظ المشتركة دور في ازدواجية اللغة ، فمثلا قد يستخدم لفظ ما ليدل على معنى لم يكن مستخدما من قبل، وهذا يؤدي إلى ظهور زوج المفردات في الازدواجية اللغوية، حيث تشكل المعاني الجديدة الشكل اللغوي الأدنى، بينما تكون المعاني القديمة هي الشكل اللغوي الأعلى. وقد يدل اللفظ أحيانا على أكثر من معنى وتكون جميعها مستخدمة في الشكل اللغوي الأعلى، ولكن استخدام بعض المعاني كان أكثر شيوعا لدرجة أن ذلك اللفظ قد ارتبط بتلك المعاني دون المعاني الأخرى. وعندما يستخدم المعنى الأقل شيوعا فإنه يكون غريبا على السامع، وقد ينسب أحيانا إلى الفصحى أو الشكل اللغوي الأعلى، وهذ بدوره يدعم مقولة وجود زوج المفردات.

وهذه بعض من الألفاظ التي شاع استخدامها، وارتبطت بالشكل اللغوي الأدنى، علما بأنها في الحقيقة من ألفاظ الشكل اللغوي الأعلى، أي أنها ألفاظ أصلية غير معربة أو مولدة، ولم تقترض من أي لغة أخرى.

"شاف" و "رأى"

يستخدم الفعل "شاف" في عامية نجد بمعنى النظر بالعين أو الرؤية والمقابلة. فيقال

[1] أحمد عبد الرحمن حماد ، (بدون سنة طبع) ، ص٧٢ .



مثل "شفت فلان". بمعنى قابلته، كما يقال أيضا "ما شفتها" بمعني "لم أرها". وقد ذكر لسان العرب هذا المعنى بقوله "واشتاف فلان يشتاف اشتيافا إذا تطاول ونظر. وتشوفت إلى الشيء أي تطلعت. ورأيت نساء يتشوفن من السطوح، أي ينظرن وتطاولن".[١] ويبدو من هذا الشرح أن النظر مقرون بالتطاول، ولكنه في العامية لم يرتبط هذا الارتباط، بل استخدمت الكلمة لتكون مرادفا لكلمة "ينظر". كما أن معنى "تشوفت الشيء أي تطلعت" موجود أيضا في عامية نجد، وإن كان يقال "شاوفت للشيء" بمعنى تطلعت لحدوثه وهذا التطلع عادة ما يكون مقرونا بتمني حدوث الشيء.

"ودّى" و "أوصل"

تستخدم لفظة "ودى" في عامية نجد بمعنى أوصل، وعادة ما يقصد بها إيصال شيء لشخص ما، فيقال مثال "ودّى الأكل لفلان" بمعنى أوصله له. وفي لسان العرب وتحت مدخل كلمة "أدا" يذكر لنا ابن منظور أن "أدى الشيء: أوصله، والاسم الأداء".[٢] ويلاحظ هنا أن حرف الألف قد أبدل بواو في كلمة "ودى".

"قعد" و "جلس"

يستخدم هذان الفعلان في عامية نجد كمترادفين ، فيقال مثلا "قعد يستريح" أي "جلس كي يستريح". ويستخدم الفعل "قعد" في شكلي الكتابة والتحدث في الشكل اللغوي الأدنى، بينما يكثر استخدام الفعل "جلس" عند الكتابة بالفصحى، وإن كان كلا الفعلين فصيحين.

[١]ابن منظور ، ص٢٣٦١ .

[٢]ابن منظور ، ٤٨ .



"إحترى" و "انتظر"

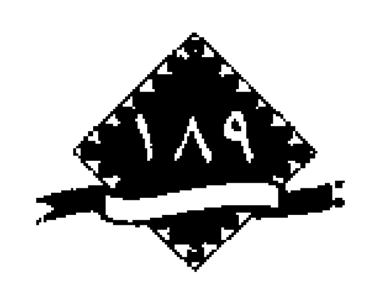
يستخدم الفعل "إحترى" في عامية نجد كدلالة على الانتظار. فيقال مثلا "إحترى فلان" أي إنتظره. وذكر لسان العرب أنه يقال "فلان يتحرى الأمر أي يتوخاه ويقصده... وفي الحديث: تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر، أي تعمدوا طلبها فيها". [١] ويبدو أن العامة قد توسعوا في استخدام لفظ "تحرى" لا ليشمل التوخي والطلب فقط ولكن ليتعدى هذا إلى معنى الانتظار. وهذا الاستخدام بمعنى الانتظار للفظة "تحرى" ليس غريبا لأننا نعلم أن التوخي وقصد الشيء وطلبه عادة مقرون بالانتظار.

"عزم" و "دعا"

يستخدم الفعل "عزم" في عامية نجد ليدل على فعل الدعوة التي يقدمها شخص لآخر. فيقال "عزمه على الغداء" بمعنى "دعاه لتناول الغداء". والصحيح هنا أن يستخدم لفظ "دعا" بدل من "عزم". ولكن الفعل "عزم" يعني أيضا إرادة الفعل كما ذكر لسان العرب حين ذكر "العزم: الجد. عزم على الأمر يعزم عزما ومعزما ومعزما وعزما.... واعتزم عليه. أراد فعله. وقال الليث. العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله". [٢] وهناك أيضا الفعل "عزم" والذي يعني "التصميم والعقد على فعل شيء ما". فيقال "عزم فلان على السفر" بمعنى أنه مصمم على السفر. وهذا المعنى للفعل "عزم" عربي فصيح، لأن العزم على فعل شيء يعني القسم والنية لفعله. وقد يكون هنا توسع في المعنى لا

[١] ابن منظور ، ص٨٥٣ .

[٢] ابن منظور ، ص٢٩٣٢ .



ليشمل القسم فقط ولكن ليشمل أيضا التصميم والجد على فعل ذلك الشيء.

"جابه" و "أحضره"

تستخدم لفظة "جابه" في عامية نجد وخاصة ذلك الشكل المتحدث في منطقة القصيم لتدل على معنى الإتيان بالشيء ، وليس من العسير معرفة أصل هذا الاستخدام. فاللفظة السابقة تتكون من الفعل "جاء" ومن حرف الجر "بـ" ومن الضمير الدال على المفرد وهو حرف الهاء. ويستخدم هذا الضمير في ألفاظ مشابهة منها "أكله" و "ضربه". وعند استخدام اسم بعد حرف الجر "الباء" فإن حرف الجر لا يسقط من اللفظة ، كما في قولنا "جاب الكتاب". ويلاحظ أن الفعل العامي "جا" إنما هو فعل فصيح، وإن كان الشكل الفصيح هو "جاء". وقد أسقطت الهمزة من الفعل العامي ليبقى لنا الفعل بصورته السابقة. والفعل "جاء" بمعنى أتى فعل عربي فصيح غني عن التوثيق ، وقد ورد في القرآن كقوله تعالى "وقل جاء الحق وزهق الباطل". أما استخدام حرف الجر "الباء" في لفظة "جابه" فإنه عربي فصيح أيضا. وقد ذكر ابن منظور بقوله "وتقول: الحمد الله الذي جاء بك، أي الحمد الله إذ جئت".[١] ويرادف فعل "جاء" الفعل "حضر" والذي يستخدم بشكل أكبر في حالة الكتابة بالشكل اللغوي الأعلى.

"حلت" و "رمى"

يستخدم عامة نجد الفعل "حلت" بمعنى رمى. فيقال مثلا "حلت العصا" أي رماها. واستخدام الفعل "حلت" في الفصحى يختلف بعض الشيء عن الاستخدام العامي. فقد

[١]ابن منظور ، ص٧٣٥ .

ذكر لسان العرب أنه من الممكن القول "... حلت رأسي: حلقته. وحلت دَيْني: قضيته".[1] ويتضح من هذين الاستخدامين أن الفعل "حلت" مرتبط بزوال المفعول به. فحلت الدَّيْن أو شعر الرأس يعني إزالته. وهنا نرى أن الاستخدام العامي "لحلت" قد توسع فيه ليشمل فعل رمى الشيء وإزالته، وهو المعنى الضمني في الاستخدام الفصيح.

د – الانتحاء:

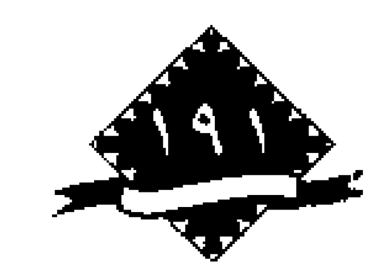
ومن الأسباب التي افترضها كمسبب لوجود زوج في ازدواجية اللغة ، هو العملية اللغوية المعروفة بالانتحاء. وينسب استخدام اللفظة انتحاء (Grammaticalization) لعالم اللغة الفرنسي أنطونيو ميلت (Antione Meillet)، وهو أحد طلاب سوسر، الذي نحت ذلك اللفظ في عام ١٩١٢م.

ومن أفضل وأوضح التعاريف التي حاولت رسم معالم هذه العملية ما ذكره هوبر و تروقوت (Hopper & Traugott) حين ذكرا أن الانتحاء هو "العملية التي تتحول من خلالها المفردة والتركيبة في بعض السياق اللغوي إلى وحدة بنيوية مقيدة تؤدي وظائف لغوية جديدة، وعندما يتم هذا التحول، تستمر عملية شمول وتأدية وظائف لغوية جديدة".[2] ويتضح من التعريف أن الانتحاء هو العملية التي تتحول من خلالها المفردات كالأفعال والضمائر وحروف الجر إلى وحدات بنيوية أصغر من الناحية التركيبية، ويصاحب هذا التحول تقيد هذه الوحدات بحيث يصبح استخدامها مرتبطا بوجود سياق معين.

ومن أمثلة الانتحاء في اللغة الإنجليزية ما طرأ من تغيير على معنى ووظيفة الفعل (go) "يذهب". هذا الفعل يستخدم بمعنى الذهاب كما في:

[1] ابن منظور ، ص٩٦٠ .

[2] هوبر وتروقوت ، ص ل، ص ١ .



Adam goes to college every morning.

يذهب آدم إلى الكلية كل صباح.

ولكنْ هناك استخدام آخر للفعل (go) كما في:

Adam is going to go to college after all.

وفي النهاية، فإن آدم سيلتحق بالجامعة. [١]

ويلاحظ أن الفعل الأول (go) في الجملة الثانية لا يعني الذهاب ولكنه استخدم كفعل مساعد ليضيف للجملة معنى الزمن المستقبل. ولم يقف التطور للفعل (go) عند هذا الحد، بل استمر هذا التطور ليضيف مفردة للغة الإنجليزية وهي الكلمة (gonna)، والتي يشيع استخدامها في العامية الأمريكية. وكلمة (gonna) تشبه كلمة (going to) في أنها تضيف للجملة معنى الزمن المستقبل كما في المثال التالي:

Adam is gonna go to college after all.

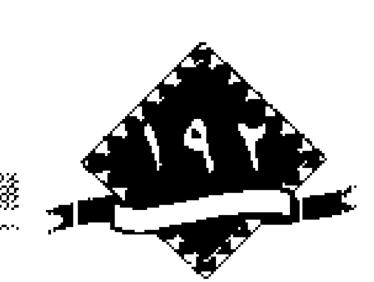
وفي النهاية، فإن آدم سيلتحق بالجامعة.

وقد صحب عملية الانتحاء هذه أمران ، هما : إضافة معنى الزمن المستقبل للفعل (go)، وتضييق النطاق الذي تستخدمه في كل من الكلمتين (going to) و (gonna). فنجد أنه من الممكن القول :

Adam is going to college after all.

---

[١] هوبر وتروقوت ، ص ص١-١٧ .



ولكنه من غير الممكن قبول الجملة التالية كجملة صحيحة في الإنجليزية :

Adam is gonna college after all.

ويلاحظ التضييق في نطاق استخدام كلمة (gonna) في ضرورة وجود الفعل (go to) حتى تصبح الجملة صحيحة. وأمثلة الانتحاء في اللغة الإنجليزية كثيرة منها ما حدث للأفعال (can) و (shall) و (will).

ومثل معظم الظواهر أو العمليات اللغوية، فإن حدوث عملية الانتحاء والوصول إلى الأمثلة سابقة الذكر لا يتم بشكل مفاجئ؛ بل إن حدوث هذه العملية قد يستغرق قرونا قبل أن نصل إلى الناتج النهائي لهذه العملية. وإيراد أمثلة للانتحاء من اللغة الإنجليزية لا يعني اقتصار هذه العملية على اللغة الإنجليزية، بل إن عملية الانتحاء سمة من سمات اللغات. ومن أمثلة الانتحاء في اللغة العربية والتي من الممكن ربطها بظاهرة ازدواجية اللغة ما حدث للفعل "ابتغى" وللأسماء الموصولة.

يستخدم الفعل "ابتغى" في الفصحى بمعنى طلب ، وقد ذكر ذلك ابن منظور بقوله "وبغى الشيء ما كان خيرا أو شرا يبغيه بغاء وبغى الأخيرة عن اللحياني، والأولى أعرف: طلبه ... وفي حدث سراقة والهجرة: انطلقوا بغيانا أي ناشدين وطالبين ... وابتغاه وتبغاه واستبغاه، كل ذلك طلبه".[1] هذا هو معنى واستخدام الفعل "ابتغى" في الفصحى. ولقد مر الفعل "ابتغى" بعملية انتحاء كان نتيجتها وجود فعل "أبغى" بمعنى أطلب وأريد في عامية الحجاز. فيقال "أبغى مساعدة" بمعنى أني بحاجة للمساعدة. وصحب هذا الانتحاء توسع في معنى "أبغى" بحيث أصبحت تستخدم بمعنى الاحتياج إلى شيء ما. وهناك مثال آخر على أن عملية انتحاء الفعل "ابتغى" موجودة في لهجة نجد ، ونتج عن هذه العملية ظهور الفعل "أبي" بمعني أريد أو أطلب، وهذا مشابه

[1] ابن منظور ، ص٣٢١ .



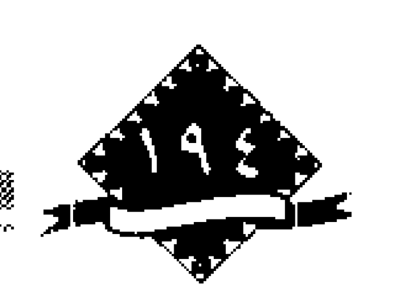
لاستخدام "ابغى" في اللهجة الحجازية. والملاحظ هنا أن الفعل "ابتغى" في لهجة نجد قد قطع شوطا أكبر في عملية الانتحاء من الشوط الذي قطعه فعل "ابغى" في لهجة الحجاز. فيقال مثلا "أبي مساعدة" لتدل على طلب العون. كما يلاحظ أيضا أن حرف الغين في فعل لهجة الحجاز قد أسقط في لهجة نجد.

ولم تتوقف عملية الانتحاء للفعل "ابتغى" عند هذا الحد، بل تعدته إلى توسع في معنى واستخدام الفعل بشكله الجديد باللهجات العامية. ففي لهجة نجد مثلا يستخدم الفعل "أبي" كأداة تدل على الزمن المستقبل. مثال ذلك قولنا "أبي أروح له الأسبوع الجاي" بمعنى "سوف أذهب إليه في الأسبوع القادم". فالفعل "أبي" في مثالنا السابق لا يقوم بوظيفته كفعل دال على الحدث، ولكنه يستخدم كأداة مشابهة لعمل سوف من الناحية الدلالية.

ويلاحظ أيضا أن هناك تقدما في عملية الانتحاء بالنسبة للفعل "أبي" ، فيقال في لهجة نجد "أبا أروح له الأسبوع الجاي" لتحمل نفس المعنى السابق. وهنا نرى اختلافا بين الشكلين "أبي" و "أبا" في النطق. فنجد أن الحرف الثالث في كلمة "أبا" وهو الألف الممدودة ينطق بنبر أخف وجهد أضعف من ذلك المستخدم لنطق الحرف الثالث من كلمة "أبي". وهذا مؤشر على أن حرف الياء الأخير في طريقه إلى الزوال، علما بأن البعض لا ينطق الحرف الثالث من كلمة "أبا" على الإطلاق، عند استخدام الكلمة كأداة دالة على المستقبل. فتسمع مثلا "أبروح له الأسبوع الجاي"، بدلا من قول "أبا أروح ...". وهذا يؤكد أن عملية الانتحاء عملية مستمرة.

وتشبه عملية انتحاء الفعل "ابتغى" في العامية ما حدث للأداة "سوف" في العربية الفصحى ، ففي الفصحى يستخدم حرف السين والأداة سوف للدلالة على المستقبل، فيقال سأخبره عندما أزوره" أو "سوف أخبره عندما أزوره". وقد ذكر النحاة أن السين تستخدم للمستقبل القريب، بينما تستخدم سوف للمستقبل البعيد.

وتشبه عملية انتحاء الفعل "ابتغى" في عامية نجد والحجاز عملية انتحاء الفعل

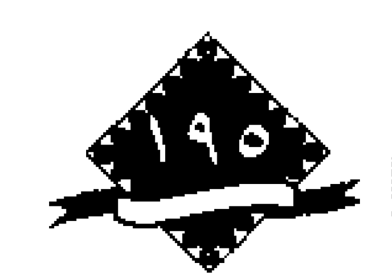


"أبدى" في بعض اللهجات العربية. فالفعل الفصيح "أبدى" يدل على إظهار الشيء. ويستخدم فعلا منتحيا في عامية بلاد الشام بمعنى مشابه ، فيقال مثلا "بده يروح" بمعنى أبدى رغبته في الذهاب. وتمكننا معرفتنا بعملية الانتحاء من ربط الفعلين "أبدى وبد" مع بعضهما . كما يستخدم الفعل "أبي" ليدل على زمن المستقبل، فإن الفعل "بد" يستخدم أيضا لنفس الوظيفة في اللهجة الشامية. فيقال "بده يروح بكرى لعنده" والفعل "بد" يعطى معنى المستقبل ويشبه في وظيفته ما يقوم به حرف السين لبيان ما يستقبل من الأمور. ولم يقف انتحاء الفعل "أبدى" عن هذا الحد، بل تعداه ليصل إلى استخدام عامية الشام لحرف الباء بمعنى حرف سين الاستقبال. ومثال ذلك قولهم "بتروح بكرى لعنده".

وهنا نرى أن عملية الانتحاء قد استمرت لتعطي حرف الباء والذي يخدم وظيفة لغوية وهو بيان أن زمن الجملة هو زمن المستقبل. وإذا كانت لهجة الحجاز متأخرة عن لهجة نجد في عملية انتحاء الفعل "ابتغى"، فإن لهجة الشام قد سبقت اللهجة النجدية في عملية الانتحاء هذه لتصل إلى حرف واحد فقط يخدم وظيفة كانت تقوم بها مفردة كاملة تكونت من حروف عدة. بالإضافة إلى هذا فإن معنى المفردة قد ضاق ليعطي فقط معنى الزمن المستقبل.

ونستمد مثالنا الآخر على الانتحاء والمتعلق بازدواجية اللغة من الأسماء الموصولة الخاصة في اللغة العربية. والأسماء الموصولة الخاصة هي سبعة ألفاظ كما يلي :

١- الذي: للمفرد المذكر.
٢- التي: للمفرد المؤنث.
٣- اللذان: للمثنى المذكر المرفوع - اللذين: للمثنى المذكر المنصوب والمجرور .
٤- اللتان: للمثنى المؤنث المرفوع - اللتين: للمثنى المؤنث المنصوب والمجرور .
٥- الذين: لجمع المذكر العاقل.



٦- اللاتي - اللواتي - اللائي: لجمع مؤنث .
٧- الألي: لجمع المذكر والمؤنث .

تستخدم الأسماء الموصولة الخاصة لربط جملتين مع بعضهما . وكما هو ملاحظ، فإن الألفاظ السبعة السابقة تراعي الاسم في الحالة والعدد والجنس. فيستخدم لفظ للمثنى المذكر المرفوع ولفظ آخر للمثنى المؤنث المرفوع، كما يستخدم أيضا لفظ في حالة الرفع تختلف عن اللفظ المستخدم في حالة النصب أو الجر. هذا هو وضع الأسماء الموصولة في اللغة العربية الفصحى والذي يختلف عن وضع الأسماء الموصولة الخاصة في اللهجات العامية.

يستخدم في لهجة نجد العامية لفظ واحد فقط ليقوم بدور الألفاظ السبعة سابقة الذكر ، هذا اللفظ هو "اللي". فهو يستخدم للمذكر والمؤنث وللمفرد والمثنى والجمع، كما يستخدم أيضا في جميع الحالات دون اعتبار لحالة الاسم من رفع ونصب وجر . فيقال مثلا في لهجة نجد:

قلت للولدين اللي جوا يجيبون أوراقهم جاهزة .
سألت الولدين اللي جوا إن كان أوراقهم جاهزة .
الولدين اللي جوا ما جابو أوراقهم جاهزة .
قلت للبنتين اللي جن يجيبن أوراقهن جاهزة .
سألت البنتين اللي جن إن كان أوراقهن جاهزة .
البنتين اللي جن ما جاين أوراقهن جاهزة .

كما يقال أيضا :

الرجل اللي جاء ما أعرفه .

البنت اللي جت ما أعرفها .

الرجالين اللي جوا ما أعرفهم .

البنتين اللي جن ما أعرفهن .

الرجال اللي جوا ما أعرفهم .

البنات اللي جن ما أعرفهن .

ويلاحظ أن لهجة نجد وإن كانت تفرق بين الأسماء في العدد والجنس كما يتضح من الأفعال المستخدمة في الجمل السابقة، إلا أن المثنى - وإن كان يستخدم في الأسماء - لا يستخدم في الأفعال. فأفعال المثنى عادة ما تأخذ صيغة الجمع. كما يلاحظ، وهو الأهم، أن الألفاظ العربية الفصحى السبعة قد استُعيض عنها بلفظ واحد وهو لفظ اللي. وعند مقارنة رسم لفظ "اللي" بالألفاظ السبعة نرى أن هذا اللفظ ليس غريبا عن هذه الألفاظ. ويتضح لنا الآن أن الأسماء الموصولة الخاصة في العربية قد انتحت، ومحصلة هذا الانتحاء وجود اسم موصول واحد فقط. وعملية الانتحاء هذه لم تكتمل بعد، ولكنها في تطور مستمر وبطيء وقد يستغرق انتحاء لفظ "اللي" أجيالا عدة قبل ظهور لفظ مختلف عنه في الرسم والوظيفة.

وهنا نرى أن عملية الانتحاء قد لعبت دورا في إيجاد زوج من المفردات في ازدواجية اللغة العربية ، فالألفاظ السبعة التي تعتبر من مفردات الشكل اللغوي الأعلى تقابلها مفردة واحدة تستخدم عادة في الشكل اللغوي الأدنى. كما نلاحظ أيضا أثر عملية الانتحاء في ازدواجية اللغة من خلال إيجاد زوج المفردات (سوف - أبي) والذي يستخدم إحداهما في الفصحى، بينما يستخدم الأخرى في العامية. ويعطي النظر إلى مثل هذه العمليات اللغوية والتي ترتبط بالتطور التاريخي للغة الباحث ، فرصة الوقوف على الأسباب التي أدت إلى بروز بعض الظواهر كما في زوج المفردات لازدواجية اللغة،

كما يعطيه أيضا الفرصة للتنبؤ بما سيكون عليه الوضع اللغوي مستقبلا.

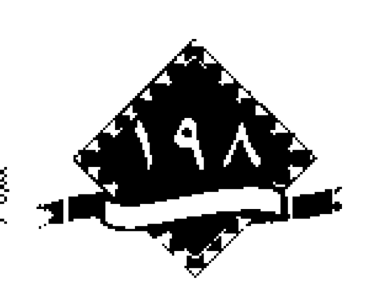
٣ – خاتمة :

ذكر فرجسون عندما ناقش خاصية المفردات أن مما يميز ازدواجية اللغة وجود زوج من المفردات تخص إحداهما الشكل اللغوي الأعلى بينما تستخدم الأخرى في الشكل اللغوي الأدنى. وتنطبق هذه الملاحظة على جميع الحالات الدراسية التي ذكرها، ولكن هناك ما يميز وضع اللغة العربية عن أوضاع باقي اللغات. فكما رأينا سابقا ، ليست مفردات الشكل اللغوي الأعلى (الفصحى) غريبة عن تلك المستخدمة في الشكل اللغوي الأدنى (العامية). وإن كان هناك بعض الاختلاف في المفردات بين الشكلين فمرجعه اقتراض العربية من مفردات اللغات الأخرى. وهذا وضع طبيعي، فجميع لغات العالم تقترض بعضها من بعض نتيجة للاحتكاك السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين متحدثيها.

ويعود عدم الاختلاف الكبير بين المفردات المستخدمة في العامية وتلك المستخدمة في الفصحى إلى عدة أسباب، اذكر منها أربعة أسباب ، هي :

أولا: وجود القرآن الكريم مكتوبا بين أيدى المسلمين العرب لمدة تزيد عن الأربعة عشر قرنا. ولا أريد أن أناقش هنا دور القرآن الكريم كاملا في حفظ اللغة العربية، لأن ما كتب عنه في مؤلفات ذات أجزاء عديدة لا نستطيع مناقشته في هذه الخاتمة. ويكفينا فخرا نحن متحدثي العربية أن الله سبحانه وتعالى شرف لغتنا بنزول القرآن بها، كما شرفها بتعهده جل وعلا بحفظ هذا القرآن، وهذا بالتالي هو حفظ للغة. وإذا كان هذا هو أثر القرآن الكريم، فإن أثر الأحاديث الشريفة في حفظ اللغة العربية غني عن الإيضاح.

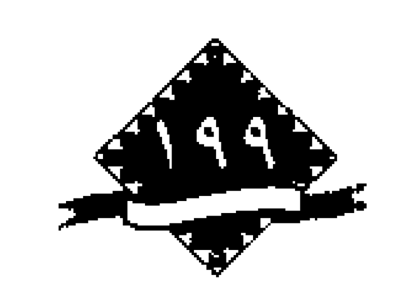
ثانيا: يعتبر العرب من الأقوام الذين أولوا اللغة قدرا كبيرا من الاهتمام. ونظرة سريعة للاحترام والتقدير الذي كان وما زال يحظى به الشعر لدى العرب، وبالتالي



الاحترام الممكن للشاعر، تبين لنا اهتمام العرب بلغتهم. فلقد كان العرب يجتمعون سنويا في أسواق ينشدون شعرهم ويبرزون مهاراتهم اللغوية والأدبية من خلال شعرائهم وخطبائهم، وهذا عادة ما يكون مصدر فخر للقبائل التي ينتمي إليها هؤلاء الشعراء والخطباء. وتشبه هذه الأسواق المؤتمرات في عصرنا الحاضر. وإذا رأينا شعبا من الشعوب يعقد عدة مؤتمرات سنوية يكون الهدف منها مناقشة القضايا الأدبية المتعلقة بلغته، فإننا وبشكل تلقائي نعلم مقدار الاحترام والتقدير الذي يكنه ذلك الشعب للغته. ولم يكتف العرب القدماء بإنشاد الشعر وإلقاء الخطب، ولكنهم كانوا يعلقون بعضا من القصائد على جدران الكعبة، وهذا وحده كافٍ لإيضاح اهتمام العرب بلغتهم. ويلاحظ أيضا أن القرآن الكريم والحديث الشريف والأعمال الأدبية التي أثرت وحفظت اللغة إنما كانت جميعها بشكل مكتوب.

ثالثا: للشعائر الدينية في الإسلام أثر في حفظ اللغة العربية وبالتالي عدم وجود البون الشاسع بين مفردات الفصحى والعامية. فالمسلمون العرب يجتمعون بشكل أسبوعي للاستماع إلى خطبة يوم الجمعة والتي تلقى في شكل لغوي أعلى. وهنا نرى أن الناس كافة لا فرق بين متعلم وأمي على اتصال دائم بالشكل اللغوي الأعلى. هذا بالإضافه إلى المحاضرات الدينية والخطب التي تلقى في المساجد والتي تكون موجهة لجميع شرائح المجتمع وطبقاته على اختلاف مستوياتهم التعليمية.

رابعا: لعبت وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة وما زالت تلعب دورا كبيرا في حفظ اللغة للأجيال الحالية والقادمة. فتستخدم مفردات الشكل اللغوي الأعلى في نشرات الاخبار والتعليقات السياسية وحال مناقشة الأمور الاجتماعية. ولم تنس وسائل الإعلام المرئية الأطفال العرب ، فالمسلسلات والصور المتحركة الكرتونية الموجهة إليهم عادة ما تستخدم شكلا لغويا أعلى بعيدا عما قد نسمعه من مفردات وتراكيب داخل المنازل. وهذا بالطبع له أثر كبير في إنشاء الأطفال، وبالتالي يسهل عملية تعلم الشكل اللغوي الأعلى تعلما رسميا عن طريق المدارس في المراحل المستقبلية.



المراجع

أ - المراجع العربية:

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب، القاهرة ، دار المعارف .

- د. أحمد عبد الرحمن حماد : عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، عمان، الأردن ، دار المناهج للنشر والتوزيع، (بدون سنة طبع) .

- أحمد عبد الغفور عطار : آراء في اللغة، جدة ، المؤسسة العربية للطباعة ، ١٣٨٤هـ

- أميل بديع يعقوب : فقه اللغة العربية وخصائصها، الطبعة الثانية، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م.

- أنطوان صياح : دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٥م .

- د. حسين مجيب المصري : أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية الأردية- التركية - الفارسية ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٢م .

- سمير روحي الفيصل : المشكلة اللغوية العربية، طرابلس، لبنان ، جروس برس، ١٩٩٢م .



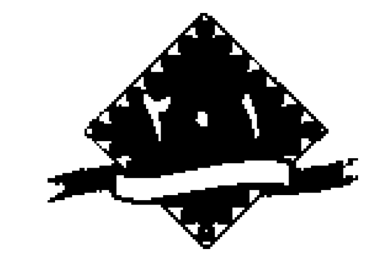
- د. شكري الفيصل : من قضايا اللغة العربية المعاصرة بحث في الإطار العام للموضوع، من قضايا اللغة العربية المعاصرة (المنظمة العربية والعلوم) تونس، ١٩٩٠م، ص ص٣٠-٥٥.

- عبد الحليم محمد قنبس : معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

- د. عبد العزيز مطر : الأصالة العربية في لهجات الخليج، الرياض ، دار عالم الكتاب للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- د. على عبد الواحد وافى : فقه اللغة، الطبعة الرابعة، لاظوغلى ، لجنة البيان العربى، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

- يوهان فك : العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبدالتواب، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٤١٠هـ / ١٩٨٠م .



ب – المراجع الأجنبية :

Abdulaziz Mkilifi, M. H.1978. Triglossia and Swahili-English bilingualism in Tanzania. In J. Fishman 1978:129-52.

Al-Sweel, A. 1981. The Verbal System of Najdi Arabic: A Morphological and Phonological Study. Seattle: University of Washington. unpublished master thesis.

Al-Sweel, A.1986. Verbal and nominal forms of Najdi Arabic. Anthropological Linguistics, 29, (1) 71-90.

Alexious, M. 1982. Diglossia in Greek. In W. Haas 1982:156-92.

Apple, R. & Muysken, P. 1987. Language Contact and Bilingualism. London: Edward Arnold.

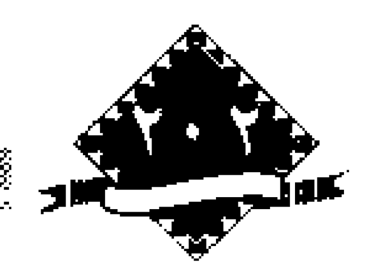
Britto, F. 1986. Diglossia: A Study of the Theory with Application to Tamil. Washington, D.C.: Georgetown University.

Browning, R. 1982. Greek Diglossia yesterday and today. International Journal of the Sociology of Language, 35 (1) 49-68.

Fasold, R.1984. The Sociolinguistics of Society. Cambridge, MA: Basil Blackwell.

Ferguson, C. 1959. Diglossia. Word, 15, 325-40.

Ferguson, C. 1991. Epilogue: Diglossia revisited. Southwest Journal of



Linguistics, 10 (1) 214-34.

Ferguson, C. and J. Gumperz (Eds.). 960. Linguistic diversity in South Asia: Studies in regional, social and functional variation. (Indiana University Research Center in Anthropology, Folklore, And Linguistics, Publication 13) International Journal of American Linguistics, 26, (3 pt. 3).

Fishman, J. 1967. Bilingualism with and without diglossia; diglossia with and without bilingualism. Journal of Social Issues. 23, (1) 29-38.

Fishman, J. (ed.). 1968. Reading in the Sociology of Language. The Hague: Mouton.

Fishman, J. 1971. Advances in the Sociology of Language, vol. 1. The Hague: Mouton.

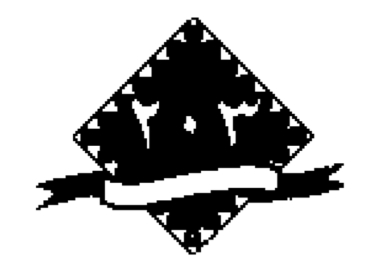
J. Fishman (ed.). 1972a. Advances in the Sociology of language, vol. 2. The Hague: Mouton.

J. Fishman (ed.). 1972b. Sociolinguistics: A Brief Introduction. Rowley, MA: Newbury House.

Fishman, J. 1972 (c). Societal bilingualism: Stable and transitional. In J. Fishman 1972b:73-90.

J. Fishman (ed.). 1978. Advances in the Study of Societal Multilingualism. The Hague: Mouton.

Fishman, J. 1980. Bilingualism and biculturalsim as individual and as societal phenomena. Journal of Multilingualism and Multicultural Development. 1, (1) 3-15.



Fishman, J. 1985. Bilingualism and biculturalism as individual and as societal phenomena. In Fishman, J., Gertner, M., Lowy, E., and Milan, W. (eds.), The Rise and Fall of the Ethnic Revival, pp. 39-56. Berlin: Mouton.

Fishman, J. 1989. Language and Ethnicity in Minority Sociolinguistic Perspective. Clevedon, England: Multilingual Matters.

Garvin, P. & Mathiot, M. 1956. The Urbanization of Guarani Language. In A. Wallace (ed.), Men and Cultures: Selected Papers from the Fifth International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences, pp. 365-74. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Gumperz, John. 1964. Linguistic and Social interaction in two communities. American Anthropologist, 66, 137-53.

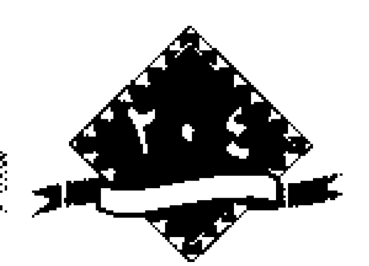
Gumperz, J. 1968. Types of linguistic communities. In J. Fishman 1968:460-72.

Haas, W. (ed.). 1982. Standard Languages: Spoken and Written. Manchester: Manchester University Press.

Hall, R. 1950. The Genetic Relationship of Haitian Creole. Richereche Linguistiche, 5, 194-203.

Hopper, P. & Traugott, E. 1993. Grammaticalization. New York, NY: Cambridge University Press.

Hornby, P. 1977. Bilingualism: An introduction and overview. In P. Hornby (ed.), Bilingualism. Psychological, Social, and Educational Implications, pp. 1-13. New York: Academic Press.



Hudson, A. 1991. Toward the systematic study of diglossia. Southwest Journal of Linguistics, 10 (1) 1-22.

Kay, P. 1977. Language evolution and speech style. In Blount, B. & Sanches, M (eds.). Sociocultural Dimensions of Language Change, pp. 21-33. New York: Academic Press.

Kazazis, K. 1968. Sunday Greek. In Papers from the Fourth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society, pp. 130-40. Chicago: Chicago Linguistic Society.

Keller, R. 1982. Diglossia in German-speaking Switzerland. In W. Haas 1982:70-93.

Kloss, H. 1966. Types of multilingual communities: A discussion of ten variables. Sociological Inquiry, 36 (2) 135-45.

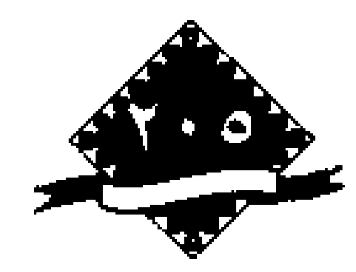
Krumbacher, K. 1902. Das Problem der Neugriechischen Schriftsprache. Munchen: K. B. Akademie.

Labov, W. 1968. The reflection of social processes in linguistic structure. In J. Fishman 1968: 240-51.

Lehiste, I. 1988. Lectures on Language Contact. Cambridge, MA: The MIT Press.

Lorwin, V. 1972. Linguistic pluralism and political tension in modern Belgium. In J. Fishman 1972a:386-412.

Marcais, W. 1930. Le diglossie Arabe. L'enseignement Public, 97, 401-09.



Meillet, A. 1912. L' evolution des formes grammaticales. Scientia, 26, 130-48.

Mitchell, T. 1982. More than a matter of "writing with the learned, pronouncing with the vulgar": Some preliminary observations on the Arabic Koine. In W. Haas 1982: 123-55.

Moulton, W. 1962. What standard for diglossia? The case of German Switzerland. In Woodworth, E. & De Pietro, R (eds.), Georgetown University Round Table on Language and Linguistics, pp. 133-63. Washington, D.C.: Georgetown University Press.

Penalosa, F. 1975. Chicano multilingualism and multiglossia. In Hernandez-Chaves, E., Cohen, A., and Beltramo, A. (eds.), Lenguaje de los Chicanos. Arlington, VA: Center for Applied Linguistics.

Penalosa, F. 1980. Chicano Sociolinguistics. Rowley, MA: Newbury House.

Platt, J. 1977. A model for polyglossia and multilingualism (with special reference to Singapore and Malaysia). Language in Society, 6 (3), 361-78.

Polome, E. 1982. Rural versus urban multilingualism in Tanzania. The International Journal of the Sociology of Language, 34, (2) 167-81.

Rona, J. 1966. The social and cultural status of Guarani in Paraguay. In W. Bright (ed.), Sociolinguistics, pp. 277-98. The Hague: Mouton.

Rubin, J. 1962. Bilingualism in Paraguay. Anthropological Linguistics, 4 (1) 52-58.

Rubin, J. 1966. Language and Education in Paraguay: National Bilingualism in Paraguay. The Hague: Mouton.



Rubin, J. 1978. Toward bilingual education in Paraguay. In J. Alatis (ed.), Georgetown University Roundtable on Languages and Linguistics, pp. 189-201. Washington, DC: Georgetown University Press.

Smeaton, B. 1973. Lexical Expansion due to Technical Change. Bloomington, Indiana: Indiana University Press.

Sotiropoulos, D. 1977. Diglossia and the national language question in modern Greek. Linguistics, 197 (1) 5-31.

Stewart, W. 1962. An outline of linguistic typology for describing multilingualism. In F. Rice (ed.), Study of the Role of Second Language in Asia, Africa, and Latin America, pp. 15-25. Washington, DC: Center for Applied Linguistics.

Stewart, W. 1963. Functional distribution of Creole and French in Haiti. In Woodworth, E. & DiPietro, R. (eds.), Georgetown Round Table on Language and Linguistics, pp. 149-62. Washington, DC: Georgetown University Press.

Thomason, S. & Kaufman, T. 1988. Language Contact, Creolization and Genetic Linguistics. Berkeley, CA: University of California Press.

Timm, L. 1981. Diglossia old and new - A critique. Anthropological Linguistics, 23 (3) 356-67.

Verdoodt, A. 1972. The differential impact of immigrant French speakers on indigenous German speakers: A case study in the light of two theories. In J. Fishman 1972(b):377-85.

Weinreich, U. 1956. Languages in Contact. The Hague: Mouton.

Wexler, P. 1971. Diglossia, Language Standarization and Purism. Lingua, 27, (3) 330-54.

Whiteley, W. 1969. Swahili: The Case of National Language. London: Methuen.

Winford, D. 1985. The Concept of "Diglossia" in Caribbean Creole Situations. Language in Society, 14, (3) 45-56.